
هاشم عثمان
تاريخ الشيعة
في ساحل
بلاد الشام الشمالي
منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص. ب. ٧١٢٠



تاريخ الشيعة
في ساحل
بلاد الشام الشمالي




هاشم عثمان

تاريخ الشيعة في ساحل بلاد الشام الشمالي

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص. ب : ٧١٢٠

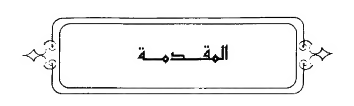
الطبعة الأولى

١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة
ملك الأعلمي - ص.ب ٧١٢٠
الهاتف : ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120





المقــدمــة

الكتـابة عن الشيعـة في ساحـل بـلاد الشـام ، ليست سهلة ، لأن المصادر التاريخية لم تتناول هـذا الموضـوع إلا بإشـارات عابـرة . ومثل البـاحث في هذا التـاريخ كمثـل الذي يبحث في ليلة ظلمـاء عن حبات مسبحة انفرط عقدها من سنين بعيدة ، في حقل مترامي الأطراف .

وكان يمكن لعملنا أن يكون سهلاً ، وأن تكون هذه الـدراسة على جـانب كبير من الكمـال ، لو وجـدت المصادر التي تسعفنـا في بحثنا . لكن ، مما يؤسف له أن المصادر غير متوافرة .

كمـا أننا لم نجـد من تـطرق إلى هـذا المـوضـوع الهـام ، لا في القديم ولا في الحديث . فنحن والحالة هـذه ، نسير في طـريق شديـدة الوعورة ، غير مطروقة من ذي قبل ، مما يجعل من عملنا مجرد محـاولة متواضعة جداً جداً لالقاء بعض الضوء على تاريخ الشيعة في ساحل بلاد الشام الشمالي وجبالها الغربية .

ومحاولتنا هذه ، التي نقر سلفاً بأنها مبتورة ونـاقصة ، تـدور حول المواضيع التالية :

أولاً : التعـريف بحدود بـلاد الشام قـديماً ، وسـاحل بـلاد الشام

على وجه الخصوص .

ثانياً : أصل تسمية شيعة ، والتسميات التي أُطلقت على الشيعة في شتى المراحل التاريخية .

ثالثاً : الأدوار التاريخية التي مرت بها الشيعة في ساحل بلاد الشام الشمالية ، وجبالها الغربية . وهذه الأدوار هي :

* دور النشأة والتكوين .
* دور الإزدهار .
* دور الافول والنكبات المتلاحقة .
* دور الإنبعاث .

رابعاً : تأسيس الجمعيات الخيرية الإسلامية الجعفرية في الساحل السوري ودورها في إحياء المذهب الجعفري .

ولئن كانت هذه الدراسة الموجزة ، لا تحقق ما نطمح إليه ، فقد أبدينا عذرنا ، والكريم من عذر .

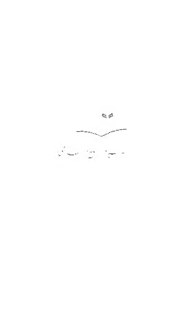
لكننا لن نقنع بهذا الجهد المتواضع ، بل سنواصل البحث والتدقيق حتى نصل إلى الغاية المرجوة خدمة للحقيقة والتاريخ . والله ولي التوفيق .

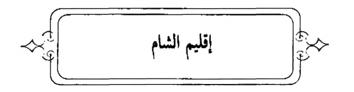
اللاذقية : أول رمضان ١٤١١/هـ
١٦/آذار/١٩٩١/م



الفصل الأول

* حدود بلاد الشام .
* ساحل بلاد الشام .





إقليم الشام

تقع بلاد الشام في الإقليم الثالث الذي يبدأ من المشرق فيمر على شمال بلاد الصين ، ثم الهند ، ثم السند ، ثم كابل ، وكرمان ، وسجستان ، وفارس ، والأهواز ، والعراقين ، والشام ، ومصر والإسكندرية ، و . . . وينتهي إلى البحر المحيط[1] .

وهناك من قال : إنها تقع في الإقليم الخامس[2] .

وقد اختلف في سبب تسميتها بالشام . قال أبو بكر الأنباري : في اشتقاقه وجهان : يجوز أن يكون مأخوذاً من اليد الشؤمى وهي اليسرى ، ويجوز أن يكون فعلى من الشؤم .

قال أبو القاسم : قال جماعة من أهل اللغة يجوز أن لا يهمز فيقال الشام . . . فيكون جمع شامة سميت بذلك لكثرة قراها وتداني بعضها من بعض فشبهت بالشامات[3] .

---

(١) ياقوت الحموي ـ معجم البلدان دار صادر بيروت ١٩٥٥ ، ج ١ ، ص ٢٩ ، وكذلك القزويني آثار البلاد وأخبار العباد دار صادر ص ١٣٧ .
(٢) المسعودي ـ مروج الذهب دار الرجاء بالقاهرة ١٩٣٨ ، ج ١ ، ص ٧٢ .
(٣) ياقوت الحموي ـ معجم البلدان ج ١١ ، ص ٣١١ .

وقال الكلبي : إنما سمي الشام شاماً لشامات في أرضه بيض وسود في الترب والبقاع والحجر وأنواع النبات والأشجار[1] .

وقيل سميت شاماً لأن قوماً من بني كنعان بن حام تشآموا إليه أي تياسروا إليه لأنه عن يسار الكعبة[2] .

وقال آخرون منهم الشرقي بن القطامي : إنما سمي الشام شاماً بسام بن نوح لأنه أول من نزله وقطن فيه . فلما سكنه العرب تطيرت من أن تقوله سام فقالت شام [3] أو جعلت السين شيناً لتغير اللفظ العجمي[4] .

وبهذا القول أخذ العلامة المرحوم عيسى اسكندر المعلوف وجهر به في محاضرة له ألقاها في ردهة المجمع العلمي العربي بدمشق مساء الجمعة في ٢٧ تشرين أول سنة ١٩٢٠ حيث ذكر : «ان قطر الشام العزيز منسوب إلى سام (اسم) ابن نوح (راحة) فقيل في اسمه الشام لأن السين والشين تتبادلان في اللغات الشرقية الشقائق»[5] .

وذكر ياقوت الحموي ، أنه قرأ في بعض كتب الفرس في قصة سنحاريب أن بني إسرائيل تمزقت بعد موت سليمان بن داوود ، ﷺ ، فصار منهم سبطان ونصف سبط في بيت المقدس ، فهم سبط داوود ، وانخزل تسعة أسباط ونصف إلى مدينة يقال لها شامين ، وبها سميت الشام ، وهي بأرض فلسطين ، وكان بها متجر العرب وميرتهم .

وكان اسم الشام الأول سوري فاختصرت العرب من شامين الشام

---

(١) المسعودي - المختار من مروج الذهب وزارة الثقافة بدمشق ١٩٨٨ السفر الثاني ص ٥ .

(٢) أبو الفداء - تقويم البلدان باريس ١٨٤٠ تحقيق البارون ديسلان ص ٢٣٤ .

(٣) المسعودي - المختار من مروج الذهب السفر الثاني ص ٥ .

(٤) ياقوت الحموي - معجم البلدان ج ١١ ، ص ٣١١ .

(٥) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ج ١١ تشرين الثاني ١٩٢١ ، ص ٣٤١ .

وغلب على الصقع كله(١) .

ومن الأقوال أيضاً : انها سميت شاماً لأنها شامة الكعبة(٢)

وحد الشام من الفرات إلى العريش طولاً ، ومن جبلي طيء إلى بحر الروم عرضاً(٣) .

وحددها الشيخ عبد الغني النابلسي بقوله : (٤) .

وحدّ الشام طولاً من عريش إلى أرض الفرات المستجاد
ومن جسر المسيح يقال عرضاً إلى طرسوس للبلد المراد
ومن يافا كذاك إلى معان فشام كل ذلك من بلاد

وقد قيل عن الشام انها إقليم الأخيار(٥) .

ومن خواصها أن لا تخلو من الأولياء الأبدال الذين يرحم الله ويعفو بدعائهم ، لا يزيدون على السبعين ولا ينقصون عنها ، كلما مات واحد منهم قام من الناس بدله ، ومسكنهم جبل اللكام(٦) .

ومما وصفت به الشام ، أنها بلاد كثيرة ، وكور عظيمة وممالك . وقد قسمها الأولون إلى خمسة أجناد أو كور : جند فلسطين ، وجند الاردن ، وجند حمص ، وجند قنسرين ، والعواصم(٧) .

---

(١) ياقوت الحموي - معجم البلدان ج ١١ ، ص ٣١١ ، وأيضاً المقدسي - أحسن التقاسيم إبريل ١٩٠٤ ، ط٢ ، ١٥٢ .

(٢) ياقوت الحموي - معجم البلدان ج ١١ ، ص ٣١١ ، وأيضاً البغدادي - مراصد الإطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع دار احياء الكتب العربية ١٣٧٣/هـ ١٩٥٤/م ، ج ٢ ، ص ٧٧٥ .

(٣) الاصطخري - المسالك والممالك تحقيق الدكتور محمد جابر عبد العال الحيني القاهرة ١٣٨١/هـ - ١٩٦١ ، ص ٤٣ .

(٤) مجلة مجمع العلمي العربي بدمشق ج ١١ تشرين الثاني ١٩٢١ ، ص ٣٤١ .

(٥) القزويني - آثار البلاد ، ص ١٠٦ .

(٦) الاصطخري - كتاب الأقاليم .

(٧) أبو الفداء - تقويم البلدان ، ص ٣٣٤ .

وبعضهم ذكر جند دمشق بدل العواصم[1] .

وبعضهم جعل الاجناد كالتالي : فلسطين ، حوران ، الغوطة ، حمص ، قنسرين[2] .

ومنهم من جعل الأجناد ستة : قنسرين ، حمص ، دمشق ، الأردن ، فلسطين ، الشراة[3] .

وجند دمشق يضم : حوران ، وبصرى ، واذرعات ، وعمان ، وبعلبك ، وصيدا ، وبيروت ، وطرابلس وغيرها من مدن وقرى وحصون تتبعها وتقع فيها[4] .

ومدن ساحل الشام ، كانت تسمى الثغور البحرية ، وهي :

سواحل جند حمص : انطرطوس ، وبانياس ، واللاذقية ، وجبلة ، والهرياذة .

وسواحل جند دمشق : عرقة وطرابلس وجبيل وبيروت وصيدا وحصن الصرفند وعدنون[5] .

ولما كانت رقعة ساحل بلاد الشام واسعة ، وقد تعرضت لتغيرات كثيرة خلال شتى المراحل التاريخية التي مرت بها بلاد الشام ، قبل أن تأخذ شكلها الحالي في ٣١ آب ١٩٢٠ ، لذلك فإن دراستنا هذه ، مقتصرة على ساحل بلاد الشام الشمالي وجبالها الغربية ضمن الحيز

---

(١) غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري ـ كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك تحقيق بولس رايس باريس ١٨٩٤ ، ص ٤١ .

(٢) المقدسي المعروف بالبشاري ـ أحسن التقاسيم ص ١٥٤ .

(٣) المرجع السابق .

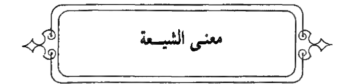
(٤) ابن شداد ـ الاعلاق الخطيرة منشورات المعهد الفرنسي بدمشق تحقيق سامي الدهان دمشق ١٩٦٣ ص ٢٠ .

(٥) ابن خرداذبة ـ المسالك والممالك ص ٢٥٥ .

الجغرافي الذي كانت تشغله «مملكة طرابلس» أو «إيالة طرابلس» لأن حدود ساحل بلاد الشام الشمالية الحالية ، كانت لمدة طويلة من الزمن تابعة لطرابلس ، بحيث لا يمكننا فصل تاريخ الساحل خلال هذه الحقبة الطويلة جداً عن تاريخ طرابلس .



* أصل تسمية شيعة .
* الأسماء التي أُطلقت على الشيعة عبر التاريخ .



معنى الشيـعة

الشيعة ، القوم الذين يجتمعون على الأمر .

وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة .

وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيعة(١) .

والشيعة أيضاً ، أتباع الرجل وأنصاره ، وجمعها شيع(٢) .

والشيعة : الفرقة(٣) .

وقـد أُطلقت كلمـة شيعـة على الـذين شـايعـوا أميـر المؤمنين علي ﷺ وقالوا بامامته وخلافته نصاً ووصية ، إما جليّاً وإمّا خفياً . وإن الإمامة لا تخرج عن أولاده ، وإن خرجت فبظلم يكون من غيـره أو بتقية من عنده(٤) . ويجمعهم القول بثبـوت عصمة الأئمـة وجوباً عن الكبائـر والصغائر وان الإمامة ركن من أركان الدين لا يجوز للنبي ﷺ اغفـاله ولا تفويضه إلى العـامة(٥) . وقـد وردت كلمة شيعـة ، إشارة إلى أتبـاع أمير

(١) ابن منظور ـ لسان العرب مادة شيع .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

(٤) الشهرستاني ـ الملل والنحل ج ١ ، ص ١٣١ .

(٥) ابن العربي ـ تاريخ مختصر الدول ص ٩٧ .

المؤمنين علي ﷺ في العديد من الأحاديث النبوية الشريفة .

عن ابن عباس (ره) من كتاب [الامالي] قال : قال رسول الله ﷺ : شيعة علي هم الفائزون يوم القيامة .

يا علي : أنا منك وأنت مني ، روحك روحي ، وشيعتك شيعتي ، وأولياؤك أوليائي ، من أحبهم فقد أحبني ، ومن أبغضهم فقد أبغضني ، ومن عاداهم فقد عاداني .

يا علي : شيعتك مغفور لهم عن ما كان منهم من عيوب وذنوب ، وأنا الشفيع لهم غداً إذا قمت المقام المحمود فبشرهم بذلك .

يا علي : شيعتك شيعة الله ، وأنصارك أنصار الله ، وحزبك حزب الله ، وحزب الله هم المفلحون[1] .

وفي كتاب الأربعين ما رواه عن انس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : إذا كان يوم القيامة نادى منادي : يا علي يا ولي يا سيد ويا صابر يا ديان يا والي يا هادي يا زاهد يا طيب يا طاهر مر أنت وشيعتك إلى الجنة بغير حساب[2] .

وأخرج الحاكم في شواهد التنزيل بالإسناد إلى علي قال : قبض رسول الله ﷺ وأنا مسنده إلى صدري ، فقال : يا علي ألم تسمع قوله تعالىٰ ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾ هم شيعتك ، وموعدي وموعدكم الحوض يدعون غرّاً محجلين[3] .

وأخرج الديلمي ـ كما في الصفحة ٩٦ من الصواعق المحرقة ـ قال : قال رسول الله ﷺ يا علي إن الله قد غفر لك ولولدك ولذريتك

---

(١) الحافظ رجب البرسي ـ مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين ص ٤٥ .
(٢) المرجع السابق ص ٤٧ .
(٣) محمد حسين كاشف الغطاء ـ أصل الشيعة وأصولها ص ٨٧ .

ولأهلك ولشيعتك ولمحبي شيعتك ، فابشر فإنك الانزع البطين[1] .

وكان أتباع آل البيت عليهم السلام يطلقون على أنفسهم اسم الشيعة . ذكر الدينوري أنه لما ولى علي بن أبي طالب عليه السلام زياد بن أبيه أرض فارس ، فلما توجه إلى صفين كتب معاوية إلى زياد يتوعده فقام زياد في الناس فقال : ان ابن آكلة الأكباد ورأس النفاق كتب إلي يتوعدني ، وبيني وبينه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله في تسعين ألف مدجج من شيعته ، أما والله لئن رامني ليجدني ضراباً بالسيف[2] .

وبعد الصلح بين الحسن عليه السلام ومعاوية ، كان أول من لقي الحسن عليه السلام فندّمه على ما صنع ، ودعاه إلى رد الحرب حجر بن عدي ، فقال له : يابن رسول الله لوددت إني مت قبل ما رأيت ، أخرجتنا من العدل إلى الجور ، فتركنا الحق الذي كنا عليه ودخلنا في الباطل الذي كنا نهرب منه ، واعطينا الدنية من أنفسنا ، وقبلنا الخسيسة التي لم تلق بنا . فاشتد على الحسن عليه السلام كلام حجر فقال له : إني رأيت هوى عظم الناس في الصلح ، وكرهوا الحرب ، فلم أحب أن أحملهم على ما يكرهون ، فصالحت بقيا على شيعتنا خاصة من القتل ، فرأيت دفع هذه الحروب إلى يوم ما ، فإن الله كل يوم هو في شأن .

فخرج من عنده ، ودخل على الحسين عليه السلام مع عبيدة بن عمرو ، فقالا : أبا عبد الله . شريتم الذل بالعز ، وقبلتم القليل ، وتركتم الكثير ، أطعنا اليوم ، واعصنا الدهر . دع الحسن ، وما رأى من هذا الصلح واجمع إليك شيعتك من أهل الكوفة وغيرها ، ولني

---

(1) ابن حجر - الصواعق المحرقة المطبعة الميمنية بالقاهرة سنة ١٣٢٤/هـ .

(2) أبو حنيفة الدينوري - من كتاب الأخبار الطوال وزارة الثقافة بدمشق ١٩٨٦ ، ص ٢١١ .

وصاحبي هذه المقدمة فلا يشعر ابن هند إلا ونحن نقارعه بالسيوف(١) .

وذكر اليعقوبي في تاريخه : أنه لما توفي الحسن وبلغ الشيعة ذلك اجتمعوا بالكوفة في دار سليمان بن صرد وفيهم بنو جعدة بن هبيرة ، فكتبوا إلى الحسين بن علي يعزونه على مصابه بالحسن :

«بسم الله الرّحمٰن الرّحيم ، للحسين بن علي من شيعته وشيعة أبيه أمير المؤمنين سلام عليك ، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فقد بلغنا وفاة الحسن بن علي يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا ، غفر الله ذنبه وتقبل حسناته ، وألحقه بنبيه ، وضاعف لك الأجر في المصاب به وجبر بك المصيبة من بعده فعند الله نحتسبه ، وإنا إليه راجعون ، ما أعظم ما أُصيب به هذه الأُمة عامة ، وأنت وهذه الشيعة خاصة ، بهلاك ابن الوصي وابن بنت النبي ، علم الهدى ، ونور البلاد المرجو لإقامة الدين وإعادة سير الصالحين ، فاصبر رحمك الله على ما أصابك ان ذلك لمن عزم الأُمور ، فإن فيك خلفاً ممن كان قبلك ، وان الله يؤتي رشده من يهدي بهديك ، ونحن شيعتك المصابة بمصيبتك ، المحزونة بحزنك ، المسرورة بسرورك ، السائرة بسيرتك ، المنتظرة لأمرك ، شرح الله صدرك ، ورفع ذكرك ، وأعظم صبرك ، وغفر ذنبك ، ورد عليك حقك»(٢) .

وقد أُطلق على الشيعة ، على مر التاريخ ، العديد من الأسماء ، هي :

أولاً : الرافضة :

وهو أشهر الأسماء التي أُطلقت على الشيعة وأكثرها تداولاً .

وكل من نبذ بشيء أنف منه ، مثل الرفض والجبر ، فالرافضي

---

(١) أبو حنيفة الدينوري ، من كتاب الأخبار الطوال ص ٢١٣ .

(٢) تاريخ اليعقوبي دار صادر بيروت ١٣٧٩/هـ - ١٩٦٠/م ، ج ٢ ص ٢٢٨ .

يسمي نفسه الشيعي[1] .

ذكر عبد الحي بن العماد الحنبلي ، في أحداث سنة ٣٩٨/هـ ما نصّه: الفتنة الهائلة ببغداد بين السنة والرافضة وحميت الفتنة ثم إنّ السنة أخذوا مصحفاً قيل أنه على قراءة ابن مسعود فيه خلاف كثير فأمر الشيخ أبو حامد الاسفرايني والفقهاء بتمزيقه فأُحرق بمحضر منهم فقام نصف اللّيل رافضي وشتم من أحرق المصحف فأخذ وقتل فثارت الشيعة ووقع القتال بينهم وبين السنة واختفى أبو حامد واستظهرت الروافض وصاحوا الحاكم يا منصور فغضب القادر بالله وبعث خيلاً لمعاونة السنة فانهزمت الرافضة وأحرقت بعض دورهم وذلوا[2] .

وقال أيضاً في أحداث سنة ٩١٨/هـ : كان ظهور اسماعيل شاه فاستولى على ملوك العجم وأظهر مذهب الالحاد والرفض وغير اعتقاد أهل العجم إلى يومنا هذا[3] .

ثانياً : الامامية والاثنى عشرية :

الإمامية هم القائلون بالنص والتعيين ، والذين يعتقدون باثني عشر إماماً ، تسعة منهم من ولد الحسين ﷺ أولهم علي بن أبي طالب ﷺ وآخرهم الإمام الغائب الحجة (عج)[4] .

ثالثاً : ومن الأسماء التي أُطلقت على الشيعة أيضاً : المتاولة والعلوية .

ذكر الشيخ محمد تقي الفقيه «والشيعة في جبل عامل وبعلبك عرفوا منذ عهد قريب بالمتاولة وكانوا يعرفون في بعض العصور بالعلويّة»[5] .

(١) أبو هلال العسكري ـ الأوائل وزارة الثقافة بدمشق ١٩٧٥/م ، ج ١ ، ص ١٣٤ .
(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج ٣ ، ص ١٤٩ .
(٣) المرجع السابق ص ٢١٣ .
(٤) الدكتور عبد الله فياض ـ تاريخ الإمامية ص ٢٧ .
(٥) محمد تقي الفقيه ـ جبل عامل في التاريخ دار الأضواء بيروت ١٩٨٦ ، ص ٣٠ .

رابعاً : ومنها أيضاً الظنية . نسبة إلى جبال الظنية أو الضنية .

وما تزال الجبال المطلة على طرابلس من جهة الشرق تحمل حتى اليوم اسم «الضنية» والضاد هنا حلت مكان الظاء . وهذا الكلمة أطلقت في الماضي على هذه الجبال لأن أهلها كانوا يعرفون آنذاك باسم «الظنية» وهو الإسم الذي اشتهروا به لأنهم كانوا على مذهب الشيعة الذين يقولون بالظن والتأويل في تفسير أحكام الشريعة الإسلامية الواردة في القرآن الكريم والسنة الشريفة[1] .

خامساً : الجعفرية :

وقد أطلق اسم الجعفرية على القائلين بإمامة جعفر بن محمد الصادق ﷺ روى الكشي أنّ شيعة الصادق في الكوفة سموا بالجعفرية[2] .

سادساً : وهناك أسماء أخرى أطلقت على الشيعة غير متداولة عندنا في سورية ولبنان ، مثل القزلباش .

والقزلباش هو الإسم الذي أطلقه العثمانيون على أتباع التنظيم الصوفي الذي رمى إليه حيدر بن الجنيد عندما أنشأ طريقته الصوفية الجديدة ، وتعني الكلمة «الرؤوس الحمر» ويرمز صاحب الطريقة باستحداث لباس جديد للرأس يعرف باسم تاج حيدر ذي الإثني عشرة ذؤابة إشارة إلى الإثني عشر إماماً[3] .

وفي مملكة التورانيين وبلاد الهند يسمى كل شيعي وكل إيراني قزلباش[4] .

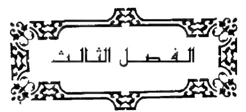
---

(١) الشيخ طه الولي ـ طرابلس بين الماضي والحاضر ـ جريدة اللواء اللبنانية العدد ٣٣٨١ تاريخ ٢٩ حزيران ١٩٨٠ .

(٢) الكشي ـ الرجال طبع بمبي ١٣١٧/هـ ، ص ١٦٥ وكذلك الدكتور عبد الله فياض ـ تاريخ الإمامية ص ٧٣ .

(٣) محسن الأمين ـ أعيان الشيعة المجلد ١ ، ص ٢٠ .

(٤) تاريخ الشعوب الإسلامية بتصرف ١٢٠/٣ وشرفنامه ١٢١/٢ وراجع أيضاً ابن الحنبلي ـ درر الحبب في تاريخ أعيان حلب ج ١ ، ق ١ ، ص ١٠٦ .



* بداية ظهور الشيعة في ساحل بلاد الشام
*الأدوار التاريخية التي مرت بها الشيعة في ساحل الشام .

بداية ظهور الشيعة في ساحل بلاد الشام

اتفقت الآراء على أنَّ أبا ذر الغفاري ، هو الذي نشر التشيع في الشام وجبل عامل[1] . لكن لم يحدد تاريخاً لذلك .

ونستطيع أن نحدد هذا التاريخ على وجه التقريب ، بين عامي ٢٨ و٣٠/هـ . لأن معاوية سير أبا ذر من الشام إلى المدينة ، بطلب عثمان ، سنة ٣٠/هـ .

وكان أبو ذر قبل أن يسيره عثمان إلى الشام يقعد في مسجد رسول الله ﷺ ويجتمع إليه الناس ، فيحدث بما فيه الطعن على عثمان . وإنه وقف بباب المسجد فقال : أيها الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر الغفاري ، أنا جندب بن جنادة الربذي ، إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض ، والله سميع عليم ، محمد الصفوة من نوح ، فالأول من إبراهيم ، والسلالة من إسماعيل ، والعترة الهادية من محمد . إنه شرف شريفهم ، واستحقوا الفضل في قوم هم فينا كالسماء المرفوعة

---

(١) الشيخ أحمد رضا ـ مجلة العرفان مجلد ٢ ، ص ٢٣٩ ، والشيخ محمد تقي الفقيه ـ جبل عامل في التاريخ ـ دار الأضواء بيروت ط ٢ ، ١٩٨٦ ، ص ٣٤ .

وكالكعبة المستورة ، أو كالقبلة المنصوبة ، أو كالشمس الضاحية ، أو كالقمر الساري ، أو كالنجوم الهادية ، أو كالشجرة الزيتونية أضاء زيتها، وبورك زبدها، ومحمد وارث علم آدم وما فضل به النبيون، وعلي بن أبي طالب وصي محمد، ووارث علمه. أيتها الأمة المتحيرة بعد نبيها أما لو قدمتم ما قدم الله، وأخرتم ما أخّر الله وأقررتم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيكم لأكلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت أقدامكم ، ولما عال ولي الله ، ولا طاش سهم من فرائض الله ولا اختلف إثنان في حكم الله ، إلا وجدتم علم ذلك عندهم من كتاب الله وسنة نبيه . فأما إذا فعلتم ما فعلتم ، فذوقوا وبال أمركم ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون[1] .

ولما بلغ عثمان ما يقوله أبو ذر ، سيره إلى الشام إلى معاوية . وكان يجلس في المسجد فيقول كما كان يقول في مسجد الرسول ﷺ ، في المدينة ، ويجتمع إليه الناس حتى كثر من يجتمع إليه ويسمع منه .

وكان يقف على باب دمشق ، إذا صلى صلاة الصبح ، فيقول : جاءت القطار تحمل النار ، لعن الله الآمرين بالمعروف والتاركين له ، ولعن الله الناهين عن المنكر والآتين له[2] كما كان يخرج إلى القرى والساحل[3]، داعياً إلى موالاة أمير المؤمنين علي ﵇ . فكتب معاوية إلى عثمان ، إن كان لك حاجة في الشام فأرسل إلى أبي ذر فقد أوغر قلوب الناس[4] فكتب إليه عثمان أن احمله على قتب بغير وطاء ، فقدم به إلى المدينة وقد ذهب لحم فخذيه[5] ثم نفاه إلى الربذة وبقي فيها إلى أن

---

(1) تاريخ اليعقوبي دار صادر بيروت ١٩٦٠ ، ج ٢ ، ص ١٧١ .
(2) المرجع السابق ص ١٧٢ .
(3) الشيخ أحمد رضا ـ مجلة العرفان مجلد ٢ ، ص ٢٣٩ .
(4) أبو هلال العسكري ـ الأوائل وزارة الثقافة دمشق ١٩٧٥ ، ج ١ ، ص ٢٧٧ .
(5) اليعقوبي ج ٢ ، ص ١٧٢ .

توفي إلى رحمة الله في منفاه سنة ٣٢/هـ[١] .

أما في الساحل ، فقد نشر التشيع عدد من خواص أمير المؤمنين علي ﷺ وهم : الأشتر النخعي ، وثابت بن قيس الهمداني ، وكميل بن زياد النخعي ، وزيد بن صوحان ، وصعصعة بن صوحان ، وجندب بن زهير الغامدي ، وحبيب بن كعب الأزدي ، وعروة بن الجعد ، وعمرو بن الحمق . وكانوا في الكوفة يتكلمون في حق عثمان فكتب سعيد بن العاص والي الكوفة من قبل عثمان إليه بذلك فأمره عثمان بأن يسيِّرهم إلى معاوية بالشام . . فقدموا على معاوية وجرى بينهم كلام كثير وحذرهم من الفتنة فوثبوا وأخذوا بلحية معاوية ورأسه ، فكتب إلى عثمان :

بسم الله الرحمن الرحيم

لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان ، أما بعد : يا أمير المؤمنين ، فإنك بعثت إلي أقواماً يتكلمون بألسنة الشياطين وما يملون عليهم ويأتون الناس ـ زعموا ـ من قبل القرآن فيشبهون على الناس ، وليس الناس يعلمون ما يريدون ، وإنما يريدون الفرقة ، ويقربون الفتنة وقد أثقلهم الإسلام وأضجرهم ، وتمكنت رقى الشيطان من قلوبهم ، فقد أفسدوا كثيراً من الناس ممن كانوا بين ظهرانيهم من أهل الكوفة ، ولست آمن إن أقاموا وسط أهل الشام أن يغروهم بسحرهم وفجورهم فأرددهم إلى مصرهم ، فلتكن دارهم في مصرهم الذي نجم فيه نفاقهم . والسلام[٢] .

فكتب إليه عثمان يأمره أن يردهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة

(١) تذكر بعض المراجع التاريخية ان وفاة أبي ذر كانت في عام ٢٥/هـ يراجع بهذا الخصوص تاريخ أبي الفداء وابن الوردي في تتمة المختصر وذكر خليفة بن خياط في تاريخه أنه توفي سنة ٣٢/هـ .

(٢) الطبري ـ دار المعارف بمصر ١٩٧٠ ، ج ٤ ، ص ٣٢٥ .

فردهم إليه . فكانوا بعد عودتهم إلى الكوفة أطلق ألسنة ، وكتب سعيد إلى عثمان يضج منهم ، فكتب عثمان إلى سعيد أن يسيرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وكان أميراً بحمص . وكتب عثمان إلى الأشتر وأصحابه : أما بعد ، فإنني قد سيرتكم إلى حمص فإذا أتاكم كتابي هذا فاخرجوا إليها ، فإنكم لستم تألون الإسلام وأهله شراً . والسلام .

فلما قرأ الأشتر الكتاب قال : اللهم أسوأنا نظراً للرعية وأعملنا فيهم بالمعصية ، فعجل له النقمة فكتب بذلك سعيد إلى عثمان ، وسار الأشتر وأصحابه إلى حمص فأنزلهم عبد الرحمن بن خالد الساحل وأجرى عليهم رزقاً . وكان ذلك سنة ٣٣/هـ [١] .

وجدير بالتنويه ، أنَّ ظهور الشيعة في ساحل بلاد الشام وجبالها الغربية ، تم على مراحل . وهناك عدة عوامل ، ساهمت في ذلك ، هي :

أولاً : الهرب من عمليات القتل التي تعرض لها الشيعة في الشام على يد معاوية ومن جاء بعده . فكما هو معلوم ، إن معاوية بن أبي سفيان نال الخلافة بالخديعة والمكر . وكان أكبر خطر يتهدد حكمه وجود الإمام عليه السلام . ولم يكن الإمام بالخصم الهين ، نظراً لما يتمتع به من شخصية آسرة لها سحرها الخاص في نفوس المسلمين ، ولجملة من المزايا والصفات انفرد بها الإمام دون سواه . منها كونه رَبيَ في بيت النبوة ، وكونه ابن عم النبي صلى الله عليه وآله وصهره ووصيه ووالد ذريته ، وصاحب المواقف المشهودة التي كان لها أثرها الحاسم في توطيد دعائم الإسلام . لذلك شن معاوية على الإمام عليه السلام وشيعته حرباً مسعورة سارت في أكثر من اتجاه . منها شتم علي عليه السلام على المنابر لزرع بغضه في قلوب الناس ، ومنها حمل صنائعه بالمغريات المادية على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه

(١) الطبري ـ دار المعارف بمصر ١٩٧٠ ، ج٤ ، ص ٣٢٦ .

وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه[1] . ومنها أيضاً تتبع شيعة الإمام بالقتل الذريع وبأبشع الصور والأساليب ، مما دفع بالكثيرين إلى الهرب واللجوء إلى الأماكن النائية كالسواحل والجبال العالية المنيعة ، الصعبة المسالك والمرتقى كجبال لبنان ـ عامل ، كسروان ، الضنية ـ وجبل اللكام[2] ، وجبل السماق[3] .

ثانياً : تردد بعض رجال الشيعة الأوائل كسلمان الفارسي وعبد الله بن مسعود إلى سواحل الشام ، للمرابطة والجهاد ضد الروم .

ذكر أبو زرعة في تاريخه خبراً مروياً عن القاسم أبي عبد الرحمن قال : «قدم علينا سلمان دمشق ، فلم يبق فينا شريف إلا عرض عليه المنزل . فقال : إني عزمت أن أنزل على بشير بن سعيد مرقي هذه . فسأل عن أبي الدرداء فقيل مرابط . فقال : وأين مرابطكم يا أهل دمشق قالوا : ببيروت ، فخرج إلى بيروت»[4] .

وذكر ابن عساكر أن أنس لقي أبا الدرداء وأبا هريرة وابن مسعود مقبلين من سلسلة . وسلسلة حصن لكورة من ساحل دمشق فيه منبر ، قال فأقمت بسلسلة .

قال عبد الله بن مسعود وأقمت فيها ثلاثاً ، أقصرت الصلاة ، والقصر فيها كمن أتم الصلاة سبعين سنة[5] .

---

(١) ابن أبي الحديد ـ شرح نهج البلاغة ج ١ ، ص ٤٦٧ .
(٢) جبل اللكام داخل بلاد الروم ، تركيا حالياً ، وينتهي إلى نحو مائتي فرسخ ويظهر في بلاد الإسلام من مرعش والهارونية وعين زربة فيسمى لكام إلى أن يجاوز اللاذقية ثم تسمى بهراء وتنوخ إلى حمص ثم تسمى جبل لبنان ـ الاصطخري ـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم .
(٣) جبل عظيم من أعمال حلب الغربية ـ ياقوت الحموي ـ معجم البلدان .
(٤) تاريخ أبي زرعة ـ مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٠ ، ج ١ ، ص ٢٢٢ .
(٥) ابن عساكر ـ تاريخ مدينة دمشق المجلدة ٢ ، القسم الأول مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٥٤ ، ص ١٢٤ .

إن وجود رجال الشيعة الأوائل ، الكبار ، كعبد الله بن مسعود ، وكميل بن زياد ، والأشتر النخعي ، وسلمان الفارسي ، بين سكان مدن الساحل وجلهم من الفرس ، فعل فعله في نشر التشيع بين السكان .

جاء في الأخبار أن معاوية عندما فتح بلاد الشام وجد مدنها خالية من السكان فخشي غارات الروم عليها ، فاستقدم قوماً من العجم (الفرس) أسكنهم فيها وفي طرابلس وجبيل وبيروت وصيدا وعرقة ، وأسكن فريقاً منهم بعلبك[1] .

قال إبراهيم بن الأسود في تنوير الأذهان في تاريخ لبنان :

«والشيعيون الموجودون حتى اليوم في تلك الأماكن وفي غيرها من هذه البلاد هم من نسل اولئك الأعجام (الفرس) إلا من وُجد منهم في جبل عامل فإنهم وطنيون والعائلات الممتازة في هذا الجبل هم من الأشراف العريقين في القوم» [2] .

ثالثاً : الهجرات :

وكانت هذه الهجرات على نوعين : داخلية من داخل بلاد الشام إلى السواحل ، وخارجية على المناطق الساحلية من المغاربة وخاصة ابان الحكم الفاطمي .

من ذلك نستنتج ، أن التشيع قديم في ساحل بلاد الشام . إنتشر في نفس الفترة الزمنية التي انتشر فيها في جبل عامل . وكان انتشاره بأيدي كرام بررة ، غرسوا غراسه في تربة طيبة نقية ، وتعهدوها بالعناية والسهر حتى أصبحت هذه الغراس أشجاراً باسقة ممتدة الفروع ، ومنتشرة على مد النظر في طول بلاد الشام وعرضها خلال مرحلة زمنية طويلة .

---

(1) إبراهيم الأسود ـ تنوير الأذهان في تاريخ لبنان ـ مطبعة القديس جاورجيوس ١٩٢٧ بيروت ج ٢ ، ص ١٠٢ .
(2) المرجع السابق .

وكانت غالبية سكان بلاد الشام الداخلية والساحلية في القرنين الخامس والسادس الهجريين من الشيعة، وكان يفتي بمذهبهم. وهذا ما أكده أكثر من مصدر.

قال ابن بطلان في رسالة له إلى هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابي في نحو سنة ٤٤٠/هـ:

«دخلنا من الرصافة إلى حلب... وفي البلد جامع وست بيع وبيمارستان صغير، والفقهاء يفتون على مذهب الامامية»[1].

وعندما زار ناصر خسرو علوي بعض مدن ساحل الشام، سنة ٤٣٨/هـ قال عن طرابلس:

«وسكان طرابلس كلهم شيعة. وقد شيد الشيعة مساجد جميلة في كل البلاد...»[2].

وقال عن مدينة صور: «ومعظم سكانها شيعة [3]...»

وفي يوم الاربعاء الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٥٨٠/هـ زار إبن جبير دمشق، وكتب في رحلته عنها[4]:

«وللشيعة في هذه البلاد أمور عجيبة، وهم أكثر من السنيين بها، وقد عمروا البلاد بمذاهبهم».

وكان الشيعة في تلك الفترة يتمتعون بنفوذ كبير في المجتمع، وهذا ما تدلنا عليه الحادثة التي رواها ابن شداد وهي أنه لما أراد بدر الدولة

---

(١) ياقوت الحموي - معجم البلدان ج ٣ ص ٣١٣، وراجع أيضاً القفطي - تاريخ الحكماء ص ٢٩٦.

(٢) ناصر خسرو علوي - سفرنامه ترجمة الدكتور يحيى الخشاب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٤٥، ط ١، ص ١١.

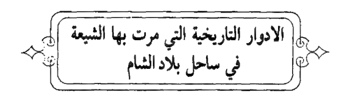
(٣) المرجع السابق ص ١٥.

(٤) رحلة ابن جبير - دار صادر بيروت ١٩٦٤ ص ٢٥٢.

أبو الربيع سليمان بن عبد الجبار بن ارتق ـ صاحب حلب ـ بناء المدرسة الزجاجية سنة ست عشرة وخمسمائة لم يمكنه الحلبيون إذ كان الغالب عليهم حينئذٍ التشيع ، فكان كلما بنى فيها شيء بالنهار خربوه ليلاً إلى أن أعياه ذلك ، فأحضر الشريف زهرة بن علي بن محمد بن أبي إبراهيم الإسحاقي الحسيني ، والتمس منه أن يباشر بناءها بنفسه ليكف العامة عن هدم ما يبني فيها ، فباشر الشريف البناء ، ملازماً له ، حتى فرغ منه[1] .

---

(١) ابن شداد ـ الاعلاق الخطيرة تحقيق يحيى عبارة ، وزارة الثقافة دمشق ١٩٩١ ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٤١ .



إن ظهور الشيعة بصورة مكثفة في ساحل بلاد الشام ، وخاصة الشمالي منه ترافق مع تأسيس الإمارة التنوخية في اللاذقية سنة ٢٤٩/هـ - ٨٦٤/م . ومنذ هذا التاريخ وحتى سنة ٣٦٤/هـ ، ومرّت على الشيعة في الساحل أدوار متعددة ، يمكن حصرها بثلاثة أدوار هي :

* دور الازدهار.
* دور الافول والنكبات المتلاحقة .
* دور الانبعاث .

عهد الازدهار :

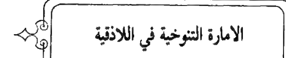
تعتبر الفترة من ٢٤٩/هـ إلى ٦٧٠/هـ - ٨٦٤/م إلى ١٢٧٢/م - فترة ازدهار للشيعة في ساحل بلاد الشام . إذ ظهرت إلى الوجود ، خلال هذه الفترة ، ثلاث إمارات مستقلة هي على التوالي :

* الإمارة التنوخية في اللاذقية وجبلة من ٢٤٩/هـ إلى ٣٦٤/هـ .

حكم آل عمار القضاة في طرابلس من ٤٦٢/هـ إلى ٥٠٢/هـ .

* الدولة الإسماعيلية في مصياف من ٥٣٥/هـ إلى ٦٧٠/هـ .

وقد لعبت كل إمارة من هذه الإمارات الثلاث ، دوراً هاماً على مسرح الأحداث السياسية في ساحل بلاد الشام ابان الحروب الصليبية ، وكانت مواقف كل منها مدعاة للفخر والإعتزاز على مر الأجيال ، لكن بكل أسف لم تلقَ هذه الإمارات التقدير الذي تستحقه .



الامارة التنوخية في اللاذقية

تمثل الإمارة التنوخية صفحة مملوءة بالعبر في تاريخ الساحل الشمالي .

لكن مما يؤسف له ، أنَّ المؤرخين تجاهلوا هذه الإمارة ، ولم يعطوها حقها من الدراسة والإهتمام ولولا المتنبي ، وقصائده في محمد بن اسحق التنوخي ، والحسين بن إسحق ، وعلي بن إبراهيم بن يوسف الفصيص،الامراء من آل تنوخ ، لما علمنا شيئاً عن هذه الإمارة التي عاشت أكثر من مائة وعشرين سنة ، في ظروف بالغة الصعوبة ، حبلى بالأحداث .

أصل تنوخ من قضاعة :

وقضاعة ، فيما يقول النسابون ، ابن نزار بن معد بن عدنان ، وكان نزار يكنى أبا قضاعة . وذكر أن عامر بن حارثة جرد إلى الشام زيد بن ليث في أحياء قضاعة بأمر الملطاط وولى عليهم زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة من حمير . فلما صار زيد بالحجاز وقع بين عشائره كلام ، فافترقت قضاعة عنهم ، فمنهم من رجع إلى اليمن فنسلهم بها إلى اليوم ، وهو خولان ومهرة ومجيد . ومنهم من نزل الحجاز ونسله اليوم بها ، وهم بلى بن عمرو ، وبهراء بن عمرو ، وأقام

زيد بالحجاز ، فافترق نسله بها . . .

وأما من مضى من قضاعة إلى الشام ومصر والبحرين ، فنسله بها إلى اليوم ، وهم : كلب بن وبرة وتنوخ وسليخ وخشين والقين والعليص[1] .

وكانت قضاعة أول من قدم الشام من العرب . وسموا تنوخاً لأنهم تنخوا بالشام ، أي أقاموا ، والتنوخ هو المقام في الموضع .

وتنوخ ، كما وصفت ، من أكثر العرب مناقب وحسباً ، ومن يعظمها مفاخر وأدباً ، وفيهم الخطباء والفصحاء والبلغاء والشعراء[2] .

وكان منهم أجداد أبي العلاء المعري وأجداد بني الفصيص ولاة قنسرين ، المؤسسين الحقيقيين للإمارة التنوخية في اللاذقية .

ويستفاد مما ذكره الملطي أن التنوخيين كانوا في أول الأمر مخيمين عند نهر قويق بحلب ، وفي أيام الخليفة المأمون ـ أي ما بين ١٩٨ و٢٠٠/هـ ـ حشد ناصر الخارجي القيسيين وزحف بهم يريد التنوخيين المخيمين عند نهر قويق بحلب وقاتلهم عشرة أيام فخارت قواهم فارتحلوا رجالاً ونساء إلى قنسرين [3] .

وأول من تحدث عن الإمارة التنوخية في اللاذقية محمد أمين غالب الطويل حيث قال :

«عندما استولى الروم على محيط اللاذقية في سنة ٣٥٧ شعر العلويون بالتشكيلات الإدارية والعسكرية واغتنموا الفرصة وأعلنوا القيام

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج ١ ص ٢٠٢ .

(٢) نشوان الحميري ـ ملوك حمير واقيال اليمن تحقيق إسماعيل الجرافي وعلي المؤيد دار العودة بيروت ١٩٧٨ ، ط ٢ ، ص ٥٣ .

(٣) ابن العديم ـ الانصاف والتحري ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء ـ الدار القومية للنشر القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٤٨٩ .

على الروم وكان يرأسهم حسين بن إسحاق الضليعني العلوي التنوخي ففاز واستقل باللاذقية سنة ٣٦٨ ثم حكم مدة محمد بن إسحاق التنوخي ثم عقبه أخوه إبراهيم حافظت دولة اللاذقية العلوية على استقلالها إلى حين مجيء أهل الصليب وانقرضت في سنة ٤٧٧ [1] . وقول الطويل ، بعيد عن الصواب ، وتدحضه الأدلة التاريخية الثابتة ، التي تشير إلى أنّ الإمارة التنوخية في اللاذقية بدأت سنة ٢٤٩/هـ .

ومما يدحض قول الطويل ، هو أن المتنبي اتصل بالامراء التنوخيين في اللاذقية عندما زارها سنة نيف وعشرين وثلاثمائة للهجرة ، وكانوا وقتها أمراء عليها . وقد توفي المتنبي سنة ٣٥٣/هـ ، فكيف يمدحهم ، ويرثي من مات منهم في سنة ٣١٩/هـ إذا كانوا استقلوا عن الروم سنة ٣٦٨ على حد زعم الطويل ؟ . . .

ومما لا جدال فيه ، أن الأسرة التنوخية في اللاذقية وجبلة ، ترجع في أصولها إلى تنوخيي المعرة . جاء عميدها يوسف بن إبراهيم التنوخي المعروف بالفصيص إلى اللاذقية سنة ٢٤٩/هـ والياً عليها من قبل أبي الساج الأشروسني مكافأة له على محاربة قبائل كلب .

وكان الفصيص في أول الأمر إستولى على المعرة وجمع جموعاً من تنوخ وسار إلى قنسرين واستولى عليها وتحصن بها ، ولم يزل بها حتى قدم محمد المولد مولى أمير المؤمنين فاستماله ورفيقه غطيف بن نعمة ثم غدر بغطيف وقتله فهرب الفصيص إلى جبل الأسود .

وعندما انهزم محمد المولد أمام قبائل كلب التي امتنعت عليه بناحية حمص وحاربته ، رجع الفصيص إلى قنسرين وجرت بينه وبين كلب محاربة .

وعلى أثر هزيمة محمد المولد تم عزله وعين مكانه أبا الساج

---

(١) مجلة المشرق المجلد ٤٥ ، عام ١٩٥٢ .

الأشروسني الذي كتب إلى الفصيص يؤمنه وصير إليه الطريق وبـذرقة ثم ولاه اللاذقية ونحوها[1] .

وقد تعرضت الإمارة التنوخية بعد وفاة يوسف الفصيص إلى هزات وخـرج الحكم من أيـدي أبنـائـه لبعض ففي سنـة ٣١٩/هـ ـ ٩٣٠/م ولى مؤنس المظفر غـلامـه طـريف بن عبـد الله السكـري ـ السكـبري في بعض الروايات ـ فقام بمحاصرة بني الفصيص في حصونهم باللاذقية وغيرها ، فحاربوه حرباً شديداً حتى نفد جميع ما كان عندهم من القوت والمـاء ، فنـزلـوا على الامـان فـوفى لهم وأكـرمهم ، ودخلوا معـه حلب مكـرمين معظمين[2] .

لكن التنوخيين سرعان ما استعادوا سيطرتهم على اللاذقية .

وكان للمتنبي الفضل في تعريفنا إلى بعض أفراد الأُسرة التنوخية وكان اتصل بهم بعدما استعادوا سيطرتهم على اللاذقية . وهم :

*** محمد بن إسحاق :**

الـذي تـوفـي أثـنـاء وجـود الـمـتـنـبـي فـي الـلاذقـيـة سنة ٣٢٠/هـ ـ ٩٣١/م ـ ورثاه المتنبي أحرَّ الرثاء في أربع قصائد من عيون شعره .

مطلع الأولى :

انـي لأعلم والـلـبيـب خـبيـر ... أنَّ الحيـاة وان حـرصت غـرور

ومنـها :

خرجـوا بـه ولكـل بـاك حـولـه ... صعقـات موسى يـوم دك الـطور

والشمس في كبد السماء مريضة ... والأرض واجفـة تكـاد تـمـور

---

(١) محمد أمين غالب الطويل ـ تاريخ العلويين اللاذقية ١٩٢٤ ، ص ٢٢٦ .

(٢) اليعقوبي ج ٢ ، ص ٤٩٧ ، أحداث سنة ٣٤٩/هـ .

وحفيف أجنحة الملائك حوله   وعيون أهل اللاذقية صور
حتى أتوا به جدثاً كأن ضريحه   في قلب كل موحد محفور
بمزود كفن البلى من ملكه   مغن وانمد عينه الكافور
فيه السماحة والفصاحة والتقى   والبأس أجمع والحجى والخير
كفل الثناء له برد حياته   لما انطوى فكأنه منشور

ومطلع الثانية :

غاضت أنامله وهن بحور   وخبت مكايده وهن سعير

ومنها :

صبراً بني إسحاق عنه تكرماً   إن العظيم على العظيم صبور
فلكل مفجوع سواكم مشبه   ولكل مفقود سواه نظير

والثالثة مطلعها :

ألال إبراهيم بعد محمد   إلا حنين دائم وزفير

ومنها :

ولقد منحت أبا الحسين مودة   جودي بها لعدوه تبذير
ملك تكون كيف شاء كأنما   يجري بفضل قضائه المقدور

والرابعة مطلعها :

لأي صروف الدهر فيه نعاتب   وأي رزاياه بوتر نطالب

ومنها :

مضى من فقدنا صبرنا عند فقده   وقد كان يعطي الصبر والصبر عازب
يزور الأعادي في سماء عجاجة   أسنته في جانبيها الكواكب
فتفر عنه والسيوف كأنما   مضاربها مما انفللن ضرائب

ولم نجد في المصادر التاريخية وغيرها ، ما يشير إلى موقع ومكانة محمد بن إسحاق في الأسرة التنوخية ، ولا المسؤوليات التي كان يضطلع بها ، ولا نعلم عنه شيئاً .

وكل ما وصلنا عنه ما قاله بلاشير أنه كان «جميل الطلعة ومحارباً مقداماً عمت مآثره وأخبار كرمه آفاق البلاد»[1] .

ولا ندري من أين جاء بلاشير بهذا الوصف ، ولعله استنتجه من قصائد المتنبي التي قالها فيه .

*** الحسين بن إسحاق أخو محمد :**

مدحه المتنبي بثلاث قصائد :

مطلع الأولى :

هو البين حتى ما تأنى الحزائق ... ويا قلب حتى أنت ممن أفارق

ومنها :

شدو بابن إسحاق الحسين فصافحت ... ذفاريها كيرانها والنمارق
بمن تقشعر الأرض خوفاً إذا مشى ... عليها وترتج الجبال والشواهق
فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى ... يرجى الحيا منها وتخشى الصواعق
ولكنها تمضي وهذا مخيم ... وتكذب أحياناً وذا الدهر صادق
تخلى من الدنيا لينسى فما خلت ... مغاربها من ذكره والمشارق

والثانية مطلعها :

أتنكر يا ابن إسحاق اخائي ... وتحسب ماء غيري في انائي

ومنها :

أأنطق فيك هجراً بعد علمي ... بأنك خير من تحت السماء
وأكره من ذباب السيف طعماً ... وأمضي في الأمور من القضاء

---

(1) ابن العديم - زبدة الحلب من تاريخ حلب تحقيق الدكتور سامي الدهان - المعهد الفرنسي بدمشق ج ١ ، ص ٩٧ .

ومطلع الثالثة :

ملامي النوى في ظلمها غاية الظلم ... لعل بها مثل الذي بي من السقم

ومنها :

وجدنا ابن اسحاق الحسين كحده ... على كثرة القتلى بريئاً من الإثم
مع الحزم حتى لو تعود تركه ... لألحقه تضييعه الحزم بالحزم
وفي الحرب حتى لو أراد تأخراً ... لأخره الطبع الكريم إلى القدم
له رحمة تحيي العظام وغضبة ... بهافضلةللجرم عن صاحب الجرم

ولا توجد لدينا أية معلومات عن سيرة حياة الحسين ، ولا تاريخ وفاته ، ولولا قصائد المتنبي فيه لما سمعنا به .

* علي بن إبراهيم بن يوسف الفصيص (أبو الحسين) :

وفي زمنه تعرضت الإمارة التنوخية في اللاذقية لخطرين داهمين .

الخطر الأول : ثورة أهل اللاذقية على حكمه ، وقد استطاع علي سحق هذه الثورة ، وإخماد نارها وهذا ما دلتنا عليه قصيدة المتنبي التي يمدحه فيها ، ومطلعها :

أحاد أم سداس في أحاد ... لليلتنا المنوطة بالتناد

ومنها :

ويوم جلبتها شعث النواصي ... معقدة السبائب لطراد
وحام بها الهلاك على أناس ... لهم باللاذقية بغي عاد
فكان الغرب بحراً من مياه ... وكان الشرق بحراً من جياد
وقد خفقت لك الرايات فيه ... فظل يموج بالبيض الحداد
لقوك باكبد الإبل الأبايا ... فسقتهم وحد السيف حاد
وقد مزقت ثوب الغي عنهم ... وقد ألبستهم ثوب الرشاد

فمـا تـركـوا الإمـارة لاختيـار ولا انـتـحـلوا ودادك مـن وداد
ولا استعلوا لـزهـد في التعـالي ولا انقـادوا سـروراً بـانقيـاد
ولكن هب خـوفـك في حشـاهـم هبـوب الريـح في رجـل الجـراد
ومـاتـوا قبـل مـوتهـم فلمـا منـنـت أعـدتهـم قبـل المعـاد
غمـدت صوارمـاً لـو لـم يتـوبـوا محـوتهم بهـا محـو المـداد

ولم تقدم لنا المصادر أية معلومات عن هذه الثورة ، لا أهدافها ، ولا الأشخاص الذين قاموا بها ، ولا تاريخ وقوعها .

وهناك قول مطعون في صحته ، قاله بلاشير ، هو أن الـذين قامـوا بهذه الثورة هم بنو الفصيص[1] وهذا القول مجانب للحقيقة والصواب ، ذلك لأن تنوخيي اللاذقية هم بنو الفصيص . فهل كانت هذه الثورة عبارة عن صراع على السلطة بين أفراد الاسرة الواحدة ؟ ! . .

لا يوجد لدينا دليل ثابت . لكنا نستبعد ذلك ، لأن الذي قمع هذه الثورة هو حفيد يوسف الفصيص . ويـوسف الفصيص وآله ، هم أولاد عم محمد بن إسحاق ، وكانوا يستزيدون المتنبي في رثائه لنفي شماتة الشامتين ، ولو كـانت الثـورة عبـارة عن صـراع على السلطة بين أفـراد الأسـرة الـواحـدة ، لمـا طلب يـوسف وآلـه استـزادة المتنبي في رثـاء عمهم . . . .

أما الخطر الثاني ، فقد تمثل في الروم وملكهم نقفور .

وكان علي شجاعاً داهية ، استطاع بحنكته انقاذ اللاذقية من الدمار وابعاد نقفور عنهـا عندمـا دهمها في سنة ٣٥٧/هـ ـ ٩٦٧/م ـ ففي هذه السنة ، خرج نقفور ملك الروم إلى معرة النعمان ففتحها وخرب جـامعها وأكثر دورها ، وفعل مثل ذلـك في معرة مصـرين ، ولكنه أمن أهلهـا من القتـل وكانـوا ١٢٠٠ نفس وأسرهـم وسيـرهم إلى بلد الروم ، وسـار إلى

---

(١) د . ي . بلاشير ـ أبو الطيب المتنبي ترجمة الدكتور إبراهيم كيلاني ـ وزارة الثقافة دمشق ١٩٧٥ ، ص ٧٧ .

كفر طاب وشيزر وأحرق جامعها ثم سار إلى حماه ففعل مثل ذلك ، ثم إلى حمص وأسر من كان صار إليها من الجفلة ، ووصل إلى عرقة ففتحها وأسر أهلها ، ثم توجه إلى طرابلس ففتحها ومنها توجه إلى اللاذقية . فلما تيقن علي بأن لا طاقة له بمجابهته ، توجه إليه وعرض عليه رهائن تدفع إليه وانتسب له فعرف نقفور سلفه فقبل منه الرهائن وجعله سردغوس ـ حاكم المدينة العسكري ـ وسلم أهل اللاذقية[1] .

وكان علي آخر من حكم من التنوخيين . ولا نعلم شيئاً عن حياته سوى ما ذكره المتنبي عنه في قصائده . كما أننا لا نعلم التاريخ الحقيقي الذي انتهت فيه الإمارة التنوخية ، لأن الأقوال متضاربة بهذا الخصوص . فعلى حين ذكر ابن الشحنة وابن الملا أنّ نقفور ملك الروم فتح سنة ٣٥٧ معرة النعمان وحماه وحمص وطرابلس وعرقة وجبلة واللاذقية وانطرطوس ، نجد الدكتور فيليب حتي يقول إن ابن الشمشقيق (يوحنا زمسيس) أخضع في سنة ٩٧٤م (٣٦٤هـ) المدن الساحلية : بيروت وجبيل وعرقة وطرطوس وجبلة واللاذقية[2] .

والقول الثاني أقرب إلى الصواب لأن نقفور ، كما رأينا ، أبقى على حكم علي وقبل الجزية منه[3] .

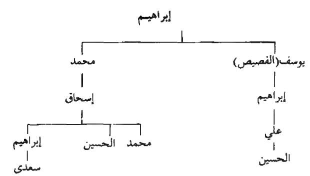
وبحسب المعلومات التي وصلتنا عن التنوخيين في اللاذقية ، نستطيع أن نرسم شجرة عائلتهم كما يلي :

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٢ .

(٢) ابن العديم ـ زبدة الحلب من تاريخ حلب ج ١ ص ١٥٨ .

(٣) فيليب حتي ـ تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ترجمة الدكتور كمال اليازجي مؤسسة فرانكلين دار الثقافة بيروت ٩٥٩ ، ج ٢ ، ص ١٩٥ ، وأيضا تاريخ أبي الفداء .



وبعد أن عرفنا نسب تنوخيّي اللاذقية ، نشير إلى أنهم من تنوخ قضاعة .

فهم والحالة هذه غير تنوخيّي لبنان .

وقد أشار المتنبي إلى نسب تنوخيي اللاذقية بقوله :

يمين بني قحطان رأس قضاعة   وعرنينها بدر النجوم إلى فهم

ونسب تنوخيي اللاذقية ، يدل على أنهم عرب أقحاح ، من العرب العاربة . . .

لأن العرب العاربة هم بنو قحطان . وكانت مساكنهم بالحجاز .

ومنهم بنو قضاعة بن مالك بن حمير .

وبنو فهم حي من قضاعة .

والجدول التالي يوضح تفرع قبائل قضاعة (١) .

- قضاعة
  - عمران - حلوان
    - أسلم - جهينة - سليح - معد - ضجعم - عوف - عمر
      - هبولة - زياد
      - هبالة - داود اللثق
    - تزيد
    - ربان
    - تغلب - وبرة
      - النمر
      - أسد - تيم اللات - تنوخ
      - كلب - كنانة
  - عمرو
    - بهر
    - بلى

ومما ينبغي قوله : ان الإمارة التنوخية في اللاذقية ، إرتبطت برباط المصاهرة مع الأسرة التنوخية الأرسلانية في لبنان ، وهي أيضاً من تنوخ .

---

(١) إرسم بلاشير شجرة عائلة التنوخيين كما يلي :

- يوسف التنوخي
  - إسحاق
    - الحسين
    - محمد
  - إبراهيم
    - علي

وهـذه المصاهـرة هي أن الأمير عـز الدولـة تميم ابن الأمير المنذر الأرسلاني تزوج من سعدى بنت الأمير إبراهيم بن إسحاق بن محمـد بن إبراهيم التنوخي .

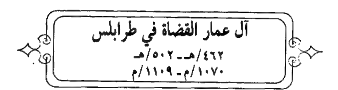
وكـان عز الـدولة تميم من أعقـل الناس وأكـرمهم وأجـودهم لعبـة بالكرة وأسدهم رمياً بالسهام ، وأحذقهم بعمل اليد .

ولم يولد له من زوجته سعدى سوى الأمير مطوع .

توفي عز الدولة تميم سنة ٣٨٧/هـ[١] .

---

(١) جرجي زيدان ـ العرب قبل الإسلام .



آل عمار القضاة في طرابلس
٤٦٢/هـ - ٥٠٢/هـ
١٠٧٠/م - ١١٠٩/م

أهم ما تمخض عنه القرن الخامس الهجري ، قيام إمارات محلية وطنية في طرابلس وحلب وصور ودمشق وفلسطين . وكانت إمارة طرابلس أبرز هذه الإمارات .

وكان يحكمها في الفترة من ٤٦٢/هـ إلى ٥٠٢/هـ آل عمار ، وهم باجماع المصادر من الشيعة الإمامية ويرجعون في نسبهم إلى طيء .

وقد أشار ابن الخياط إلى نسبهم في قصيدتين له ، قال احداهما في مدح جلال الملك علي بن عمار جاء فيها :

أنامت في الغمود سيوف طيء   أم انقطعت متون المرهفات

وقال الثانية في مدح فخر الملك عمار بن عمار[1] ، جاء فيها :

زاكي العروق له من طيء حسب   لو كان لفظاً لكان النظم والخطبا

---

(١) نسيب أرسلان ـ روض الشقيق في الجزل الرقيق تحقيق شكيب أرسلان مطبعة ابن زيدون ١٩٣٥ ، ص ٢٠٣ .

وهم ينتسبون إلى عمار بن الحسين بن عبد الله بن قندس بن إدريس بن أبي يوسف الطائي وكانت إمارتهم ، وهي ثاني إمارة أسسها الشيعة في ساحل الشام ، بعد الإمارة التنوخية في اللاذقية تمتد من جبلة شمالاً إلى جبيل جنوباً .

وتعتبر على الرغم من قصر عمرها ، عاشت أربعين سنة تقريباً ، أنصع صفحة في تاريخ بلاد الشام في القرن الخامس الهجري ، كتبت حروفها بالمسك والطيب ، لكن الأحداث الأليمة ، سرعان ما مرت على هذه الصفحة فمحت حروفها المتوهجة ، وتركتها أثراً بعد عين .

وقد حمل لواء هذه الإمارة ، ثلاثة ، من السادة النجب :

الأول : أمين الدولة ، أبو طالب عبد الله بن محمد بن عمار .

والثاني : جلال الملك ، أبو الحسن علي بن عمار .

والثالث : فخر الملك ، أبو علي ، وقيل أيضاً أبو الفضل[1] عمار بن محمد بن عمار اشتهروا ثلاثتهم بالجود والبأس والندى ، وحب العلم والعلماء .

واتصفوا بالعدل والإحسان ، وهذا ما دلنا عليه قول ابن الخياط[2] :

أعدتم يا بني عمار كل يد ... بالجود حتى كأن البخل ما عرفا
ما كان يعرف كيف العدل قبلكم ... حتى ملكتم فسرتم سيرة الخلفا

وقوله أيضاً :

إذا آل عمار أظلك عزهم ... فغيرك من يخشى يد الحدثان

(١) المقريزي ـ اتعاظ الحنفا تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال القاهرة ١٩٤٨ ، ج ٢ ، ص ٤٧ .

(٢) ابن الفوطي ـ تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب تحقيق الدكتور مصطفى جواد ـ وزارة الثقافة دمشق ١٩٦٥ ، ق ٣ ، ص ٢٦٤ .

هم القوم إلا أن بين بيوتهم يهان القرى والجار غير مهان
هم أطلقوا بالجود كل مصفد كما انطقوا بالحمد كل لسان
لهم بك فخر الملك فخر على الورى له شائد من راحتيك وبان
نجوم علاء في سماء مناقب على وعمار بها قمران

ودلنا عليه أيضاً قول أبي المواهب المعري :

لكم ، آل عمار ، على الجود مسحة سحاب الندى فيها من التبر مغدق
مساويكم في الدهر طولا برغمه جهول بما فيكم من المجد أحمق

وأمين الدولة ، هو المؤسس لإمارة آل عمار .

واسمه مضطرب إضطراباً شديداً . وهناك أكثر من قول في اسمه . فعلى حين ذكر كل من ابن خلدون وابن القلانسي أن اسمه الحسن بن عمار ، وجدنا ابن حجر قد أطلق عليه اسم محمد بن محمد .

أما ابن حيوس والمقريزي فذكرا أن اسمه عبد الله بن محمد بن عمار .

ومعلوماتنا عن أمين الدولة قليلة جداً جداً . كل ما نعرفه عنه كان بعيد النفوذ لعب دوراً هاماً في الصلح بين الخليفة المستنصر، وتاج الملوك محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي ، صاحب حلب ، المعروف بابن الروقلية . وكان المستنصر بعث إلى تاج الملوك محمود يطالبه بحمل المال وغزو الروم وصرف ابن خاقان ومن معه من الغز ، فلم يستجب له ، لذلك كتب المستنصر إلى بدر الجمالي أمير الجيوش المقيم بدمشق ان محمود خلع الطاعة ومال إلى الجهة العراقية ، فندب بدر الجمالي عطية لقتال محمود فدخل أمين الدولة بينهما وأصلح الحال .

ولا نعلم المدة التي بقي فيها ، أمين الدولة ، قاضياً بطرابلس . كل ما نعلمه أنه في عام ٤٦٢/هـ - ١٠٧٠/م - استولى عليها ، واستبد

بأمرها ، بعد أن أخذها من مختار الدولة ابن نزال الكتامي .

ومنذ ذلك التاريخ ، أصبحت طرابلس ، وما جاورها من أقاليم ، امارة مستقلة تحت حكم آل عمار .

وكان أمين الدولة من أعقل الناس ، وأسدهم رأياً ، فقيهاً على مذهب الشيعة[1] .

وصف بأنه كان عظيم الصدقة ، كثير المراعاة للعلويين ، تفرد بذلك في زمانه ولم يدانيه أحد من أقرانه[2] .

كما وصف أيضاً ، بأنه كان رجلاً عاقلاً فقيهاً سديد الرأي ، كما كان عالماً أديباً من مؤلفاته كتاب [ترويح الأرواح ومصباح السرور والأفراح][3] .

كانت مفخرة أعماله دار العلم بطرابلس التي أسسها لتكون جامعة شيعية ، وجعل فيها ما يزيد على مائة ألف كتاب وقفاً .

وقد شاءت الأقدار الا يمتع أمين الدولة بإمارته ، فمات ليلة السبت نصف رجب سنة ٤٦٤/هـ بعد سنتين من تأسيس الإمارة .

وقد رثاه ابن حيوس بقصيدة رائعة مطلعها[4] :

ذد بالعزاء الهم عن طلباته ... لا تسخطن الله في مرضاته

ومنها :

فلقد مضى ترجو الممالك رده ... فتسومه وتخاف من سطواته
فبكاه ثغر كان عصمة أهله ... ومعاذ قاصده وعز ولاته

---

(١) ديوان ابن الخياط تحقيق خليل مردم بك المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٧ .
(٢) ابن شداد ـ الاعلاق الخطيرة .
(٣) سبط ابن الجوزي ـ مرآة الزمان ج ١٢ ، ق ١ ، ص ١٣٨ .
(٤) تاريخ ابن الفرات ج ٨ ، ص ٧٧ ، وأيضاً : ابن شداد ـ الاعلاق الخطيرة ج ٢ ، ق ١ ، ص ١٠٧ .

أجناه رب العرش غرس فعاله	وقضى لـه بـالخلد في جنـاتـه
بـالرفق أدرك وادعـاً مـا لم ينـل	أفخم الملوك بكمتـه وكمـاتـه
حتى لخلنـاه نـبيـاً مـرسـلاً	ومحـاسن الأخـلاق من آيـاتـه

وعرفنا من عقبه ، ولده شمس الدولة ، أو شمس الملك أبي الفرج محمد ، وحفيده عبد الله بن شمس الدولة ؛ ويعود الفضل إلى ابن الخياط في تعريفنا إليهما . وكان ابن الخياط كتب إلى شمس الملك أبي الفرج محمد بمناسبة احتراق منزله وجميع ما فيه :

ولأنـت الـيـوم أولـى أن تـلي	كشفهـا يـا ابن أمين الأُمنـا
فـانتهـزهـا فـرصـة ممكنـة	قـل مـا يـوجـد مجـد ممكنا

كما هنأه بولده عبد الله ، في قصيدة مطلعها :

أترى الهـلال أنـار ضـوء جبينـه	حتى أبـان الليـل عن مكنـونـه

ومنـها :

وكـأن عـبـد الله عـبـد الـله في	حـركـات همتـه وفضـل سكـونـه
لم تـرض ان كنت الكفيـل بشخص	حتى شـفـعـت كفيله بـضـمـينـه
نـشـر الأمـيـن ولاده فـجـنـيـتـه	مـن غـرسـه وجبلتـه من طـينـه

ومنـها :

عـيـد ومـولـود كـأن بـهـاءه	زهـر الـربيـع ومعجبـات فنونـه
فتمله عمـر الـزمـان ممتعـا	بفتى العلى وأخي الندى وقرينـه

بعد وفاة أمين الدولة ، حل مكانه ابن أخيه جلال الملك الذي انتزع الحكم من عمه ، أخي أمين الدولة ، بمساعدة الأمير عز الدولة سديد الملك بن منقذ . وكان سديد الملك لجأ إلى طرابلس أثر هربه من حلب خوفاً من صاحبها الأمير محمود بن صالح ، حين عرف عزم محمود على القبض عليه ، وكان سديد الملك على أهبة السفر إلى مصر عند وفاة أمين الدولة ، فشد من أزر جلال الملك وعاضده بمماليكه ،

ومن معه من أهل كفر طاب ، فأخرجوا أخا أمين الدولة ، وتولى جلال الملك[1] .

ويعتبر جلال الملك أعظم أفراد آل عمار شأناً ، وفي عهده ازدهرت طرابلس ازدهاراً لا مثيل له ووصلت إلى أوج عظمتها . وقد استطاع بحنكته الحفاظ على استقلال طرابلس وحماها ودفع عنها الفاطميين والسلاجقة[2] وضبطها أحسن ضبط[3] ومد رقعة الإمارة شمالاً بحيث شملت جبلة التي حررها من سيطرة الفرنج سنة ٤٧٣/هـ وعين لها قاضياً عبد الله بن منصور بن الحسين التنوخي المعروف بابن صليحة أو ضليعة على احدى الروايات .

وكان جلال الملك فارساً شجاعاً عجز أمير الجيوش بدر الجمالي عن مقاومته[4] كما عجز عن انتزاع الحكم منه . وكان بدر الجمالي اتفق مع بعض وجوه طرابلس على الإطاحة بجلال الملك ، لكن مؤامرتهم فشلت لأن جلال الملك ظفر بكتب أرسلها بدر الجمالي إلى جماعة من أعيان طرابلس فألقى القبض عليهم وقتل بعضهم ونفى الآخرين[5] .

وكان جلال الملك إلى جانب فروسيته ، محباً للعمران ، بنى جامعاً باسمه في طرابلس ، كما بنى الجهة الشرقية من جامع حلب الكبير[6] وجدد في عام ٤٧٢/هـ بناء دار العلم التي أسسها عمه أمين الدولة[7] .

---

(١) ديوان ابن حيوس تحقيق خليل مردم بك ـ المجمع العلمي بدمشق ١٩٥١ .

(٢) ابن العديم ـ زبدة الحلب ج ٢ ، ص ٣٥ .

(٣) الدكتور سهيل زكار ـ مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية دار الفكر بدمشق ١٩٧٥ ، ط ٢ ، ص ٧٢ .

(٤) ابن الأثير ـ الكامل أحداث سنة ٤٦٤/هـ ، ج ٨ ، ص ١١١ .

(٥) ابن تغري بردي ـ النجوم الزاهرة ج ٥ ، ص ١١١ .

(٦) ابن الجوزي ـ مرآة الزمان ج ١٢ ، ق ٢ ، ص ١٦٠ و ١٦١ وأيضاً : الدكتور عمر عبد السلام التدمري ـ اسرة بني عمار في طرابلس مجلة تاريخ العرب والعالم ـ العدد ٣١ ايار ١٩٨١ ، ص ٦ .

(٧) ابن الشحنة ـ الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ص ٦٣ . وذكر ابن شداد : بنى =

وكان بلاطه محط أنظار العلماء والأدباء ، وقد مدحه ابن الخياط بخمس قصائد من عيون شعره . ومما قاله فيه :

ولا أبقى جلال الملك يوماً	لغير هواه حكماً في فؤادي
أحب مكارم الأخلاق فيه	وأعشق دولة الملك الجواد
رجوت فما تجاوزه رجائي	وكان الماء غاية كل صاد
إذا ما روضت أرضي وساحت	فما معنى انتجاعي وارتيادي
كفى بندى جلال الملك غيثاً	إذا نزحت قرارة كل واد

وقال أيضاً :

يفنى بها المجد من عدل علي ومن	يبقى الشهور على من جاء معترفا
ما أنتم بالندى إذ كان دينكم	أشد مني - على بعدي - بكم شغفا
من راكب واصف شوقي إلى ملك	لا يخجل الروض إلا كلما وصفا
يثني بحمد جلال الملك عن نغم	عندي بما رق من شكري له وصفا

وجدير بالقول ان حكم جلال الملك تعرض في سنة ٤٨٤/هـ - ١٠٩١/م - لهزة كادت أن تطيح به[١] . ففي هذه السنة حاصر تاج الدولة تتش أخو السلطان ملكشاه طرابلس ومعه أقسنقر وبوزان حاكم الرها ونصب عليها المجانيق ، ولما أدرك جلال الملك أن لا طاقة له بمقاومة هذا الجيش الكبير ، لجأ إلى الحيلة ، واتصل سراً بأمراء تتش لاستمالتهم إليه عن طريق رشوتهم . ولما فشل ، إتصل برزين كمر وزير أقسنقر وبعث إليه بالهدايا والتحف بما أرضاه ، فسعى رزين كمر بالوساطة بين جلال الملك وقسيم الدولة أقسنقر ليبعده عن تتش ، فقبل أقسنقر وساطة وزيره رزين كمر مما دفع جلال الملك إلى حمل ثلاثين ألف دينار وتحفاً بمثلها وقدمها لأقسنقر ، كما عرض عليه منشور السلطان ملكشاه . بإقراره على طرابلس ، فلم يقبل منه تتش ذلك ، وتوقف أقسنقر عن قتاله ، فقال له

فيه الجهة الشرقية القضاة بنو عمار الذين كانوا أصحاب طرابلس من دون أي ذكر لأسمائهم راجع الاعلاق الخطيرة ج ١ ، ق ١ ، ص ١٠٥ .

(١) ابن العديم - الانصاف والتحري ص ٥٠ .

تتش : أنت تبع لي فكيف تخالفني ، فقال : أنا تبع لك إلا في عصيان السلطان ، فغضب تاج الدولة تتش ورجع إلى دمشق ، وعاد بوزان إلى بلاده[1] .

كان جلال الملك متزوجاً من أخت الأمير حصن الدولة معلى بن حيدرة بن منزو الكتامي والي دمشق[2] وعرفنا من أبنائه حسناً ، لأنه كان يكنى بأبي الحسن .

حكم جلال الملك ما يقرب من ثلاثين سنة ، وتوفي في عام ٤٩٤/هـ - ١١٠١/م - فخلفه أخوه: القاضي فخر الملك أبو علي عمار بن محمد بن عمار ، ملك السواحل ، الملقب بذي السعدين[3] .

وكان فخر الملك من الأعيان الملوك ، غزير المروءة ، عالي الهمة[4] .

وفي عهده ، عاشت إمارة آل عمار ، أحلك أيامها . وقضى فخر الملك سنوات حكمه القصيرة في محاولات مستميتة لإنقاذ إمارته من الخطر الصليبي الداهم الذي لف باعصاره المشرق العربي . لكن محاولاته ذهبت أدراج الرياح . ولم تجد شيئاً مكاتباته ورسله الذين أرسلهم إلى ملوك دمشق وحلب ولا الأموال الطائلة التي دفعها إليهم في سبيل نجدته ، ومد يد العون إليه .

وكانت أول طعنة وجهت إلى حكم فخر الملك ، عصيان قاضي جبلة ابن صليحة ، وإقامته الخطبة العباسية ، ثم أرسل في شعبان سنة ٤٩٤/هـ إلى ظهير الدين أتابك ، يلتمس منه إرسال من يثق به

---

(١) ديوان ابن الخياط .

(٢) ابن تغري بردي - النجوم الزاهرة ج ٥ ، ص ١٣٢ .

(٣) ابن القلانسي - ذيل تاريخ دمشق مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت ١٩٠٨ ، ص ٩٦ .

(٤) العماد الأصفهاني - خريدة القصر تحقيق الدكتور شكري فيصل المجمع العلمي بدمشق ١٩٥٩ ، ج ٢ قسم شعراء الشام ص ١١١ و ١١٣ .

ليسلم إليه ثغر جبلة ، ويحميه ليصل هو إلى دمشق بماله وأهله ، فأرسل إليه طغتكين ابنه تاج الملوك بوري فسلمه ابن صليحة البلد ، ورحل إلى دمشق .

ولما تسلم بوري جبلة ، أساء هو وأصحابه السيرة مع أهلها وفعلوا بهم أفعالاً قبيحة ، فراسل أهل جبلة فخر الملك وشكوا إليه ما يفعله بهم بوري وأصحابه ، وطلبوا منه أن يرسل بعض أصحابه ليسلموا إليه البلد ، فسير إليهم عسكراً فدخلوا جبلة واجتمعوا بأهلها وقاتلوا تاج الملوك بوري ومن معه ، فانهزم بوري وملك عسكر فخر الملك جبلة وأخذوا تاج الملوك أسيراً ، وحملوه إلى طرابلس فأكرمه فخر الملك ، وأحسن إليه وسيره إلى أبيه بدمشق واعتذر إليه وعرفه صورة الحال ، وأنه خاف أن يملك الفرنج جبلة[1] .

ولم يكن عصيان ابن صليحة شيئاً مذكوراً تجاه خطر الصليبيين الذين أحدقوا بطرابلس ، وحاصروها بجيوشهم الكثيفة ، وكان على رأسهم ، في مبدأ الأمر ، صنجيل أحد أمراء الحرب الصليبيين وأكثرهم شراسة ودموية ، الذي سار إلى طرابلس وحاصرها وضيق عليها الخناق ، فهادنه فخر الملك وبذل له مالاً ، وتنازل له عن ظاهر طرابلس شرط ألا يقطع الميرة عن المدينة ولا يمنع المسافرين منها[2] .

ولما رأى صنجيل أن هذه الهدنة لم تحقق مطامعه ، عاد إلى حصار طرابلس من جديد ، وبنى حصناً يقابلها ، وبنى تحته ربضاً ، ومنه أخذ يراقب المدينة مراقبة دقيقة جداً ، منتظراً الفرصة المناسبة ليثب عليها ، فخرج إليه فخر الملك سنة ٤٩٧/هـ ، في عسكره وهجم على الربض فقتل من به وأخذ منه كثيراً من السلاح والمال والديباج والفضة ثم أحرقه وعاد إلى طرابلس سالماً غانماً[3] .

---

(١) ابن الفوطي - تلخيص مجمع الآداب ق٣ ص ٢٦٤ .
(٢) ابن الأثير - الكامل ج ٨، ص ١٩٩ أحداث سنة ٤٩٤/هـ .
(٣) ابن القلانسي - ذيل تاريخ دمشق ص ٢٣٨ .

وبعد انتهاء غارة فخر الملك ، وقف صنجيل على بعض رفوف الربض المذهبة المحترقة ، ومعه جماعة من القمامصة ، فانخسف بهم ومرض صنجيل من ذلك ومات ، وحمل إلى القدس فدفن فيه[1] وقال ابن الوردي في ذلك :

نقلوا صنجيل من نار إلى نار تضرَّم قبره إن كان في القدس ففي وادي جهنم[2]

لكن موت صنجيل ، لم ينقذ طرابلس من مصيرها المحتوم ، لأن الصليبيين عادوا إلى حصارها من جديد بصورة أشد وأقسى وقد صبر فخر الملك على هذا الحصار بشجاعة ، وحاول جهده التخلص من وطأته ، فأرسل رسله إلى دمشق وحلب وغيرها من مدن الشام طالباً النجدة ، وبذل الأموال الجزيلة في سبيل ذلك ، فلم يلق أذناً صاغية من أحد .

وللتخفيف من عبء الحصار على الأهالي ، وزع الجرايات على الجند والضعفاء ، ثم شرع يقسط على الناس ما يخرجه في باب الجهاد . وصدف أن أخذ من رجلين ثريين مالاً ، فشقّ ذلك عليهما ، ويبدو أنهما كانا من ذوي النفوس الضعيفة ، فخانا قومهما والتجئا إلى الصليبيين وأخبراهم بأن الميرة تصل إلى طرابلس من عرقة والجبل ، فحال الصليبيون دون وصول الميرة إلى طرابلس من هذين الطريقين ولما علم فخر الملك بخيانة الرجلين بذل للصليبيين مالا كثيراً في مقابل أن يسلموه الرجلين فلم يرضوا بذلك ، فأرسل من قتلهما[3] .

ولما اشتد ثقل الحصار عليه ، وعجز عن دفعه بالأموال عقد العزم على الذهاب إلى بغداد ، مقر الخلافة ، وطلب النجدة ، فاستناب ابن عمه أبا المناقب ورتب معه سعد الدولة فتيان بن الأعز[4] ووجوه أصحابه

(١) ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق ص ١٤٦ .

(٢) ابن الأثير ـ الكامل أحداث سنة ٤٩٩/هـ ، ج ٨ ، ص ٢٣٥ .

(٣) ابن الوردي ج ٢ ص ٢٩ .

(٤) ابن الأثير ـ الكامل ج ٨ ، ص ٢٣٥ .

وغلمانه ، وصرف لهم واجب ستة أشهر سلفاً واستحلفهم وتوثق منهم ، ثم توجه إلى بغداد لمقابلة السلطان محمد بن ملكشاة السلجوقي ، فانتهز أبو المناقب الفرصة وأعلن العصيان ونادى بشعار الأفضل بن أمير الجيوش ، شريك الخليفة الفاطمي صاحب مصر .

ولما وصل الخبر إلى فخر الملك كتب إلى أصحابه يأمرهم بالقبض على عمه وحمله إلى حصن الخوابي[1] ثم تابع مسيره إلى بغداد ومعه تاج الملوك بوري بن ظهير الدين أتابك وهبة الله بن محمد بن بديع أبو النجم .

وقد لقي في بغداد إكراماً زائداً ، ووعوداً بالنجدة والمساعدة من السلطان وأكابر الأمراء ، لكن هذه الوعود بقيت مجرد كلام ، لم يتحقق منها شيء .

بقي فخر الملك مدة طويلة في بغداد وهو يمنّي النفس بالحصول على المساعدة المنشودة ، ولما طال به المقام من غير طائل ، ولم يلمس من السلطان وأكابر الأمراء ما يدل على الرغبة في تحقيق وعودهم ، دب اليأس في نفسه ، وعاد إلى دمشق منكسر الخاطر ، وذلك في نصف المحرم سنة ٥٠٢هـ ووصلها آخر ذي الحجة من العام نفسه وأقام في دمشق أياماً ثم توجه مع خيل من عسكر دمشق جردت معه إلى جبلة فدخلها ، واطاعه أهلها .

وأما أهل طرابلس فإنهم أرسلوا إلى الأفضل بمصر يلتمسون منه انفاذ وال يصل إليهم في البحر ومعه الغلة والميرة في المراكب لتسلم إليه البلد ، فوصل إليهم شرف الدولة بن أبي الطيب الدمشقي والياً من قبل الأفضل ومعه الغلة ، فلما وصل إليها قبض على أعيان البلد وجماعة أهل فخر الملك وحريمه وذخائره وآلاته وأثاثه ، وحمل الجميع إلى مصر في البحر .

---

(١) ابن الفرات ج ٨ ، ص ٧٧ .

هـذه الأحداث المتلاحقـة لم تؤثر في مـوقف الصليبيين الـذين شددوا ضغطهم على طرابلس حتى ملكوها بالسيف يوم الثلاثاء ثالث ذي الحجـة من سنة ٥٠٢/هـ ـ ١١٠٩/م ـ بعـد حصـار دام خمس سنين ، وقتلوا من أهلها خلقاً كثيراً وأسروا كثيرين ، وسلبوا ونهبوا(١). ثم توجهوا إلى جبلة(٢) وفيهـا فخر الملك ، وحـاصروهـا فـراسلهم فخـر الملك ، وطلب الأمـان فأجـابوه إلى ذلـك ، وتسلموا البلد بـالأمـان وخـرج فخـر الملك سـالمـاً ، وتـوجه إلى شيـزر فأكـرمه صـاحبهـا سلطان بن علي بن مقلد بن منقذ الكناني ، واحترمه وجمـاعته ، وعـرض عليه المقـام عنده فلم يرض وتوجه إلى دمشق فأكـرمه ظهيـر الدين أتـابك وأنـزله في داره وأقطعه الـزبـداني وأعمـالهـا ، وذلـك في شهـر محـرم من سنـة ثـلاث وخمسمائة(٣) .

وعلى الـرغم من فقد فخـر الملك إمارتـه ، وخروجـه منها ، فـإن روح الجهاد ضد الصليبيين بقيت تعتمـل في نفسه ، فهـا نحن نراه يلبي نداء السلطان محمد بن ملكشاه فيتوجـه إلى بغداد على رأس جيش أمـره عليه ظهير الدين أتابك(٣) . . . .

(١) ابن القلانسي ـ ذيـل تـاريـخ دمشق ص ١٦١ وذكـر ابن الفـرات في تـاريخـه الحـادثـة عـلى الشكـل التالي : فلما ضـاق ذرعاً بـالحصار وعجـز عن دفعه خـرج من طـرابلس بعـد أن استناب بها ابن عمـه أبا المنـاقب ورتب معه سعـد الـدولـة فتيـان بن الاعـز ونفق في العسكـر ستة شهـور وسار لقصـد السلطان محمود بن ملكشـاه السلجوقي فجلس أبـو المنـاقب في بعض الأيام وعنـده وجوه طـرابلس وأكابرها فخلط في كلامـه فنهاه سعـد الدولة بلطف فجرد سيفه وضرب سعد الدولة فقتله وانهزم من كان بالمجلس وقام أبـو المنـاقب وصعـد على الســور وصفق بـابـطيه فقيض عليـه أهـل البلد ونـادوا بشعـار الأفضل بن أمير الجيوش شريك الخليفة الفاطمي صاحب مصر وذلك في شهر رمضان سنة خمسمائة

(٢) جاء في بعض المصادر التـاريخية اسم جبيـل والصحيح جبلة لأن فخـر الملك بعدمـا رجع من بغداد خائباً دخل جبلة مع خيل من عسكر دمشق وأقام فيها . .

(٣) ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق ص ١٦٥ .

(٤) المرجع السابق ص ١٦٦ .

وبعد توجه فخر الملك إلى بغداد انقطعت أخباره عنا ، ولم نسمع عنه شيئاً . ولم نعلم كيف انتهت حياته ومتى .

كان فخر الملك ، آخر من حكم من آل عمار[1] ودام حكمه ثماني سنوات تقريباً من ٤٩٤/هـ إلى ٥٠٢/هـ .

وتستوقفنا في سيرة حياته ظاهرة تبعث على العجب ، وهي : كيف استطاع فخر الملك برغم الأيام العصيبة التي عاشها ، ومشاغله الكثيرة ، والأحداث التي تكالبت عليه ، أن يجد الوقت الكافي لمجالسة العلماء والأدباء والشعراء ، ومطارحتهم الشعر والأدب .

كتب ابن النقار الدمشقي أن فخر الملك كان اقترح على الشعراء أن يعملوا على وزن قصيدة ابن هانىء المغربي :

«فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر»

فسبقهم أبو الحسن علي المعروف بابن العلاني المعري ، وعمل ما أعجب فخر الملك ، وأجازه عليه ، واستغنى به عن الجميع .

وما قاله ابن العلاني هو[2] :

هل بارعُ الشّعراء غيرُ مُقَصِّرِ ... عن بارعٍ مِنْ مَجْدِكَ المُتَخَيَّرِ
أم كُنْهُه ما ليس يدركه بذا ... قول كمُنْسُوقِ الجُمانِ مُحَبَّرِ
فعليُ البليغ الجُهْدُ منه فإن يَجِدْ ... يُحْمَد ، وإن يَكُ مُقْصِراً فَلْيَعْذِرِ
يا ناصرَ الدِّين لولم تُطِلْ ... منه مقارعةُ العِدى لم يُنْصَرِ

---

(١) ذكر الأب اغناطيوس الخوري أن الذين حكموا طرابلس من آل عمار هم : أبو طالب بن عمار من ١٠٦٩ إلى ١٠٧٢ ، جلال الملك بن عمار من ١٠٧٢ إلى ١١٠٠ ، أبو علي بن عمار من ١١٠٠ إلى ١١٠١ ، علي بن عمار من ١١٠١ إلى ١١٠٥ ، ذو المناقب بن عمار من ١١٠٥ إلى ١١٠٨ . من دون أن يذكر المصادر التي استند إليها في هذا الترتيب . وكما بينا فإن آخر من حكم من آل عمار هو فخر الملك كما هو ثابت من المرويات التاريخية . وان أبا المناقب لم يحكم إلا بضعة أيام بعد أن استنابه فخر الملك عند رحيله إلى بغداد وقد فصلنا ذلك . .

(٢) العماد الأصفهاني - خريدة القصر وجريدة العصر ج ٢ ، ص ٧٨ .

لِيَطُلْ بقاؤكَ للمكارمِ والعُلى ... فـربُوعُهُنّ معـالمٌ لم تَـدْثُـرِ
وَلْتَرْعَ عَيْنُ اللهِ منك خُلاجلا ... سبق الورى سَبْقَ الجواد المُحضِرِ
يحتاطك التوفيقُ ، لا يألوك في ... تسهيله لـك كلَّ صَعْبٍ أوْعَـرِ
وإذا دَجَتْ ظُلَمُ الأمورِ فلا تَزَلْ ... سبّاقها بسراجِ رأيٍ أنْوَرِ
لله همّتُكَ الخطيرةُ إنها ... خُلِقت لصَبٍّ بالعُلى مُسْتَهتَرِ
لِمُؤَرَّقٍ في المجد مضّاءٍ على الـ ... ـأهوال ثَبْتٍ ما يُراع بِمُسْهِرِ
والمجدُ صعبُ المُرْتقى إلّا على ... يَقْظانَ في ذاتِ الإلهِ مُشَمِّرِ
واري زِناد الفكرِ ، وقّاعٍ ، بما ... يُبْدي العِيانُ، على الخفيّ المُضْمَرِ
شِيَمٌ بِنظامُ المُلْكِ مَخْصوصٌ بها ... دلّتْ على مَلِكٍ كـريمِ العُنْصُرِ
إنّ العُلى ما بَيْنَ كَفٍّ بَرّةٍ ... منه ووجهٍ بالطلاقةِ مُسْفِرِ
عَلْيَاؤه ما يُستطاعُ مرامُها ... فَلْتَقْلِلِ الحُسّادُ أو فَلْتُكْثِرِ
سيفَ الخِلافةِ لا تَزَلْ عَضْبَ الشَّبا ... تَفْري بحدَّيْك الخطوبَ فتَنْفري
لو بانَ شخصُ المجدِ لم يكُ في الورى ... إلّاكَ منـه عليـه عَقْـدُ الخِنْصـرِ
خُلُقٌ أبى إلّا السماحَ سَجيّةً ... تتغيّـرُ الـدنيـا ولم يتغيّرِ
ولقد سمعتُ وما سمعتُ بجائد ، ... في عُسْرةٍ يُعطي عطاءَ المُوسِرِ
ما روضةٌ غنّاءُ أشْراطيّةٌ ... أُنُفٌ يَنُمُّ بها نسيمُ العَبْهَرِ
وَلِيَ الحَيا تدبيجَها فكأنّهُ ... واشي رُقُومٍ أو مُقَوِّمُ أسْطُرِ
يختالُ جوُّ تِلاعِها ووِهادِها ... في وارفٍ واصي النباتِ مُنَوِّرِ
غَبَقَتْه ساريةُ الغمائم واجتلى ... بالنَّوْرِ من صوغِ الربيعِ المُبْكِرِ
مَعَجَتْ صَبا نَجْدٍ بها وكأنّما ... فَضَّتْ خِتامَ التُّبَّتيِّ الأذفرِ
عَبَقات نَوْرٍ لم تخل أنفاسه ... إلّا بداهةَ نَكْهَةٍ من عَنْبَرِ
كصفاتِ فخرِ المُلكِ في إنشائها ... زَهْرَ الثناءِ بوَبْلِها المُسْتَمْطِرِ
أعذولَ هذا البحرِ في بَذْلِ النَّدى ... ما العذلُ إلّا ضائعٌ في الأبحرِ
لَقِّ مَلامَكَ أو فَذَرْهُ فلم تكن ... لِتَسُدَّ أُسْكوبَ الغَمامِ المُعْزِرِ
أَلِفَ الجيادَ فما تزال جيادُه ... تَرْدي إليه بكلِّ ذِمْرٍ مُغْوِرِ
تُدْحى بأيدي الخيلِ هاماتُ العِدى ... فكأنّهنّ لواعبٌ بالمَيْسِرِ

في كـلِّ يوم يَسـتُّـرون عَجـاجَـةً ... قَصُرَتْ لِحاظُ الطير دون المنْسـر
قـد عُـوِّدَتْ رِيَّ الأسِنَّـة ، كـلَّمـا ... شَكَتِ الغَليل، من النَّجيع المُهْدَرِ
صارت مَشارعُها مُتونَ سَـلاهِبِ ... لُحْقِ الأياطِلِ كالسَّعالِيْ ، ضُمَّر
من كـلّ يَعْبُـوبٍ سَمـا بِتَليلِه ... عُنُقٍ كجِـذْعٍ من أراكٍ مُـوبَـرِ
مستلحِقٍ أولى الطَّرائد ، صارع ... للقِـرْن في قَتَمِ الغُبـارِ الأكْـدَرِ
يَنْثال في طلب العـدوّ كمـا أتى ... سَنَـدٌ بمَهْـوى سَيْله المُتَحَـدِّر
وصـوارمٍ بُتْرِ المَضـارِب لم تقع ... إلاّ على تَـربِ الجَبيـن مُعَـفَّـر
من كـلّ أبيضَ نـاطقٍ في هـامـةٍ ... تحكي خـطيباً فـوق صَهْوة مِنْبَر
يكسو أديمَ الأرض صِبْغَةَ عَنْـدَمٍ ... لـم تَبْـدُ إلاّ عـن دم مُـثْـعَـنْجِرِ
يَبْـري أكُفّـاً ثم يُتْبِـعُ أذْرُعـاً ... تحكي أنـابيب القَنـا المُتَكَسِّـر
أيظُنُّ جُنْدُ الشِّـرْك عزمَـك مُغْفِلاً ... حـزَّ الـطُّلى منهم وقَـطْعَ الأبْهَـرِ
لـتُسَاوِرَنَّـهُـم بـهـا مَلمـومَـةً ... بـالأسـد تـذْأى في قَنـاً وسَنَـوَّر
فَلتَنْسِفَنّهـم سـطاك بعـاصِـفٍ ... يَجْتثُّ أصلَ المُشركين بصَـرْصَر
وَلَيَجْلِبَنَّ ذوي القِسِيِّ أعـدَّهـا ... للشِّـرْكِ تـلَّ مُبـاسِـل مُتَنَمِّـر
يَقْـذِفن في مُهَجِ الـطُّغاة طـوائراً ... بمثـال أجنحـة الجَـراد الـطُّيَّـر
حتى تغيبَ حُجولُ خَيْلِك في الوغى ... مِمّـا تخوض من النَّجيـع الأحمر
تَـدبيـرُ مُعْتَـزِمٍ طلوبِ ثـأرِه ... بسيـوفـه طَلَبَ الهِـزَبْرِ القَسْـوَر
يا مُنْفِدَ الأموال لا مستبقياً ... لِسوى مساعٍ كالنجوم النَّيِّر
عجباً لِكفِّك كيف لا يَخْضَرُّ ما ... تَحوي عليه من الأصَمِّ الأسْمَر
كشفت تجارِبُك الـزمانَ فعلَّمتْ ... أهلَ التجارب كيفَ حَلْبُ الأشْطُر
ودّعت شهراً أنت في هذا الورى ... بـعُلُوِّ قــدرك مثلُه فـي الأشهـر
تقضي فروضَ الصَّوْم أكرمَ صائمٍ ... وأهَلَّ عيدُ الفطرِ أكرمَ مُفْطر
لا تَعْـدَم الأعيـادُ إن ألْبَسْتهـا ... ببقـائك الممـدود أحسنَ منظر
فـإذا سلِمتَ فكـلّ عيـدٍ عنـدنـا ... مــوفٍ على عيـدٍ أغـرَّ مُشَهَّـر
دامتْ لـك النَّعماءُ مـوصولٌ بهـا ... تــوفيقُ منصـورِ اللّواءِ مُـظَفَّـر

كانت شخصية فخر الملك الفذة وعزمه الشديد ، محل تقدير وإعجاب الشعراء الذين تفننوا في مدحه ، وذكر مناقبه .

ومن هؤلاء ابن الخياط الذي مدحه بالعديد من القصائد . ومما قاله فيه[1] :

ويا فخري ـ وفخر الملك مثنٍ ... علي ـ لقد جريت بلا رسيل
تفنن في العطاء الجزل حتى ... حباني فيه بالحمد الجزيل

وقال أيضاً :

تفيأت ظل فخر الملك واغتبطت ... بحيث حل عقال المزن فانسكبا
حتى إذا وردت تهفو قلائدها ... ألفت أعز بتاج المجد معتصبا
أشم أشوس مضروباً سرادقه ... على الممالك مرخ دونها الحجبا
ممنع العز معمور الغناء به ... مظفر العزم والاراء منتجبا

وقال أيضاً :

ما الفخر فخر الملك إلا الذي ... شدت بطيب الفعل والمنصب
فاليوم أدركت المنى غالباً ... وليس غير الليث بالأغلب
فالضر كل الضر في سيفك الفـ ... ـاتك أو في عزمك المقضب

ومن الشعراء الذين مدحوه أيضاً ، أبو المواهب المعري الذي قال يهنيه بعيد الفطر سنة ٤٩٣ / هـ[2] .

وظلْتُ أَخبطُها البلاد ودونها ... طرابُلُسُ حيث الأماني وجلّق
وَرَجّحتُ ما بين الملوك فمال بي ... رجاءٌ بذي السَّعْدين أَوْفى وأَوْفَق
مليكٌ به الآمالُ ألقتْ عصا النَّوى ... فَقَرَّتْ وفي أوصافه المدح يَصْدُق
زَجَرْتُ به طيرَ المُنى فَسَنَحْن لي ... وطائرهُ الميمون فيها مُحَلّق
وَعَرَّضَ لي غَيْثٌ على الشَّيْمِ مُرْعِدٌ ... من الشام ثَجّاجُ السحائب مُغْدِق

---

(١) ديوان ابن الخياط .

(٢) العماد الأصفهاني ـ خريدة القصر ج ٢ ، ص ١١١ .

تـوالىٰ فلولا رحمـةٌ منـه أقْـلَعَتْ لَخُيِّـل أنـي فيـه لا شـكَّ أغْـرق

هـو البحر إلّا أنـه غيـرُ مـالـحٍ هـو البـدر إلّا أنـه ليس يُمْحِق

لـه خُلُقٌ كـالـرَّوْضِ حُسناً وبهجةً هي السيف بل أمضى ، ورأيٌ موفق

ومن ذا الذي يستصعب الرِّزقَ بعدما درىٰ أنْ يُمْنـاه عـن اللّه تَـرْزُق

وَقَيْنَ الليـالي خِيفَـةً عنـه من فتىً يُصَمِّمُ في أحـداثهـا ويُـطَبِّق

حمىٰ الثغرَ بنْ رَشْفِ المواضي فقد كفى تَـأشُّبَ مـا يحميـه سُـورٌ وخَنْـدق

والعجيب ، أن فخر الملك ، الذي كـان محمياً للعلم والعلمـاء ، ويقرب الأدباء ويوسع لهم صدر مجلسه ، ويغدق عليهم بسخاء ، يضيق صـدره بهجاء شـاعر ، فيـأمر بقتله كمـا روى ابن تغري بـردي في أخبار سنة ٤٩٧/هـ :

«وفيهـا توفي أحمـد بن الحسين بن حيـدرة الأديب أبـو الحسين ، ويعرف بابن خراسان الطرابلسي الشاعر المشهور. وكان شاعراً مجيداً ، هجا فخر الملك ابن عمار قاضي طرابلس وصاحبها وأخاه فـأمر بضـربه قاضي طرابلس المذكور فضرب حتى مات»(١) .

وإذا صح هذا الخبر ، كان ما فعله فخر الملك لـطخة سـوداء في جبينه لا تمحوها الأيام .

خلف فخـر الملك عـدداً من الأولاد عـرفنـا منهم شـرف الـدولـة علي . الذي ذكره ابن الخيـاط في قصيدتين ، قـال الأولى ارتجالاً مهنئاً فخـر الملك بظهـور ولده شـرف الدولـة أول يـوم ركـوبـه وعمره خمس ومطلعها(٢) :

ألا هكـذا تستهـل البـدور مـحـل علي ووجـه مـنيـر

---

(١) ابن تغري بردي ـ النجوم الزاهرة ج ٥ ، ص ١٨٨ .

(٢) ديوان ابن خياط .

ومنها :

دعا شرف الدولة المجد فيه ... فلباه منبره والسرير

. . . .

فيا شرف الدولة المستجار ... لك الله من كل مين مجير

وقال الثانية يمدحه ويمدح والده فخر الملك ويهنيه بعيد الفطر وبالبرء من مرضه سنة ٤٨٢/هـ[1] ومطلعها :

لنا كل يوم هناء جديد ... وعيد محاسنه لا تبيد

ومنها :

فعش ما تشاء به ضافياً ... عليك من العز ظل مديد

فأنزر نيلك فيه العلاء ... وأيسر عمرك فيه الخلود

وقل لأبيك وقي السوء فيك ... كذا فلترب الشبول الأسود

وبالإستناد إلى ما وصلنا من أخبار عن آل عمار ، نستطيع أن

عمار
- أبو طالب
  - شمس الملك (أبو الفرج)
    - عبد الله
- لا نعرف اسمه خلف أبا طالب في الحكم وانتزعه منه جلال الملك
- أبو المناقب
  - علي (جلال الملك)
    - الحسن
  - عمار (فخر الملك)
    - علي (شرف الدولة)
- محمد

---

(١) ديوان ابن خياط .

نتصور شجرتهم العائلية على الشكل التالي[1] :

كان بنو عمار من خيرة الحكام ، ولهم أياد بيض على العلم والأدب[2] .

---

(١) خليل مردم بك مقدمة ديوان ابن الخياط .

(٢) رأينا أكثر من واحد رسم شجرة آل عمار وكان أولهم المستشرق زامباور في معجم الأنساب والأسر الحاكمة في التاريخ الإسلامي جامعة فؤاد الأول ١٩٥١ ورسم شجرتهم كالتالي :

عمار

محمد — أبو طالب أمين الدولة ذو المناقب

جمال الدولة (قاضي الإسكندرية) — أبو علي عمار فخر الملك — أبو الحسن علي جلال الملك

ورسم الدكتور محمد علي مكي في لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني شجرتهم كما يلي :

محمد — أمين الدولة أبو طالب الحسن

جمال الدولة — جلال الملك — فخر الملك

وكانت مفخرة أعمالهم دار العلم التي أنشأوها بطرابلس لتكون جامعة تنشر العلوم والآداب [١] .

وصفت دار العلم بأنها مركز من مراكز التشيع ، ومقرٌ لنشر المذهب[٢] .

وكانت طرابلس بفضل دار العلم كعبة المتعلمين [٣] .

وضع أساس دار العلم وبناها ، أمين الدولة بن عمار ، وجمع فيها ما يزيد على ماية ألف كتاب وقفاً[٤] .

ويبدو أن الوهن أصاب دار العلم مع الأيام أو ضاقت بما فيها ، لذلك قام جلال الملك بتجديدها سنة ٤٧٢ /هـ ـ ١٠٨٠ /م ـ ووقف لها بدوره عدداً من تصانيف أبي العلاء المعري ، وهي[٥] :

١ ـ الصاهل والشاحج : ومقداره أربعون كراسة ، صنفه أبو العلاء لأبي شجاع فاتك والي حلب من قبل المصريين ويتكلم فيه على لسان فرس وبغل .

٢ ـ السجع السلطاني : يشتمل على مخاطبات الجنود والوزراء وغيرهم من الولاة ومقداره ثمانون كراسة .

٣ ـ الفصول والغايات : وهو كتاب موضوع على حروف المعجم ما خلا الألف ومقداره مائة كراسة .

٤ ـ السادن : أنشىء في غريب الفصول والغايات ، وما فيه من

(١) محمد كرد علي ـ خطط الشام ج ٤ ، ص ٣٣ .
(٢) الدكتور أسعد طلس ـ مصر والشام في الغابر والحاضر دار المعارف بمصر ١٩٤٥ ، ص ٦٥ .
(٣) الدكتور زكي النقاش ـ العلاقات الإجتماعية والثقافية والإقتصادية بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٥٨ ، ص ٩٤ .
(٤) تاريخ ابن الفرات ج ٨ ، ص ٧٧ .
(٥) ابن العديم ـ الإنصاف والتحري ص ٥٠ .

اللغة ومقداره عشرون كراسة .

٥ ـ اقيلد الغايات : كتاب لطيف مقصور على تغيير اللغز ومقداره عشر كراريس .

٦ ـ رسالة الاغريض : وهي من الرسائل الطوال التي تضمنها كتاب ديوان الرسائل .

وكان جلال الملك يفرق على أهل دار العلم ذهباً تشجيعاً لهم .

وقد اهتم آل عمار اهتماماً كبيراً بدار العلم ، ورصدوا لها الأموال الوافرة . وكان لهم وكلاء يجوبون مختلف الأقطار الإسلامية بحثاً عن الكتب النفيسة والمخطوطات النادرة . وكان في مكتبة دار العلم أكثر من مائة وثمانين ناسخاً يعملون على نسخ الكتب .

وكانت أغلب كتب دار العلم مجلدة ومزخرفة ومحلاة بالذهب والفضة ، منسوخة على أيدي أشهر الخطاطين .

وكانت خزائن دار العلم مملوءة بكتب الفرس والعرب واليونان ، ويبلغ مجموع ما فيها ثلاثة ملايين من المجلدات[١] منها خمسون ألف نسخة من القرآن الكريم ، وثمانون ألف نسخة من كتب التفاسير[٢] .

تولى نظارة دار العلم عدد من كبار العلماء ، ذوي المكانة الرفيعة ، عرفنا منهم :

الحسين بن بشر بن علي بن بشر ، وأسعد بن أبي روح أبو الفضل الرافضي ، وأبو عبد الله الطليطلي . وكان كل واحد منهم على جانب كبير من الثقافة والعلم والمعرفة .

* الحسين بن بشر المعروف بالقاضي .

---

(١) جرجي بني ـ كتاب تاريخ سوريا المطبعة الأدبية بيروت ١٨٨١ ، ص ٣٨٣ .

(٢) محمد ماهر حمادة ـ المكتبات في الإسلام ، ص ١٣٣ .

ذكره ابن أبي طي في رجال الشيعة ، وقال : كان صاحب دار العلم بطرابلس . إشتهر بخطبه البليغة التي ضاهى بها خطب ابن نباتة .

كانت له مع الخطيب البغدادي مناظرة ، تفوق فيها على الخطيب ، وعلى أساس هذه المناظرة حكم له الكراجكي بالتقدم في العلم[1] .

* أسعد بن أحمد بن أبي روح قاضي طرابلس .

كان تلميذ ابن البداح ، وانفرد بعده بالشام وطرابلس وفلسطين ، وعقدت له حلقة الاقراء . ولي القضاء لابن عمار .

جمع ابن عمار بينه وبين بعض الفقهاء المالكية فناظره في تحريم الفقاع فتغلب على المالكي بفصاحته وحجته ، فانزعج المالكي وقال له كلني ، فأجابه في الحال ما أنا على مذهبك ، يريد ان مذهبه جواز أكل الكلب .

سأله ابن عمار مرة ، ما الدليل على حدوث القرآن ، فأجاب ، النسخ والقديم لا يتبدل ولا يدخله زيادة ولا نقص .

بقي في طرابلس إلى أن ملكها الصليبيون ، فانتقل إلى حيفا ، واتخذ بها داراً للكتب جمع فيها ما يزيد على أربعة آلاف مجلدة .

توفي قبل سنة ٥٢٠/هـ وقيل انتقل من طرابلس إلى دمشق ومات بها .

كان أسعد متعبداً زاهداً راهباً عظيم الصلاة والتهجد لا ينام إلا بعض الليل ، وكان صمته أكثر من كلامه . وكان جليل القدر يرجع إليه أهل الشيعة[2] .

---

(١) ابن حجر ـ لسان الميزان ج ٢ ، ص ٢٧٥ .
(٢) المرجع السابق ج ١ ، ص ١٨٦ .

خلف لنا العديد من المؤلفات النفيسة منها :

١ ـ عيون الأدلة في معرفة الله .

٢ ـ التبصرة في معرفة المذهبين الشافعية والإمامية .

٣ ـ البيان في خلافة الإمامية .

٤ ـ النعمان والمقتبس في الخلاف مع مالك بن أنس .

٥ ـ النور في عبادة الأيام والشهور .

وقد ذهل آغا بزرك الطهراني عن هذه الكتب فلم يذكرها في موسوعته [الذريعة إلى تصانيف الشيعة] .

أبو عبد الله الطليطلي (الشيخ العالم) :

كنيته تدل على أنه أندلسي الأصل من طليطلة ، ولا نعرف سبب خروجه من الأندلس ، وتاريخ ذلك وإن كنا نعرف أنه في العهد الفاطمي حصلت هجرات كبيرة من المغاربة إلى مدن ساحل الشام . كان متولي دار العلم بطرابلس على عهد آل عمار ، وكان من تلاميذه الأمير أسامة بن منقذ الذي قرأ عليه النحو نحواً من عشر سنين .

حدثنا أسامة بن منقذ عما كان يتمتع به أُستاذه من ذاكرة قوية تبعث على العجب ، قال : «شاهدت من الشيخ أبي عبد الله عجباً . دخلت عليه يوماً لأقرأ عليه فوجدت بين يديه كتاب النحو : كتاب سيبويه وكتاب الخصائص لابن جني وكتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي وكتاب اللمع وكتاب الجمل ، فقلت يا شيخ أبا عبد الله ، قرأت هذه الكتب كلها ؟ ! قال : قرأتها لا والله إلا كتبتها في اللوح وحفظتها . تريد تدري . خذ جزءاً وافتحه واقرأ من أول الصفحة سطراً واحداً فأخذت جزءاً وفتحته وقرأت منه سطراً فقرأ الصفحة بأجمعها حفظاً حتى أتى على تلك

الأجزاء ، جميعها فرأيت منه أمراً عظيماً ما هو في طاقة البشر»[1] .

كان أبو عبد الله آخر من تولى على دار العلم ، وبقي متولّياً عليها إلى أن سقطت طرابلس بيد الصليبيين سنة ٥٠٢/هـ ١١٠٩/م - وكان من جملة الذين وقعوا في أسر الصليبيين . وقد دفعت مكانته العلمية الكبيرة والد أسامة بن منقذ وعمه إلى استخلاصه من الأسر مع يانس الناسخ[2] .

هذا كل ما وصلنا من معلومات عن هذا الشيخ العالم .

لكن مما يؤسف له ، ان هذه المكتبة النادرة المثال ، أحالها الصليبيون إلى رماد عند احتلالهم طرابلس سنة ٥٠٢/هـ وكان وراء حرقها أحد القساوسة الصليبيين المتعصبين . فقد صدف أن دخل هذا القسيس المتعصب إلى المكتبة وشاهد الكتب من حوله ، ويظهر أنه دخل إلى قاعة مخصصة للمصاحف ، فالتقط أول كتاب طالته يده وفتحه فإذا هو قرآن كريم فرماه والتقط كتاباً ثانياً فإذا به مصحف فرماه وتناول ثالث وهكذا إلى عشرين مرة فاعتقد أن المكتبة كلها تتألف من المصاحف فثارت ثائرته وقال : هذه مكتبة مملوءة بالمصاحف أحرقوها . . .[3] فأحرقت .

وهكذا بلحظة رعناء زال من الوجود كنز لا يقدر بثمن .

وقد ندب مؤرخو العرب فقدان تلك المكتبة الثمينة ، التي لم يذكر عنها مؤرخو الصليبيين القدماء شيئاً . تجاهلوها ليستروا فعلة قومهم الشنعاء[4] .

---

(١) اسامة بن منقذ - كتاب الإعتبار بريستون ١٩٣٠ ، ص ٢٠٨ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) محمد ماهر حمادة - المكتبات في الإسلام ، ص ١٣٤ .
(٤) جرجي ينى - كتاب تاريخ سوريا ، ص ٣٨٣ .

وقد حاول الأب اليسوعي هنري لامنس في كتابه مختصر تاريخ سورية LA SYRIE PRECIS HISTORIQUE [1] التقليل من شأن دار العلم وحرقها، فرد عليه الأستاذ الرئيس محمد كرد علي رداً مفحماً جاء فيه :

«ومن الغرائب في هذا التاريخ دعوى المؤلف ان دار العلم بطرابلس (ص ٢١٥ ، ج/١) لم تكن مدرسة جامعة بل مدرسة صغيرة لتلقين العلم الديني» .

وقال : ومن رأينا أن حريق الجامع الأموي بدمشق سنة ١٠٦٩/م على عهد الفاطميين كان أشأم على العلم من أخذ طرابلس . بيد أن المؤرخين مجمعون على أن طرابلس كان فيها دار حكمة على مثال بيت الحكمة ببغداد وقد قال الأثري العلامة فان برشم في مفكراته «ازدهرت طرابلس زمن القاضي ابن عمار وقد جعلها مركزاً من مراكز التشيع وأنشأ فيها بيت حكمة جهزه بمائة ألف مجلد من الكتب وكان فيها على عهده مدرسة جامعة ومدارس دينية وخزائن كتب وربما كانت طرابلس قبيل استيلاء الصليبيين عليها أول بلدة علمية في الشام» [2] .

الحياة الثقافية في عهد آل عمار :

ازدهرت الحياة الثقافية في عهد آل عمار ، ازدهاراً لا مثيل له . وكانت طرابلس في عهدهم قبلة الأدباء والعلماء .

وكان لآل عمار اليد الطولى في ذلك ، وساعدوا العديد من الأدباء والشعراء على إجادة شعرهم .

ذكر العماد الأصفهاني عن ابن الخياط قوله :

«ومضيت إلى بني عمار ومدحتهم فأحسنوا إليَّ وألجاوني إلى

---

(١) المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٢١ .

(٢) مجلة المجمع العلمي بدمشق المجلد الثاني ج ٩ ، ص ٢٧ .

إجادة شعري»[1] .

وكان الشاعر ابن حيوس هو الذي نصحه بالذهاب إلى بني عمار .

وقد بذل بنو عمار للعلماء والأدباء العطاءات السخية ، ووفروا لهم الجو الذي يساعدهم على العطاء والإبداع .

وقد ازينت سماء الفكر في طرابلس ، بعدد من الأسماء جلهم من الشيعة ، برزوا في ميداني الفقه والأدب كان من أبرزهم :

*** في الفقه :**

الحسين بن أحمد بن محمد بن القطان البغدادي ، والقاضي سعد الدين أبي القاسم عبد العزيز بن نحرير بن عبد العزيز بن البراج ، والشيخ عز الدين عبد العزيز ابن أبي كامل تلميذ القاضي ابن البراج ، وأبي عبد الله محمد بن هبة الله بن جعفر الوراق ، وغيرهم . . . .

*** في الأدب :**

ابن منير الطرابلسي أوحد عصره ، ولسان دهره .

وهذه نبذة موجزة عن كل واحد من هؤلاء .

ـ الحسين بن أحمد بن محمد بن القطان البغدادي .

ذكره ابن أبي طي في رجال الشيعة ، وقال : امام عالم فاضل من فقهاء الإمامية ، قرأ على الشريف المرتضى وعلى الشيخ المفيد .

قدم حلب سنة ٣٩٠ فأقرأ في جامعها ثم توجه إلى طرابلس فأقام عند رئيسها أبي طالب محمد بن أحمد ، وأقرأ أولاده .

---

(١) العماد الأصفهاني ـ خريدة القصر ج ٢ ، ص ٢٤٣ .

توفي بعد سنة ٤٢٠/هـ[١] .

عرفنا من مؤلفاته كتاب (الشامل) ، تجاهله أغابزرك فلم يذكره في [الذريعة إلى تصانيف الشيعة] .

ـ القاضي سعد الدين ، وقيل عز الدين ، أبي القاسم عبد العزيز بن نحرير بن عبد العزيز بن البراج قاضي طرابلس .

نعته الشيخ منتجب الدين بأنه كان وجه الأصحاب وفقيههم . وكان من خواص تلاميذ علم الهدى ثم شيخ الطائفة الطوسي . وكان خليفة الشيخ الطوسي في البلاد الشامية .

وكان ابن المرتضى يجري عليه في كل شهر ثمانية دنانير .

قرأ عليه كثيرون منهم : الشيخ الإمام جد الإسلام الحسن بن الحسين ابن بابويه القمي ، والشيخ أبو محمد الحسن بن عبد العزيز بن المحسن الجبهاني ، والشيخ المفيد عبد الجبار بن عبد الله بن علي المقرىء الرازي ، والشيخ موفق الدين أبو القاسم عبد الله بن الحسن بن الحسين ابن بابويه القمي[٢] .

توفي ليلة الجمعة ٩ شعبان سنة ٤٨١/هـ وخلف لنا عدداً من المؤلفات الهامة هي :

* المعتمد في الفقه .

* المقرب في الفقه .

* الجواهر في الفروع ، في تمام الفقه مرتب على أبواب : باب مسائل الطهارة ، باب مسائل الصلاة ، وهكذا إلى الباب الأخير باب مسائل المعميات الفقهية وألغازها . وعناوين مطالب كل باب (مسألة كذا

(١) ابن حجر ـ لسان الميزان ج ٢ ، ص ٢٦٧ .

(٢) يوسف البحراني ـ لؤلؤة البحرين النجف ١٩٦٦ ، ص ٣٣٢ .

الجواب كذا) طبع ضمن مجموعة جوامع الفقه[1] .

* الروضة أو روضة النفس في أحكام العبادات الخمس .

نهج فيه منهاج استاذه شيخ الطائفة في كتاب جمل العقود الذي كتبه الشيخ بالتماس هذا التلميذ في أبواب العبادات وأقسامها[2] .

* المهذب في الفقه .

يعبّر عنه في مفتاح الكرامة بالمهذب القديم في مقابل المهذب البارع لابن مهند . وهو من أول الطهارة إلى آخر كتاب الصلاة[3] .

ـ الشيخ عز الدين عبد العزيز ابن أبي كامل الطرابلسي .

تلميذ القاضي ابن البراج .

روى عن المرتضى والشيخ الكراجكي . صرح بنسبته إلى السيد ابن طاووس في «فتح الأبواب» كما ذكره في [الرياض] .

قال عنه صاحب لؤلؤة البحرين : قاضي طرابلس ، وهو ـ كما عرفت ـ يروي عن القاضي عبد العزيز بن البراج ، فيكون توليه القضاء بعد القاضي ابن البراج .

جاء في كتاب [أمل الآمل] الشيخ عبد العزيز بن أبي كامل الطرابلسي القاضي كان فاضلا عالماً فقيهاً عابداً[4] .

من مؤلفاته :

* الموجز في الفقه .

* الكامل في الفقه .

---

(١) اغا بزرك ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة ج ٥ ، ص ٢٥٦ .
(٢) المرجع السابق ح ١١ ، ص ٢٨٣ .
(٣) المرجع السابق ج ٢٣ ، ص ٢٩٤ .
(٤) يوسف البحراني ـ لؤلؤة البحرين ص ٣٣٦ .

* الجواهر .

* الإشراق .

- **أبو عبد الله محمد بن هبة بن جعفر الوراق .**

تلميذ شيخ الطائفة الطوسي .

قال ابن بابويه الرازي في [فهرست أسماء علماء الشيعة ومصنفيهم] فقيه ثقة ، قرأ على الشيخ أبي جعفر الطوسي رحمهما الله كتبه وتصانيفه[1] .

من مؤلفاته :

* كتاب الزهد .

* الزهرة في أحكام الحج والعمرة .

* النيات .

* كتاب الفرج الكبير في الغيبة .

وهو كتاب كبير ، وكان عند الميرلوجي الموسوي السبزواري المعاصر للمولى محمد باقر المجلسي . والميرلوجي ينقل عنه في أربعينه الموسوم [كفاية المهتدي في أحوال المهدي][2] .

- **ابن منير الطرابلسي .**

هو أحمد بن منير بن أحمد بن مفلح ، أبو الحسين ، مهذب الدين الملقب بعين الزمان ، المشهور بالرفاء .

ولد في طرابلس سنة ٤٧٣/هـ ١٠٨١/م - وكان أبوه ذا صوت جميل ، يغني في أسواق طرابلس القصائد في مدح آل البيت عليهم السلام

(١) ابن بابويه الرازي - فهرست أسماء الشيعة ومصنفيهم دار الأضواء بيروت ١٩٨٦ ، ط ٢ ، ص ١٥٥ .

(٢) اغا برزك - الذريعة ج ١٦ ، ص ١٥٦

وخاصة قصائد أبي محمد طلحة بن عبد الله بن أبي عون الغساني العوني ، الذي اشتهر بقصائده في مدح آل البيت عليهم السلام . نشأ أحمد وحفظ القرآن وتعلم اللغة والادب ، وقيل انه كان يحفظ الجمهرة لأبي بكر بن دريد حفظاً جيداً .

عاش في طرابلس مدة من الزمن ، ثم لما حاصرها الصليبيون غادرها إلى دمشق ، قبل سقوطها في عام ٥٠٢/هـ .

اتصل في دمشق بظهير الدين أتابك طغتكين ومدحه .

وكان لطغتكين قريباً يدعى حسام الدين دلق بن آبق ، وكان صبياً أمرداً ، فتغزل به ابن منير بقوله :

من ركّب البدر في صدر الرديني ... ومـوّه السحر في حد اليماني
وأنزل النير الأعلى إلى فلك ... مداره في القباء الخسرواني
طرف رنا ، أم قراب سل صارمه ... وأغيد ماس أم أعطاف خطي

الخ .....

فغضب طغتكين وأراد قتله ، فهربه الحاجب يوسف بن فيروز وأركبه على خيل البريد إلى بغداد وبعد وفاة طغتكين عاد إلى دمشق ثانية ، ومدح أميرها بوري بن طغتكين بقصيدة رائعة ذكر متنزهات دمشق وقراها ، ومطلعها :

حي الديار على علياء «جيرون» ... مهوى الهوى ومغاني الخرد العين
مراد لهوي إذ كفي مصرفة ... أعنة اللهو في تلك الميادين

بـ «النيربين» فـ «مقرى» فـ «السريـر» فـ «جمرايا» فجو الحواشي جسر «جسرين»
فـ «القصر» فـ «المرج» فـ «الميدان» فـ «الشرف الأعلى» فـ «سطرا» فـ «جرمانا» فـ «قلبين»

فـ «الماطرون» فـ «داريا» فجارتها ... فـ «آبل» فـ «مغاني «دير قانون»
تلك المنازل ، لا «وادي الاراك» ولا ... «رمل المصلى» ولا أثلاث «يبرين» .

الخ . . . . .

وكان أعداء ابن منير في دمشق كثر ، وكان كثير الهجاء لهم ، فأوغروا صدر بوري عليه ، فسجنه مدة ، وعزم على قطع لسانه ، فاستوهبه يوسف بن فيروز الحاجب ، فوهبه له وأمر بنفيه من دمشق ولما مات بوري ، جلس ابنه إسماعيل مكانه على تخت الحكم ، عاد ابن منير إلى دمشق ، وقربه إسماعيل ، ثم تغير عليه فطلبه وأراد صلبه فهرب واختفى عند صديقه أبي إسحاق إبراهيم بن محمد القيسي في مسجد الوزير ، بظاهر دمشق .

وبعد مقتل إسماعيل سنة ٥٢٩/هـ عاد ابن منير إلى دمشق لكنه لم يلبث أن خرج منها خائفاً من الوزير مؤيد الدولة ابن الصوفي . فانتقل إلى شيزر وأقام مدة عند الأمير أبي العساكر سلطان بن منقذ . وحضر إليه في شيزر زين الدين ابن حليم يرغبه في العودة إلى دمشق وخدمة مقدم جيشها معين الدين أنر لكنه رفض العودة إلى دمشق ، ورحل إلى حلب .

وفي حلب عقد مجالس لتدريس اللغة والأدب . وكان يغشى مجالسه جماعة من المتأدبين ، من أهلها ، للقراءة عليه ، وكان يعنف بعضهم إذا أخطأوا في القراءة . حكى أبو البقاء علي بن هداب العلثي «كنت أغشى مجلس أبي الحسن ابن منير للقراءة عليه مع جماعة بحلب ، فقرأ عليه انسان (كليني لهم يا أميمة ناصب) فصحفه وقال (كليني لهم يا أميمة باصت) ، فقال له ابن منير : ويحك أما علمت أن كل سكاء تبيض ، وكل ذات أذنين تحيض . فقال بعض من حضر : والله لقد انتفعنا بتصحيفه أكثر مما انتفعنا بصحيحه»[1] .

وأثناء وجوده في حلب ، مدح الاتابك عماد الدين زنكي بن

---

(١) ابن المستوفي - تاريخ اربيل المعروف بنباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل تحقيق سامي الصفار ١٩٨٠ ، ص ٢٩١ .

اقسنقر بمناسبة فتحه حصن بارين ، ثم مدحه عند فتح الرها . وفي سنة ٥٤١/هـ كان الاتابك عماد الدين يحاصر قلعة جعبر فسمع مغنياً يغني :

ويلي من المعرض الغضبان إذ نقل الـ ـواشي إليه حديثاً كله زور
سلمت فازورّ يزوي قوس حاجبه كأنني كأس خمر وهو مخمور

فاستحسن عماد الدين هذين البيتين ، وسأل عن صاحبهما فقيل له هما لابن منير ، وهو بحلب ، فكتب إليه والي حلب يسيره إليه ، فسيره ، ولكن عماد الدين قتل ليلة وصول ابن منير ، فعاد ابن منير إلى حلب . واتصل بنور الدين بن عماد الدين بن آقسنقر ، الذي قربه ووصله . وله في مدح نور الدين قصائد كثيرة ، أرخ فيها فتوحات نور الدين ومعاركه مع الصليبيين .

من ذلك قوله :

لقد أوطأت دين الله عزاً أديم الشعر بين له رغام
دعاك وقد تناوشت الرزايا له أهباً يوزعها العذام
فقمت بنصره والناس فوضى قيام ذم ما افترقت فئام
جذبتَ بضبعه من قعر يم له من فوق مقسمه التطام
صببت على الصليب صليب بأس قواه تحت كلكله حطام
وملت على معاقلها فخرت ولاء مثل ما انتفض النظام
بـ«صرخد» و«الحطيم» وفي «عزاز» وقائع هز مشهدها الأنام
ولو لم تعترف وتشم لأمسى وأصبح لا «عراق» ولا «شام»
ويوم بـ «العريمة» كاحتفا على الاشراك أمقره العرام
لقوك كأن ما سلّوه سيح وما اعتقلوه من خور ثمام
و«هاب» و«قورس» وبـ «كفرلاثا» ذممت وأنت للجلّى ذمام
صدمتهم بأرعن مرجحن كأن مطار أنسره غمام

واشتهر ابن منير بهجائه لمعاصره ومنافسة القيسراني . وكان بينهما

مكاتبات وأجوبة ومهاجاة . لم يصلنا منها أي شيء . قال ياقوت الحموي :

«كان ابن القيسراني وابن منير يشبهان بجرير والفرزدق للمناقضات والوقائع التي جرت بينهما»[1] .

توفي ابن منير في حلب يوم الأربعاء العشرين من جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة . وسبب موته أنه أكل تيناً أخضر وجلس في الشمس ، ففصد في الحال ، وورم وجهه .

صلى عليه الشيخ شرف الدين ابن أبي عصرون ، ودفن بسفح جبل جوشن . وقيل دفن بظاهر باب قنسرين ، بالقرب من تربة مشرق .

وأوصى حين احتضر ، أن يكتب على قبره :

من زار قبري فليكن موقناً   أنَّ الذي ألقاه يلقاه
فيرحم الله امرءاً زارني   وقال لي : يرحمك الله

كانت شاعرية ابن منير محط تقدير الدارسين والأدباء الذي أشادوا بها أيما اشادة .

* قال ابن القلانسي : «كان أديباً شاعراً عارفاً بفنون اللغة وأوزان العروض» .

* وقال أسامة بن منقذ : «شرف الأدباء . . . أوحد عصره ولسان دهره ، تأخر زمانه وتقدم فضله وبيانه ، فهو زهير الفصاحة ، وابن حجاج الملح والطرافة ، في أشعاره لطافة تستخف القلب وتملك السمع ، وكل من فنون الشعر يقصده يستولي على محاسنه وفنونه ، ويحرز أبكار معانيه وعونه» .

* وقال الملك المنصور الأيوبي : «كان شاعراً فحلاً من فحول

---

(١) ياقوت الحموي ـ معجم الأدباء ج ١٩ ، ص ٤٦ .

الشعراء المشهورين المكثرين المجيدين . وكان ظريفاً مطبوعاً ، فريد زمانه ، وأوحد أوانه» .

* وقال ابن فضل الله العمري : «لو نازع البحر غصبه مغاصه ، ولو نازل الفلك لأراك اعتياصه، هذا يسقل دره ، وهذا يسلب زهره . . وكلاهما دون فيه يقف ، ومن صوب خاطره يكف ، له قصائد موشحة بالسحب ، ذات بيوت تقصر على مطاولتها الشهب ، ولا تسكنها إلا الكواعب الأتراب ، والخرد العراب» .

وفي المقابل شنع عليه بكونه «رافضياً خبيثاً يعتقد مذهب الإمامية»[1] .

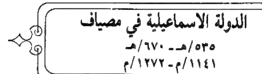
وديوان شعره مفقود .

وقد قام الدكتور عمر عبد السلام تدمري بجمع أشعار ابن منير ورتبها ونشرها بعنوان [ديوان ابن منير الطرابلسي] وصدّر الديوان بدراسة مستفيضة شاملة[2] . وكانت هذه الدراسة أهم مرجع لنا عن ابن منير .

---

(1) تهذيب تاريخ دمشق ج ٢ ، ص ٩٧ .

(2) الدكتور عمر عبد السلام التدمري ـ دار الجيل ـ مكتبة السائح طرابلس ١٩٨٦ ، ط ١ .



الدولة الاسماعيلية في مصياف

٥٣٥هـ - ٦٧٠/هـ
١١٤١/م - ١٢٧٢/م

طائفة الإسماعيلية فرقة من فرق الشيعة ، أخذت أصولها المذهبية عن الأصول الشيعية التي وجدت قبل ظهور الإسماعيلية . تلك الأصول التي لم تكن في أول الأمر تختلف عما ذهب إليه غيرهم من المسلمين في شيء . وكان الخلاف ينحصر في نقطة واحدة هي الإمامة . لأن الشيعة جعلوا الإمامة حقاً شرعياً للإمام علي بن أبي طالب ﷺ ولأبنائه من بعده .

وبعد وفاة جعفر الصادق ﷺ حوالي سنة ١٤٧/هـ انقسمت الشيعة بسبب الإمامة إلى فرقتين : لأن الأكثرية العظمى من أتباع المذهب الجعفري نادوا بإمامة موسى الكاظم ابن جعفر الصادق ، وسلسلوا الإمامة في الأكبر سناً من عقبه ، إلى الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري المهدي المنتظر (عج) . وسميت هذه الفرقة بالإمامية الإثني عشرية نسبة إلى عدد الأئمة .

أما الفرقة الثانية التي تفرعت عن المذهب الجعفري ، فهي فرقة الإسماعيلية الذين قالوا بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق ، فنسبت إليه الفرقة[1] .

(١) الدكتور محمد كامل حسين - طائفة الإسماعيلية مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩ ، ص ١١ .

ولا توجد لدينا معلومات دقيقة عن تاريخ الـدعوة الإسمـاعيلية في سورية .

ونستطيع القول بالإستناد إلى ما بين أيدينا من مصادر ، إن الدعـوة انتشـرت في حلب أولاً . وكان القـائم بها الحكيم المنجم ، ولمـا مات الحكيم سنة ٤٩٦/هـ قام بـالأمـر من بعـده رفيقـه أبـو طـاهـر الصـائـغ العجمي[١] .

وبلغت الدعوة ذروتها زمن رضوان بن تتش ، ملك حلب ، الـذي مال إلى الإسماعيليـة جداً ، وشـايعهم ، وحفظ جانبهم ، وصـار لهم ، في حلب ، بفضله جاهاً عظيماً وقـدرة زائدة . ممـا جعل النـاس يتبعون مـذهب الإسماعيليـة طلباً لجـاههم . وكان هـذا سبباً في انتشـار مذهب الإسمـاعيلية في حلب ومنـاطقها كسـرمين والجوز وجبـل السمـاق وبني عليم وبزاعة والباب واعزاز وافامية . . . . .

وقـد أثار تصـرف رضوان ، الملوك فكتبـوا إليه في هـذا الأمر فلم يلتفت إليهم[٢] .

لكن وجود الإسماعيليين في حلب سرعان ما تعرض لنكبة قاسية ، سنـــة ٥٠٥/هـ عنـدمــا تـألبت عليهم الـــطوائف المجـاورة وقتلوا منهم الآلاف .

وازداد الأمر سوءاً بعد وفاة رضوان بن تتش سنة ٥٠٧/هـ وقيام ابنه ألب أرسلان مكانه ، لأن أهل حلب أوغـروا صـدره ضـد الإسماعيليـة ، كمـا أن السلطان محمـد بن ملكشـاه كتب إليـه يقـول : «كـان والـدك يخالفني في الباطنية وأنت ولدي فأحب أن تقتلهم»[٣] .

---

(١) ابن العديم ـ زبدة الحلب ج ٢ ، ص ١٤٧ .
(٢) المرجع السابق ص ١٦٨ .
(٣) المرجع السابق .

واستجاب ألب أرسلان لكتاب السلطان ، فقبض على أبي طاهر الصائغ وقتله ، وقتل إسماعيل الداعي وأخاً الحكيم المنجم والأعيان من أهل الإسماعيلية بحلب وقبض على زهاء مائتي نفس منهم . وحبس بعضهم واستصفى أموالهم ، وشفع في بعضهم ، فمنهم من أطلق سراحه ومنهم من رمي من أعلى القلعة ومنهم من قتل ، وأفلت جماعة منهم فتفرقوا في البلاد(١) .

بعد ١١ سنة على هذه النكبة ، نزلت بالإسماعيلية نكبة مماثلة على يد بلك بن بهرام بن أرتق وذلك في عام ٥١٨/هـ حيث قبض بلك على نائب بهرام داعي الإسماعيلية بحلب ، وأمر بإخراجهم من حلب فباعوا أموالهم ورحالهم ، وخرجوا منها(٢) .

ونفس المصير لاقاه الإسماعيليون في دمشق سنة ٥٢٤/هـ ، وقيل سنة ٥٢٣/هـ ، على يد تاج الملوك بوري صاحب دمشق الذي أمر بقتلهم .

وسبب ذلك أن أبا الوفاء قاضي دمشق كاتب الفرنج ليسلم إليهم دمشق ويسلموا إليه مدينة صور ، واتفقوا على ذلك وأن يكون قدوم الفرنج إلى دمشق يوم الجمعة ليجعل أبو الوفاء أصحابه على أبواب جامع دمشق . وعلم تاج الملوك بوري بهذه المؤامرة ، فاستدعى وزيره المزدغاني ، وكان إسماعيلياً وقتله ، وأمر بقتل الإسماعيلية الذين بدمشق ، فثار أهل دمشق وقتلوا منهم ستة آلاف شخص(٣) .

هذه الضربات المتلاحقة التي نزلت بالإسماعيلية جعلت عيونهم تتطلع إلى أماكن أكثر أمناً تستطيع بحكم طبيعتها الجغرافية أن تحقق لهم الحماية الكافية ، فكان ان اختاروا مصياف وما جاورها من قلاع

(١) ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق ص ١٩٠

(٢) ابن العديم ـ زبدة الحلب ج ٢ ، ص ٢١٦

(٣) أبو الفداء ـ المختصر في أخبار البشر ج ٣ ، ص ٣ وابن الوردي ـ تتمة المختصر ج ٢ ، ص ٥٥ .

وحصون ، كمكان منشود ، وجاء هذا الإختيار لجملة من الأسباب :

أولاً : إن منطقة مصياف عامرة بالقلاع والحصون ، حافلة بالخيرات ، حصينة ومنعزلة .

ثانياً : وجود عدد كبير من أنصار الدعوة فيها ، وفي ما جاورها من قرى .

ثالثاً : قربها من سلمية ، المقر الروحي للإسماعيلية بالشام .

فكان أو توجهت إليها جموع الإسماعيليين من حلب ودمشق ، وفارس ، بعد استيلاء السلطان مسعود على قلعة ألموت .

ولكي يكون لهم موطىء قدم ثابتة ، اشتروا في عام ٥٢٥/هـ حصن القدموس من صاحبه سيف الملك بن عمرون .

ثم بدأوا شيئاً فشيئاً بالإستيلاء على الحصون والقلاع المجاورة ، فاحتلوا الخوابي والكهف سنة ٥٣٢/هـ واستخلصوا مصياف من أيدي بني منقذ سنة ٥٣٥/هـ . ثم احتلوا المينقة سنة ٥٤٦/هـ ، وهكذا حتى بلغ مجموع ما صار بأيديهم من قلاع ١١ قلعة وحصناً أطلقوا عليها اسم قلاع الدعوة وهي : الخوابي ، الكهف ، القدموس ، العليقة ، المينقة ، الرصافة ، أبي قبيس ، مصياف ، بلاطنس، المرقب ، صهيون [1] .

وجميع هذه الحصون والقلاع ، كان الصليبيون بنوها لتسيطر على الممرات التي امتدت بين الأقاليم الإسلامية الداخلية والمناطق الإفرنجية الساحلية [2] .

---

(١) شيخ الربوة (شمس الدين الدمشقي)- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ص ٢٠٨ ويقول البطريرك الدويهي في تاريخ الأزمنة ص ٤٦ انهم احتلوا مصياف وجبلة وحدد تاريخاً لذلك سنة ٥٣٤/هـ .

(٢) فيليب حتّي - تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج ٢ ، ص ٢٤٥ .

من هذه القلاع والحصون تشكلت الدولة الإسماعيلية الجديدة ، التي وصلت إلى أوج ازدهارها في عهد شيخ الجبل سنان راشد الدين .

ولد سنان واسمه الحقيقي سنان بن سليمان بن محمد وكنيته أبو الحسن ، في قرية صغيرة من قرى البصرة ، وقيل في آلموت ، سنة ٥٢٨/هـ[١] وكانت أسرته على مذهب الشيعة الإثني عشرية ، ولما شب تحول هو إلى مذهب الإسماعيلية على يد داعي دعاة العراق، الذي لمس فيه مخيل النجابة والذكاء فحبب إليه الرحيل إلى آلموت ليتلقى هناك علوم الدعوة الإسماعيلية . وكان صاحب آلموت إذ ذاك محمد بن كيابزرك أميد الذي أحسن استقبال سنان وجعله مع ولديه في طلب العلم ، فتوطدت صلة سنان بولي العهد الحسن بن محمد ، فلما تولى الحسن أمور الطائفة بألموت أمر سناناً بالرحيل إلى الشام ليشرف بنفسه على شؤون الطائفة[٢] .

توجه سنان في بادىء الأمر إلى حلب حيث رتب أوضاع الإسماعيليين هناك بعد الضربات التي نزلت بهم ، والإنقسامات والنزاعات التي استفحلت بينهم . ثم نقل مقره إلى مصياف ، فوصلها متخفياً بزي الصوفية الدراويش ، وأقام في قرية بسطريون يعلم الصبيان القراءة والكتابة ، ويعالج المرضى من الأهالي ، ويقدم إليهم الأدوية التي كان يركبها بنفسه من الأعشاب ، فذاع صيته ، وانتشر خبره . ولما وصلت أعماله إلى مسامع أبي محمد كبير دعاة الإسماعيلية وقتذاك ، والذي كان يقيم في قلعة الكهف ، توجه إليه واجتمع به ، وعرض عليه الإقامة عنده ، وهكذا انتقل سنان إلى قلعة الكهف ، وأخذ يساعد الشيخ أبي محمد في شؤون الدعوة ، من دون أن يكشف له عن شخصيته ، أو طبيعة المهمة الموكولة إليه . وعندما مرض أبو محمد ،

---

(١) الدكتور محمد كامل حسين ـ طائفة الإسماعيلية ص ٢٩٧ .
(٢) المرجع السابق ص ١٠٠ .

مرض موته ، خلا به سنان وأطلعه على شخصيته وعرض عليه أمر تعيينه مكانه قبل موته . فأعلن أبو محمد لأتباعه ولمجلس دعاته أنّ الإمام في الموت عين سنان راشد الدين خلفاً له واحتفل بهذه المناسبة في جميع القلاع والحصون ، وتسلم سنان قيادة الدعوة ، ونقل مقره إلى مصياف[1] وجعلها عاصمة دولته .

كان سنان راشد الدين رجلاً فذاً اشتهر بالحزم وسعة الأُفق العلمي والدهاء السياسي .

كون جيشاً من الفدائيين ، مدرباً أحسن تدريب ، وكان يستخدمهم في الدفاع عن أبناء طائفته ، وقتل كل من يحاول أن يمسهم بسوء . سواء أكان من الحكام المسلمين أم من الفرنج . وكان جرأة وشجاعة الفدائيين الإسماعيليين مضرب المثل .

ونستطيع أن نأتي بمثال صغير على أعمال فدائيي سنان ودفاعهم عن اخوانهم ، هو ما قاموا به في حلب سنة ٥٧٥/هـ ففي هذه السنة قبض الملك الصالح قرية للإسماعيلية تعرف بحجيرا من ضياع نقرة بني أسد ، فكتب سنان إليه كتباً عدة في إطلاقها ، فلم يطلقها ، فأرسل جماعة من الرجال معهم النفط والنار فعمدوا إلى الدكان التي في رأس سوق الزجاجين من الشرق في القرنة فألقوا فيها النار فنهض نائب رئيس البلد بمن معه في المربعة وحراس الأسواق وأخذوا السقائين لاطفاء الحريق فأتى الإسماعيلية من أسطحة الأسواق وألقوا النار والنفط في الأسواق فاحترق سوق البز الكبير وسوق العطارين وسوق مجد الدين والمعد للبز وسوق الخليع وسوق الشراشين وسوق السراجين والسوق الذي في غربي الجامع جميعه إلى أن انتهى الحريق إلى المدرسة

---

(١) مصطفى غالب ـ أعلام الإسماعيلية ص ٢٩٧ .

الحلاوية ، واحترق للتجار والسوقية من القماش والآلات شيء كثير وافتق كثير منهم بسبب ذلك ، ولم يظفروا من الإسماعيلية بأحد[1] .

وكثيراً ما كان الأمراء والملوك ، يستعينون بسنان راشد الدين وفدائيته لتحقيق مآربهم السياسية ، والقضاء على خصومهم . جاء في الأخبار أن كمشتكين[2] أرسل إلى سنان أموالاً عظيمة لقتل الملك الناصر عندما هاجم حلب وحاصرها سنة ٥٧٠/هـ ، فأرسل سنان جماعة لقتله لكن المحاولة فشلت لأن صاحب حصن أبي قبيس تعرف إلى الإسماعيلية الذين جاؤوا لقتل الملك الناصر ، وسبق إلى السلطان ، فأدركوه على باب الخيمة ، فقتل خمارتكين ـ أمير جاندار ـ واحداً منهم واجتمع الغلمان فقتلوا الباقين[3] وهذا ما جعل العلاقات تسوء بين صلاح الدين والإسماعيلية ، وخاصة بعد محاولتهم اغتياله للمرة الثانية ، عند حصاره اعزاز سنة ٥٧١/هـ وكان صلاح الدين سار إلى اعزاز ونازلها في الثالث من ذي القعدة وتسلمها حادي عشر ذي الحجة ، وقيل بل أقام عليها ثمانية وعشرين يوماً . وقد نجا صلاح الدين من القتل بأعجوبة . وقد أثرت هذه الحادثة بنفسه تأثيراً كبيراً ، لذلك عقد العزم على محاربة الإسماعيلية فتوجه في محرم سنة ٥٧٢/هـ إلى بلادهم فنهبه وخربه وأحرقه وحاصر قلعة مصياف ونصب عليها المنجنيقات وضيق على من بها ، وأرسل إلى سنان يتهدده ويتوعده فرد عليه سنان بقوله :

يا للرجال من أمر هال مفظعه ... ما مرَّ قط على سمعي توقعه

---

(١) ابن العديم ـ زبدة الحلب ج ٣ ، ص ٣٨ .

(٢) كمشتكين هو سعد الدين كمشتكين الخادم ، مولى بنت الأتابك عماد الدين كان مقدم العساكر ومتولي أقطاعهم في حلب زمن الملك الصالح ، جعله نور الدين والياً من قبله بالموصل . .

(٣) أحمد بن إبراهيم ابن الحنبلي ـ شفاء القلوب في مناقب بني أيوب تحقيق ناظم رشيد بغداد ١٩٧٨ ، ص ٨٦ .

يـا ذا الـذي بقـراع السيف هـددنـا — لا قام مصـرع جنبي حين تصـرعـه
قـام الحمـام إلى البـازي يهـدده — واستيقـظت لأسود البـر أضبعـه
أضحى يسـد فم الأفعي بـاصبعـه — يكفيـه مـا قـد تـلاقي منـه اصبعـه
إنّـا منحنـاك ثـوبـاً للحيـاة فـان — كنت الشكـور وإلا سـوف نخلعـه

وقفنا على تفاصيله وجمله ، وعلمنا ما هددنا به من قوله وعمله ، فيا للعجب من ذبابة تطن في أذن فيـل ، وبعوضـة تعض في التماثيـل ، ولقـد قالهـا من قبلك قوم آخـرون **﴿فدمـرنـاهـا عليهم وما كـان لهم من ناصرين﴾** أو للحق تدحضون وللباطل تنصرون ، **﴿وسيعلم الذين ظلمـوا أي منقلب ينقلبون﴾** .

وأمـا ما صـدر من قـولـك في قـطع رأسي ، وقلعـك لقـلاعي من الجبال الرواسي ، فتلك أماني كاذبة وخيالات غير صائبة ، فان الجـواهر لا تزول بالأعراض كما أن الأرواح لا تضمحل بالأمراض ، كم بين قوي وضعيف ودنيء وشريف وإن عدنا إلى الظواهر والمحسوسات وعدلنا عن البواطن والمعقولات فلنا أسوة برسول الله ﷺ في قوله «مـا أوذي نبي ما أوذيت» ولقد علمتم ما جرى على عترته وأهل بيته وشيعته ، والحال ما حال والأمر ما زال ، ولله الحمد في الأولى والآخـرة ، إذ نحن مظلومـون لا ظالمون ، ومغصوبون لا غاصبون ، وإذا جـاء الحق زهق الباطـل **﴿إن الباطل كان زهوقا﴾** ولقد علمتم ظاهر حالنا وكيفية رجالنـا وما يتمنـونه من الفـوت ويتقربـون بـه إلى حيـاض المـوت **﴿قـل فتمنـوا المـوت إن كنتم صـادقين ، ولا يتمنـونـه أبـداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين﴾** ، وفي أمثال العامة السائـرة (أو للبط تهددون بـالشّط) فهيء للبلايـا جلبابـاً وتـدرع للرزايا أثـوابـاً ، فـلأظهرن عليـك منك ، ولأفنينهم فيـك عنك ، فتكون كالباحث عن حتفه بظلفه والجادع أنفه بكفه ، وما ذلـك على الله بعزيز . فإذا وقفت على كتابنا هذا فكن لأمرنا بـالمرصـاد ، ومن حالـك

على اقتصاد ، واقرأ أول النحل وآخر صاد»[1] .

ثم كتب إليه ثانية[2] .

بنـا نلت هـذا الملك حتى تـأثلت　　بيـوتـك فيهـا واشمخـر عمـودهـا
فـأصبحت ترمينـا بنبـل بنـا استوى　　مغـارسهـا منـا وفينـا حـديـدهـا

وتـذكر المصـادر التـاريخيـة ان سنـانـاً أرسـل إلى شهـاب الـدين الحارمي صاحب حماة ، وهو خال صلاح الـدين يسألـه أن يدخـل بينهم ويصلح الحـال ويشفع فيهم ، ويقـول له : إن لم تفعـل قتلنـاك وجميـع أهـل صـلاح الـدين ، فشفـع فيهم وسـأل صـلاح الـدين الصفـح عن الإسماعيليين فأجابه إلى ذلك وصالحهم ورحل عنهم[3] .

لكن المصـادر الإسماعيليـة تـروي حـادثـة حصـار صـلاح الـدين لمصياف ثم رحيله عنها بشكل مغاير . فهي تقول انـه لما قصـد صلاح الـدين معقـل سنـان راشـد الـدين في مـدينـة مصيـاف ونصب عليهـا المنجنيقـات وعسكر بضـواحيها ، أخـذ سنان يتجـول في القـرى يتفقـد أمرها ، ويعدها لليوم الفاصل وللمعركة الحاسمة ، وصعد إلى قمة جبل مشهـد ليرقب الجيش ، ويستقبـل الوفـد الذي سيره إليه صلاح الـدين لمفاوضته على التسليم برئاسة محمد الكـردي . . . ولما شعـر سنان أن الرسائل لا تجدي نفعاً ، أرسل أحـد الفدائيـة ليلاً فـدخل خيمـة صلاح الدين برغم حيطته في فرض الحراسة المشددة ، فبدل موضع المصابيح التي كانت تنير الخيمة ووضع خنجراً مسموماً غرسه في رغيف حار قرب رأس صلاح الدين وبجانبه قطعة من الورق كتب عليها :

إنـا منحنـاك ثـوبـاً للحيـاة فـإن　　كنت الشكـور وإلا سـوف نخلعـه

---

(1) الدكتور محمد كامل حسين ـ طائفة الإسماعيلية ص ١٠٢ .
(2) مصطفى غالب ـ أعلام الإسماعيلية ص ٣٠١
(3) ابن الأثير ـ الكامل ج ٩ ، ص ١٣٩ أحداث سنة ٥٧٢/هـ وأيضاً أبو الفداء المختصر في أخبار البشر ج ٣ ، ص ٥٨ وتاريخ ابن الوردي ج ٢ ، ص ١٣٣ .

قـد قـام قف إلى قـاف بـزعـزعـه　　كضفـدع تحت صخر رام يقلعـه
مـا يستحي ثعلب من صغر همتـه　　يـرسل إلى أسـد الغـابـات يفـزعـه

وعنـدما استيقظ صـلاح الدين من نـومه ، ورأى الخنجـر والكتاب تيقن أن سناناً من أشرف الرجال ، لأنه لـو أراد قتله لفعل ، وعلى الفـور استدعى خاله أمير حمـاة شهاب الـدين الحارمي وكـان صديقـاً لسنان ، وطلب إليـه أن يتـوسط بينـه وبين سنـان شـريـطة أن تشـارك فـدائيـة الإسماعيلية في الحـروب الصليبية[1] وقـد نفذ سنـان شروط الإتفـاقية ، وأرسل فدائيين قتلا أمير صـور الصليبي كونـراد مونفـراتي ، وقدمـا رأسه لصـلاح الـدين الـذي كـافأهمـا وأعـطى سنـانـاً عشـر قـرى ألحقهـا بمصياف[2] .

توفي سنان راشد الدين سنة ٥٨٨/هـ .

وكان رجل دولة من طراز فـريد . يقضي أيـام الاسبوع متنقـلاً بين القـلاع والحصون ، وخصص يـومين للإقـامة بجبـل مشهد حيث ينقـطع للتأليف ، ورصد النجوم ، والعبادة والتأمل . وكـان يسير بين القـلاع في طـرق ومعابـر سرية مشياً على الأقـدام حتى لا يعرفـه أحد . ويكثـر من الذهاب إلى شيزر وحماة وحمص والشام متخفياً[3] .

بعد وفاة سنان ، تولى الأمر من بعده شخص لا نعلم عنه شيئاً إلا أن اسمه أسد الدين[4] .

---

(١) مصطفى غالب ـ أعلام الإسماعيلية ص ٣٠١ نقلاً عن مخطوطات إسماعيلية . وكذلك عارف تامر ـ سنان وصلاح الدين ص ٩٠ .
(٢) مصطفى غالب ـ أعلام الإسماعيلية ص ٣٠٣ .
(٣) عارف تامر ـ سنان وصلاح الدين ص ٣٣ نقلاً عن كتاب فصول وأخبار وكذلك مصطفى غالب ـ أعلام الإسماعيلية ص ٢٩٨ .
(٤) محمد بن علي بن نظيف الحموي ـ تاريخ المنصوري تحقيق الدكتور أبي العيد دودو مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٢ ، ص ٩٦ .

وفي عهده ، قتل الإسماعيلية ابن البرنس بكنيسة طرطوس ، فجمع والده الفرنج ونزل على حصون الإسماعيلية وقتل وسبى ثأراً لولده وحصر حصن الخوابي فكتبوا إلى السلطان يستغيثون به ويستنجدونه فاستخدم السلطان مائتي راجل وسير جماعة من عسكر حلب يحفظونه ، ليدخلوا إلى حصن الخوابي ، ويمنعوا الفرنج من الإستيلاء عليه[1] .

توفي أسد الدين سنة ٦١٩/هـ ، فولي الأمر أخوه صلاح الدين الذي بقي مدة ثم مات ، فوليها أخوهما تاج الدين فبقي مدة ثم جاء الأمر من ألموت بعزله واستدعائه إليهم وولوا مكانه محيي الدين اعجمي[2] .

وكما كان الحال في زمن سنان ، بقيت الدولة الإسماعيلية في مصياف ، في زمن محيي الدين أو مجد الدين كما ورد اسمه في بعض الروايات ، تلعب دوراً مؤثراً في سياسة بلاد الشام ، وكان الملوك والأمراء من مسلمين وافرنج يخطبون ودها ويتقربون من متوليها بالهدايا لتحقيق مصالحهم ، ومآربهم .

ونكتفي هنا بعرض بعض ما وصلنا من أخبار عن ذلك .

* في سنة ٦٢٤/هـ سير مجد الدين متولي حصون الإسماعيلية بالشام إلى ملك الروم ، علم الدين كيقباذ يطلب منه المقرر لهم عليه ، وهو ألف دينار التي كانت جرت العادة بحملها إلى ألموت ، فأبوا ذلك وسير الرومي إلى جلال الدين بألموت في ذلك ، فقال له : تحملها إليهم بالشام فقد عيناها لهم ذخيرة[3] .

---

(١) ابن واصل ـ مفرج الكروب في أخبار بني أيوب تحقيق الشيال القاهرة ١٩٥٣ ـ ١٩٥٨ ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ .
(٢) محمد بن نظيف الحموي ـ تاريخ المنصوري ص ٩٦ .
(٣) المرجع السابق ص ١٤٥ .

* في سنة ٦٣٠/هـ سير الملك المجاهد شيركوه بن محمد بن شيركوه الأيوبي هدية للفرنج وللإسماعيلية[1] .

* وفي سنة ٦٣٦/هـ اتفق الملك الجواد وصاحب حمص ووافقهما الأمير عماد الدين بن قلج نائب الملك الجواد بدمشق فرأوا أن أمرهم لا يتم إلا بقتل عماد الدين بن عمر ابن شيخ الشيوخ فبعثوا إلى نواب الإسماعيلية في ذلك ودفعوا إليهم مالاً وقرية فسيروا فدائيين قتلاه على باب الجامع في سادس عشري جمادى الأولى[2] .

* في سنة ٦٣٨/هـ عندما بلغ القاضي بدر الدين سنجار أن الملك الصالح نجم الدين ملك مصر يطلبه ، مضى إلى مصياف وأخذ يتحيل في الوصول إلى مصر ، فبلغ ذلك الملك الصالح إسماعيل ، فأرسل إليه ليحضر ، فامتنع من الحضور ، واستجار بالإسماعيلية فأجاروه ومنعوا الصالح منه ، وأوصلوه إلى حماه[3] .

لكن هذا العز لم يطل أمده ، وسرعان ما وجدت الدولة الإسماعيلية نفسها وجهاً لوجه أمام الكارثة . وذلك عندما اقتحمت جحافل التتار قلاعها وحصونها في سنة ٦٥٨/هـ واستولوا على مصياف والكهف والقدموس والخوابي .

وعندما سار الملك المظفر سيف الدين قطز ، من مصر إلى الشام لملاقاة التتار ومنازلتهم ، انضم الإسماعيليون إليه وقاتلوا معه في عين جالوت .

ولما انهزم جيش التتار في هذه المعركة ، انتهز الداعي أبو المعالي هذه الفرصة وجمع رجاله ، واسترد بهم القلاع التي كان التتار استولوا عليها[4] .

ولئن كانت القلاع عادت إلى الإسماعيلية ، إلا أن الدولة

(١) محمد من نظيف الحموي - تاريخ المنصوري ص ٢٥٩ .
(٢) المقريزي - كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ج ١ ، ص ٢٧٦ .
(٣) المرجع السابق ص ٣٠٢ .
(٤) الدكتور محمد كامل حسين - طائفة الإسماعيلية ص ١٠٧ .

الإسماعيلية التي كانت تتشكل من هذه القلاع ، لم تعد إلى ما كانت عليه من التألق والازدهار والقوة . ولم تعش بعد ذلك أكثر من اثنتي عشرة سنة ثم انتهت . وكانت نهايتها على يد الملك الظاهر بيبرس .

وتتضارب الأقوال عن كيفية انتهائها ، وتتباعد بحيث لا يمكننا رسم فكرة واضحة عن نهايتها .

ويستفاد مما ذكره أبو الفداء وابن الوردي في تاريخيهما أنَّ الظاهر بيبرس تسلم قلاع وحصون الإسماعيلية على مراحل .

في سنة ٦٦٧/هـ تسلم حصن بلاطنس من عز الدين عثمان صاحب صهيون .

وفي سنة ٦٦٨/هـ تسلم مصياف .

وفي سنة ٦٦٩/هـ تسلم قلعة العليقة وبلادها .

وفي سنة ٦٧٠/هـ تسلم نوابه ما تأخر من الحصون وهي الكهف والمينقة وقدموس(١) .

بينما يفهم مما كتبه المقريزي أنه في ٦٦٨/هـ عندما حضر الملك الظاهر إلى حماه ، حضر إلى خدمته كثير من أصحاب البلاد المجاورة ، ولم يمتنع عن الحضور إلاَّ نجم الدين حسن بن الشعراني صاحب قلاع الإسماعيلية ، الذي بعث يطلب تنقيص القطيعة التي حملوها لبيت المال بدلاً مما كانوا يحملونه إلى الفرنج .

وكان الملك الظاهر تغير على صاحب العليقة صارم الدين مبارك بن الرضى ، فدخل صاحب صهيون بينه وبين الملك في الصلح وأحضره إلى الخدمة . فقلده السلطان بلاد الدعوة استقلالاً وعزل نجم الدين حسن بن الشعراني وولده من نيابة الدعوة وتوجه صارم الدين إلى مصياف في سابع عشري جمادى الآخرة وصحبته جماعة لتقرير أمره(٢) .

---

(١) أبو الفداء - المختصر في أخبار البشر ج ٤ ، ص ٦و٧ وتاريخ ابن الوردي ج٢ ، ص ٣١٤ .

(٢) المقريزي - كتاب السلوك ج ١ ، ص ٥٨٦ .

وذكر المقريزي في أخبار سنة ٦٧٠/هـ ما نصه :

في سادس عشريه ـ أي شهر صفر ـ قدم شمس الدين بن نجم الدين صاحب الدعوة الإسماعيلية فقبض عليه وعلى أصحابه وسيروا إلى مصر واستمرت مضايقة حصونهم حتى تسلم نواب السلطان حصن الخوابي وحصن العليقة [1]

وذكر أيضاً : في ثاني عشر ذي الحجة ـ سنة إحدى وسبعين وستمائة ـ استولى السلطان على بقية حصون الدعوة الإسماعيلية وهي : المينقة والقدموس والكهف ، وأقيمت هناك الجمعة وترضي عن الصحابة بها ، وعفيت المنكرات منها وأظهرت شرائع الإسلام وشعائره [2] .

ومن جهة أخرى جاء في كتاب [الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على بلاد المسلمين] ما نصه :

«وفي سنة ثمان وستين فتح الملك الظاهر الحصون الإسماعيلية وأمر على الحصون الإسماعيلية نجم الدين حسن بن المشغراني ، وقرر عليه أن يحمل في كل عام مائة ألف درهم . والمشغراني نسبة إلى مشغرة وهي قرية كبيرة نزهة كثيرة المياه ، وهي بسفح لبنان الشرقي بين صيدا ودمشق» [3] .

وأيّاً ما كان الأمر ، فإن الدولة الإسماعيلية انتهت باجماع المصادر سنة ٦٧٠/هـ ـ ١٢٧٢/م بعد أن عاشت ١٣٥ سنة . منها ٥٣ سنة بعهد سنان راشد الدين و٨٢ سنة بعده . فكانت أطول الحكومات الشيعية عمراً في ساحل بلاد الشام ، وآخرها .

---

(١) المقريزي ـ كتاب السلوك ج ١ ، ص ٥٩٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٠٨ .

(٣) أحمد بن علي الحريري ـ الاعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين تحقيق الدكتور سهيل زكار دمشق ١٩٨١ ، ص ١٠٢ .

الحياة الثقافية في عهد الدولة الاسماعيلية :

إن أي تجمع سكاني مستقر ، لا بد وأن ينتج أدباً . وهذا الأدب يتلون بلون البيئة التي نشأ فيها ويتأثر بالظروف السياسية والإجتماعية والعقائدية السائدة .

وقد كان التراث الأدبي والفكري الذي خلفته لنا الدولة الإسماعيلية في مصياف ، خلال فترة حياتها ، على درجة كبيرة من الغنى والتنوع . وحمل راية هذا التراث مفكرون أعلام لا ينكر فضلهم .

لكن مما يؤسف له ، أن هذا التراث الغني والضخم ، لا يزال بعيداً عن متناول اليد ، بالرغم من الجهود المشكورة التي قام بها كل من الدكتورين الفاضلين عارف تامر ومصطفى غالب ، في تعريفنا بهذا التراث .

وكم نتمنى أن تسمح الظروف بنشر هذا التراث كاملاً ، لأنه من غير المقبول اليوم ، أن تبقى كنوزنا مخبأة ، مضنون بها إلا على الخاصة .

وهذه نظرة سريعة موجزة ، على بعض أعلام الفكر والأدب في الدولة الإسماعيلية :

ـ الأمير مزيد الحلي الأسدي .

هو مزيد بن صفوان بن الحسن بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي . ولد في حلة بني مزيد بالعراق ، ولأسباب غير معروفة ترك بلده ومسقط رأسه واتجه إلى مصياف وأقام فيها ، واتخذها موطناً ، وبقي فيها طوال حياته إلى أن توفي سنة ٥٨٤/هـ فدفن إلى جوار سنان راشد الدين .

وصف مزيد بأنه كان «شاعراً مبدعاً مرهف الحس ، رقيق

الشعور ، صادق العاطفة»[1] .

في شعره ألم دفين ، وحزن لاعج لعل مبعثه شعوره بالغربة وحنينه إلى أهله ودياره .

يعود الفضل إلى كل من الدكتورين عارف تامر ومصطفى غالب في تعريفنا بشعره[2] .

من شعره :

طيف لحسناء من بعد الكرى طرقا ... ليلاً فهاج بي الأحزان والقلقا
عجبت وهي إلى جنبي تعاتبني ... ما كان أحسن هذا العتب لو صدقا
هل لي برجعة عيش كنت أعهدها ... للجامعين وبرق البين ما برقا
أيام أخطر في روض الصبا مرحاً ... ولمتي جثلة تزهو لمن رمقا

وقال أيضاً :

أما والهوى لو عندها بعض ما عندي ... لما هجرت لكنما وجدها وجدي
وحق الهوى لم أستطع إذا مشت ... لابسط ذلاً تحت أقدامها خدي

ومن قصيدة له يحن فيها إلى أهله ، يقول :

ألا كم ألوم النفس عند اذكاركم ... وحتام أخفي ما ألاقي وأكتم
وفي كبدي للبين ناب ومخلب ... وحولي ذئاب للحوادث حوّم
وكم ليلة قضيت فيها مآربي ... أعانق ربات الخدور وألثم
فيا دهر هل بعد التغير رجعة ... وهل يشتفي من لاعج الشوق مغرم

ومنها :

وكنت أناجيه ، وقد غلب الهوى ... ألا فاسقني خمراً من الدن تهدم
ودرها لنا لا عيش إلا بشربها ... إذا لاح ضوء الصبح أوهب أنسم

---

(١) مصطفى غالب ـ أعلام الإسماعيلية ، ص ٥١٠ .

مشعشعة جلت على كل عاشق لبيب وإن كانت على المرء تحرم
تراءت فلا تدري مصابيح راهب تلوح أو انقضّت من الأفق أنجم
ويرفعها الساقي فلست بعارف أيلزمها بالكف أم ليس يلزم
هي الشمس في الدوران والدين برجها ومشرقها كأس ومغربها فم

وفي قصيدة زاخرة بالمصطلحات العرفانية قال :

يا ليت قومي بعد شط النوى بما حباني ذو العلى يعلمون
بحب أتراب كمثل الدمى يرشقن قلبي بسهام العيون
يخفقن شبه الشمس يحجبنها بل أنتم من نورها تحجبون
نور مضيء لم يزل ساطعاً لكنكم عن ضوئه تعمهون
أسماء ذاك النور مسطورة في كتب الله التي تقرأون
تأملوا الذكر وآياته فإنكم قوم به تجهلون
ما وجه رب العرش باق إذا أدرك هذا الخلق ريب المنون
ما الاذن ، ما العين ، وما نفسه والجنب والنور الذي تنظرون
ما الوارثون الأرض ، ما ارثهم بل ما أولي العلم وما الشاهدون
ما المنفقون السر ، ما معلن ما الصوم ، ما الصائم ما المؤثرون
ما الكلم الطيب ، ما ضده ما الطيبات الخلق ، ما الطيبون
ما مرج البحرين ، ما برزخ بينهما لو كنتم تعلمون
ما حجة الله على خلقه ما الأمر بالمعروف ، ما الآمرون
ما النور ، ما المشكاة ، ما ذلك الكوكب ، ما المصباح لو تسألون
نور على نور ليشقى به قوم ويحظى بالهدى آخرون
فاصغوا إلى الداعي فهل أنتم صم عن الداعي فلا تسمعون
لاح صباح الحق لكنكم في ظلمة الباطل لا تبصرون

وقال يمدح آل البيت عليهم الصلاة والسلام :

وتمسكي بحبال آل محمد ما عشت لا بحبائل الشيطان
فهم الحياة لكل قلب ميت وهم الممات إذا التقى الجمعان
وهم الطريق لمن تبصر بالهدى والبارد السلسال للظمآن

وهم الأدلة للذين بحبهم   والواصلين بهم إلى الرحمن

- سنان راشد الدين :

في الصفحات السابقة ، تكلمنا بشيء من الإيجاز عن سيرة سنان راشد الدين ، وذلك من خلال حديثنا عن الدولة الإسماعيلية . وقلنا إنه كان رجل دولة من طراز فريد ، وهذا جانب من جوانب شخصيته الفذة .

أما الجانب الآخر ، فهو كونه أديباً كبيراً ، وعالماً نحريراً ، وفيلسوفاً عبقرياً . وله شعر حسن يدل على أن سنان يضم بين جانحيه شخصية شاعر ملهم ، يسير في طليعة الشعراء لكن شعره ما زال متفرقاً هنا وهناك . وقد أتى على ذكر شيء منه الدكتور عارف تامر في كتابه [سنان وصلاح الدين] .

من شعر سنان قوله :

ما أكثر الناس وما أقلهم   وما أقل في القليل النجبا
ليتهم إذ لم يكونوا خلقوا   مهذبين صحبوا مهذبا

وقوله أيضاً :

ألجأني الدهر إلى معشر   ما فيهم للخير مستمتع
إن حدثوا لم يفهموا سامعاً   أو حدثوا مجوا ولم يسمعوا
تقدمي أخرني فيهم . . .   من ذنبه الإحسان ما يصنع

ومن جميل شعره قوله :

لو كنت تعلم كل ما علم الورى   طراً لكنت صديق كل العالم
لكن جهلت فصرت تحسب أن من   يهوى خلاف هواك ليس بعالم
فاستحي أن الحق أصبح ظاهراً   عما تقول وأنت شبه النائم

ومن قصيدة أرسلها إلى سابق الدين عمار بن الداية صاحب شيزر يعزيه بأخيه شمس الدين صاحب قلعة جعبر ، نختار هذه الأبيات :

إن المنــايــا لا يــطـأن بمنسم	إلاّ على أكتــاف أهــل الســؤدد
فلئن صبرت فأنت سيـد معشـر	صبروا وإن تجـزع فغيــر مفنـد
هـذا التناصـر باللسـان ولـو أتى	غيـر الحمام أتـاك نصري بـاليـد

ـ شمس الدين الطيبي :

هـو شمس الدين بن أحمـد بن يعقوب الـطيبي ، والأقـوال حـولـه متضاربة . فعلى حين يذكر الدكتور عارف تامر أنه لم يعثر له في مصادر الدعوة الإسماعيلية على أي أثر ينيرنـا إلى معرفـة تاريـخ حياتـه وموطنـه ومؤلفاته ما قام به من أعمال[1] . نجد مصطفى غـالب في كتابه [أعلام الإسماعيلية] ، قـد تحدث عن سيـرة حياتـه وعرض نمـاذج من شعره . ويستفاد مما كتبه مصطفى غالب ، أنّ شمس الدين وُلد في قرية (بزاعة) من أعمال حلب سنة ٥٩٢/هـ . كان أبوه ، الشيخ أحمد الـطيبي ، من كبار دعاة المذهب الإسماعيلي في جهات حلب ، وقد اهتم بتنشئة ولده وتـربيته تـربية صـالحة ، ولقنـه كافـة العلوم الإسمـاعيليـة وهـو في سن مبكرة ، وأخذ ينظم الشعر الفلسفي .

ومـا كـاد يبلغ أشــده حتى وصلت أخبـاره إلى مــركـز الــدعـوة الإسماعيلية النزارية في ألموت فاستدعاه الإمام علاء الدين محمد حيث جعله شاعره الخاص ، وأخذ هـو بدوره يتلقى علومـه العاليـة على أيدي كبار دعاة وعلماء ألموت ، وتتلمـذ فترة من الـزمن على الفيلسـوف الكبير نصير الدين الطوسي . ثم قرر مجلس الدعاة إرسالـه ليتولى أمـور الدعوة في بلاد الشام ، على أن يكون داعياً متجولاً في كافة البلاد وظـل

---

(١) المرجع السابق ص ٥١٠ وأيضاً عارف تامر ـ سنان وصلاح الدين ص ٩٧ .

يتنقّل بين قلاع الدعوة إلى أن توفي بمصياف سنة ٦٥٢/هـ ودفن فيها(١) .

كان شمس الدين غزير المادة ترك من المؤلفات :

* رسالة [الدستور ودعوة المؤمنين إلى الحضور] المعروفة بدستور المولى علاء الدين .

* قصائد كثيرة موزعة في أغلب المخطوطات الإسماعيلية السورية .

من شعره قصيدة في مدح آل البيت ﷺ يقول فيها(٢) :

ولديه يكون عدل وظلم	وعليه يدور عرف ونكر
كانت الكائنات كالليل حتى	لاح من نوره فأشرق فجر
فإذا ما ارتقى يقصر وهم	عن مدى فهمه ويعجز فكر

ومنها في الحكميات :

إنما النفس للخليقة لبٌّ	وكذا الجسم في الحقيقة قشر
فاطلب اللب واترك القشر يشر	ح لك صدر ثم يوضع وزر
واتبع الحق لا تمل عن هداه	باعتقادٍ يراه زيدٌ وعمرُ
أكثر الخلق في عمى وضلال	ليس ينهيهمُ عن الجهل زجر
من دعاهم لباطلٍ تبعوه	وإذا ما دعوا إلى الحق فروا
فهم الجاحدون لما أتاهم	ببيان الهدى من الله ذكر

ومنها :

سقط اليوم حيث خس فأضحى	فوق أيدي الملوك بازٌ وصقر
نحن أطفال غادة وعلينا	لولي الأمور نهي وزجر
والفتى في يد الطبيعة عبد	فإذا حلَّ قيده فهو حر
نحن كالماء يدفع البعض بعض	ليتم المسير والدهر نهر

(١) عارف تامر ـ أربع رسائل إسماعيلية دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٧٨، ط ٢، ص ٤٩ .
(٢) مصطفى غالب ـ أعلام الإسماعيلية ص ٣٠٦ .

ومنها في الأخلاق :

لا تكن كالصبي يلهيك عما — فيه نيل الكمال بيض وصفر
لا تكن واثقاً بخل جهول — ليس بالجاهلية يشتد أزر
لا تكن حاسداً فرب حسود — مات غيظاً وفي الحشا منه جمر
وإذا ضاق موضع بك فارحل — فالفضا واسع وما ضاق بر
وإذا ما عشقت فاخضع بذل — ذلة العاشقين في الحب مهر
أتظن الوصال يدرك سهلاً — دون درك الوصال بيض وسمر

ومنها في مدح السادة الأطهار :

طاب شعر الطيبي ، لم لا وفيه — من ثناء الأئمة الطهر عطر
أولياء الهدى أئمة صدق — سادة قادة الميامين غر
قرشيون هاشميون عرب — شأنهم حكمة تقوى وبر
دوحة أصلها النبوة والعلم — من الفرع والإمامة زهر
شمل الكون ظلها وجباها — مثل طوبى وما خلا منها قطر

ومنها :

هم هداة الأنام إن ضل قصد — وسقاه الغمام إن عزَّ قطر
وهم القصد في الصلاة ولولا — ذكرهم لم يكن عشاء وظهر
قبلة العالمين في كل دور — ولهم في الورى ظهور وستر
وبهم شرفت حجاز ونجد — وبهم شرفت عراق ومصر
وكفى المدح أن يُقال نبي — ووحي له وسبط وصهر
وعليهم نزول إنَّا فتحنا — ولهم بشرت إذا جاء نصر

هذا كل ما وصلنا من شعر الطيبي . . .

أما في النثر ، فقد وصلتنا رسالته التي حققها ونشرها الدكتور عارف تامر ضمن كتاب [أربع رسائل إسماعيلية] .

وهذه وقفة قصيرة عند هذه الرسالة :

عنوان الرسالة :

يقول مصطفى غالب : إن شمس الدين الطيبي ترك عدة كتب تبحث في الفلسفة الإسماعيلية وأصول المذهب ، فُقِدَتْ كما فُقِدَ غيرها من مؤلفات الدعاة الإسماعيلية ، ولم يبق إلا كتاب واحد فقط ، هو دستور المولى علاء الدين .

ونعتقد أنَّ مصطفى غالب استوحى هذا العنوان مما جاء في خاتمة الرسالة ونصه :«سمعه شمس الدين أحمد بن يعقوب الطيبي ، من الداعي الجليل نصير الدين الطوسي ، سمعه من الإمام علاء الدين محمد علينا منه السّلام» .

أما الدكتور عارف تامر فقد ذكر عنوان الرسالة كما يلي [الدستور ودعوة المؤمنين للحضور] ، وهذا العنوان ، على ما نرى ، إختصار لعنوان الرسالة الأصلي الذي جاء في مقدمتها وهو : هذه رسالة الدستور ، ودعوة المؤمنين للحضور ، ولمن أراد الدخول في الدعوة الإسماعيلية ، والحضور إلى الجنة مع الولدان والحور ، تحت أكناف الستور ، إنه رحيم غفور . والسلام على من اتبع الهدىٰ ، وخشي عواقب الردىٰ ، وأطاع الملك العلي الأعلىٰ ، وأقر بنبوءة محمد المصطفىٰ ، وبولاية علي المرتضى ، واللعنة على من كذب وتولىٰ .

تقع هذه الرسالة في «٢٣» صفحة من القطع العادي ، وتتضمن :

* الشروط التي يتوجب توفرها في المستجيب .
* صفة المرشد .
* العلوم التي تلقن للمستجيب ، وطريقة تلقينه هذه العلوم .

الشروط التي يجب توافرها في المستجيب هي أن يكون بالغاً عاقلاً رشيداً ، كبر وبلغ في السن ، جميل الصورة ، سليماً من الآفات والعاهات الجسدية والخلقية ، وأن يكون إلى جانب ذلك حسن

الأخلاق ، متمسكاً بأوامر الدين والشريعة ، معظماً للنواميس الإلهيـة ، مصاحباً لأهل الصلاح والدين ويخضع للتجربة والإمتحان ، كما يجري السؤال عن أقواله وأفعاله وأحواله جميعها الظاهرة منها والباطنة . فإذا عرف منه السداد والرشاد ، يجرب بترك المعاصي ويمتحن بترك المطلوبات الجسمانية والمجاهدة بالنفس والمال في سبيل العقيدة وأداء أحكامها .

فإذا ظهر بعد كل ذلك ، انه كان محقاً في الطلب ، مجداً في الرغبة ، مطيعاً ، مستسلماً، تبدأ المرحلة الثانية ، مرحلة تلقينه أسس الدعوة ، في طقوس خاصة . حيث يفاتح بأسس الدعوة بحضور جماعة من المؤمنين يجب ألا يقل عددهم عن نقيب وشاهدين . فيقول النقيب بحضور الجماعة :

«بسم الله الرحمٰن الرحيم . الحمد لله الذي جعل بعضنا لبعض دليلاً ، وبعث منا رسولاً ، وأوضح لنا السبيل ، وفتح علينا من كشف الأسرار ما هو أشد وطأً وأقوم قيلا . . .

جماعة المؤمنين . . . هـذا فلان . . . . قد عرفتم ظاهره وباطنه وكشفتم سرائره وقد قصدكم طالباً ، ولأنواركم راغباً . . . فصلوا حبل معناكم بحبله ، وأجيبوه بما علّمكم الله من فضله وأحيوه من موت جهله ، وعرِّفوه حقائق الدين القويم وأرشدوه إلى الصراط المستقيم » . . .

وقبل أن يلقن المستجيب أسس العقيدة ، عليه أن يقسم قسماً معظّماً بالله ، وبجميع أسمائه الحسنى وصفاته العليا ، ويشهد الملائكة المقربين وأرواح الأنبياء المرسلين ، ونفوس الصادقين والصالحين من عباده العارفين انه راغب في المذهب الإسماعيلي ، وانه يكتم ويخفي كل سر تعلمه عن كل من لا يعتقد بمعتقده . وبعد القسم ، يعطي البسلمة ، والتشويق ، والشهادة الإلهية ضمن طقوس يتخللها سجود

ويشرب المستجيب خلالها مرة الماء ، سروراً وحبوراً وتذكاراً لصفي الله آدم ووصيه شيث . ومرة لبناً ، تذكاراً لنجي الله نوح ووصيه سام . ومرة ثالثة عسلاً ، ممزوجاً بالماء تذكاراً لخليل الله إبراهيم ووصيه إسماعيل . ومرة رابعة ، شعاع العقل وبرق الوصول سروراً وحبوراً وطرباً لروح الله عيسىٰ ووصيه شمعون . . . وفي آخر الأمر يشرب ذكرى للناطق المؤيد رسول الله محمد ﷺ ووصيه علي ؑ وبعدئذ يشير النقيب إلى أحسن الجماعة صوتاً فيقوم فيؤذن بهذا الاذان الإلهي :

الله أكبر عن إدراك الأوهام واللاهوتية ، الله أكبر عن اماطة العقول بمعنويته ، الله أكبر عن صفات العقول والنفوس . الله أكبر عن التحديد بالمعقول والمحسوس . وأشهد أن لا إله إلا الله الأول الأزل السابق ، وأشهد أن لا إله إلا الله العالم القادر الخالق ، وأشهد أن محمداً رسول الله الناطق بالتنزيل ، والدليل إلى أوضح السبيل ، وأشهد أن علياً ولي الله ، ووصيه الناطق بحقائق التأويل ، والقائم من بعده بالحق المبين ، ونور الله المدل إلى سواء السبيل ، حي على الصلاة ، صلاة المتصلين علوم الأصول والفروع ، حي على الصّلاة ، صلاة القائمين بأعمال المعقول والمشروع ، حي على الفلاح بالاستفادة من جواهر أنوار التالي ، حي على الفلاح بالتوجه إلى أركان أساس البيت المعمور ، حي على خير العمل بإجابة الدعاة وإطاعة الحدود . قد قامت الصلاة في قلوب المؤمنين بالتقديس والتمجيد . قد قامت الصلاة في أسرار العارفين بالتأويل والتوحيد ، وحقت كلمة العذاب على المنكرين بالتقليد . الله أكبر عما يتوهم الظالمون . الله أكبر عما يتوهم الجاحدون ، لا إله إلا الله العلي المتعالي عن الأوهام والظنون .»

وبعد هذا الأذان يقوم أعلمهم وأكبرهم فيصلي فيهم ركعتين ، ثم تبدأ مرحلة تعليم المستجيب ، معرفة الموجودات وكيفية الإعتقادات وتأويل المعتقد ، ومعرفة مرتبة الإمام ، وتحقيق التوحيد .

من ذلك مثلاً :

النبوءة والرسالة هي ظهور الكلمة بالحجاب ، وتنصيب الدليل والمرشد والباب ، إلى منهج الحق ، وطريق الصواب ، والنبي هو المخبر عن الأصول ، والداعي إلى ما يدعو إليه الرسول ، وهو الناطق الداعي إلى الأصلين السابقين والتالي . والفروع الثلاثة والخمسة العلوية الحاملة للكمال ، وأما الصحيفة والكتاب ، وتبيان جزيل الخطاب ، فهو اتصال التأييد من السابق إلى الناطق وهدايته إلى التأليف ، وإعانته على التصنيف ، وأما الملائكة المقربون ، فهم القوى العالمة في العوالم العالية والسافلة . . . والكروبيون هم القوى الممدة للنطقاء في تأليف التنزيل ، والأديان ، والشرائع هي موضوعات العقول الإلهية لإصلاح الأجسام الأرضية . . . والقبر هو الصورة الجسمانية ، والهياكل الجرمانية ، وعذاب القبر هو تأثير النفس بسبب ما يظهر عليها من الصور الهيولانية المخالفة للطبائع ، وذلك على سبيل التغيير ، وإتيان منكر ونكير ، هو استيلاء القوة الشهوانية والغضبية الداعيتين إلى الهلاك ، والحشر هو انحطاط النفوس في سلك انقيادها وانجبارها إلى ما فيه ذاتها وحقيقتها . . . .

والميزان هو الآلة التي يستعملها العقل الدراك المحيط المميز المركب من البسيط ، والصراط هو البرزخ ، ومعبر النفس إلى العالم الأعلى من الأدنى ، ومعنى الجنة العوالم الثمانية :

أولها : جنة الميراث وهي رتبة الإنسانية .

والثانية : جنة عدن وهي الرتبة الملكية .

وثالثها : جنة الخلد وهي العوالم الفلكية .

ورابعها : الجنة العالية وهي العوالم الروحانية المجردة من العوالم الجرمانية .

وخامسها : جنة الفردوس وهي النفسانية .

وسادسها : جنة النعيم وهي عالم العلم .

وسابعها : جنة رضوان وهي عالم العقل .

وثامنها : جنة المأوىٰ وهي عالم الامر الذي منه بدت العوالم وإليه معادها . . . .

المصير والرجوع إلى الله تعالىٰ هو انتهاء جميع النسب والإضافات التي بين البسائط والمركبات من العوالم الروحانية والجسمانية واللطائف والكثائف إلى الأربعة الحاملة إشارة الكلمة إلى المرتبة المشار إليها بحروف الله المتصل بالأمر الذي هو معنى رجوع المركبات العددية ، أو معرفة مرتبة الإمام ، ومشاهدة أنواره المحيطة بالخاص والعام ، ومطالعة آثار البسيط على المعاني والأجسام ، والحلال الواجب إظهاره وإعلانه والحرام الواجب ستره وكتمانه هو الطاعة والدخول في عهد إمام الزمان ، والثاني المعصية والميل لأئمة الضلال والعدوان ، وأما الصلاة فهي صلة الداعي إلى دار السلام بصلة الأبوة في الأديان إلى الإمام ، والزكاة إيصال الحكمة إلى المستحق وإرشاد الطالب لمنهج الحق ، والصوم الإمساك عن كشف الحقائق والنواميس الشرعية لغير أهلها في دور الكشف والستر هو استتار الإمام بحججه واختفاؤه بدعاته ، والنهار دليل على دور الكشف ، والإفطار ظهور الإمام من وراء حجابه ، وإظهار المعاني الإلهية ، وعرفان حقيقة الأحوال المعادية . . . . . والحج هو القصد إلى صحبة السادة الأئمة من أهل البيت . . . والإحرام الخروج من مذهب الأضداد ، وتحصيل القابلة الإستعداد للوقوف في عرفات ، والمزدلفة الوقوف على قوانين الحكمة والمعرفة . . . .

والعدل ترك الناقص مع وجود الكامل ، والإحسان إحاطة العلم بالإمام ، وقدرته على ما بطن وظهر وتجلى واستتر ، وإيتاء ذي القربى

محبة الرسول ، وولاية أولاد البتول ، وتفضيل الهاشميين ، والقول بإمامة الفاطميين ، والظلم وضع الإمامة في غير آل محمد . . .

ـ حسن بن احمد بن علي المعدل :

قال عنه مصطفى غالب إنه من كبار دعاة الإسماعيلية في بلاد الشام ، ولا يوجد أي أثر تاريخي يؤكد بالضبط تاريخ ولادته ونشأته .

ولد في قرية تعنيتة التي تبعد ٣٨ كم عن القدموس ، وتأدب وتلقى العلوم الإسماعيلية في مدارس قلاع الدعوة . عاش مابين ٥٨٨/هـ . حتى سنة ٦٥٨/هـ . فهو والحالة هذه عاصر أربعة أئمة هم : جلال الدين حسن ، وعلاء الدين محمد ، وركن الدين خيروشاه ، وشمس الدين محمد [1] . تدرج في رتب الدعوة حتى أصبح مقدماً ، وقد أشار إلى ذلك بقوله :

حسن أنا لي رتبة معروفة بين الحدود مقدم وملاوم
وأنا المعدل لا أزال معدلاً نفسي وإخواني فهن عزائم

توفي ودفن في قرية تعنيتة ، ويبدو انه لم يغادرها في حياته .

من آثاره : قصيدته المشهورة [ألفية المعدل] . أما في النثر فقد ترك رسالتين الأولى بعنوان [الرسالة الناطقة ذات العلوم الغامقة] والثانية بعنوان [رسالة المبدأ والمعاد] .

حقق الرسالتين ونشرهما الدكتور مصطفى غالب تحت عنوان [رسالتان إسماعيليتان] لكنه لم يتسن لنا الإطلاع عليهما . . . . .

---

(١) المرجع السابق ص ٣٠٧ وأيضاً : عارف تامر أربع رسائل إسماعيلية ص ٤٩ .



دور الافول والنكبات المتلاحقة

حياة الدول كحياة الأفراد ، وتمر بالأدوار ذاتها . دور الولادة والنشأة ، ثم دور القوة والإزدهار فدور الإنحدار والفناء .

لذلك كان من الطبيعي جداً ، أن يعقب عهد الإزدهار الذي بلغته الشيعة في بلاد الشام وسواحلها الغربية عهد الأفول والإنفلاش .

وقد بدأ عهد الأفول في سنة ٥٠٢/هـ ، ١١٠٩/م ، بانتهاء حكم آل عمار في طرابلس وجبلة . وانتهى في عام ٦٧٠ هـ ، ١٢٧٢/م ، بغروب شمس الدولة الإسماعيلية في مصياف .

أي ان عهد الافول استغرق ١٦٣ سنة .

لكن ما ينبغي قوله ، إن أفول نجم الشيعة كحكومات مستقلة ، لم ينه وجودها كمذهب في تلك الأماكن كل ما في الأمر أنَّ عددهم تضاءل كثيراً بسبب الضغوط التي تعرضوا لها ، وحملات التصفية التي طالتهم في كل بلاد الشام .

فكما هو معلوم ، إن جميع الحكومات التي تعاقبت على بلاد الشام بعد انحسار ظل الدولة العباسية ـ سلاجقة ، زنكيون ، أيوبيون ، مماليك ، عثمانيون ـ كانت سنية ، شديدة العداء للشيعة . وقد عملت

هذه الحكومات على القضاء على كل أثر للشيعة في بلاد الشام بعد أن تم القضاء عليهم في مصر .

وقد بدأ العداء للشيعة يظهر إلى العلن في بلاد الشام ، في عهد نور الدين زنكي الذي غير الأذان بحلب سنة ٥٤٣/هـ ومنع المؤذنين من قولهم «حي على خير العمل» وقال للفقهاء من لم يؤذن الاذان المشروع ألقوه من المنارة على رأسه[1] .

وقد عظم هذا الأمر على الإسماعيلية وأهل التشيع ، وضاقت له صدورهم وهاجوا وماجوا ثم سكنوا خوفاً من القتل [2] .

ولما جاء صلاح الدين الأيوبي ، وخلفاؤه من بعده ، ثم المماليك في أعقابهم ، غالوا في القضاء على كل أثر للشيعة .

وكان المماليك أكثر تشدداً ، من غيرهم ، في محاربة المذاهب الإسلامية غير السنية . فقد أمر الظاهر بيبرس سنة ٦٦٥/هـ ، ١٢٦٧/م باتباع المذاهب السنية الأربعة وتحريم ما عداها . ولم يكتف بذلك ، بل أمر بأن لا يولى قاض ولا تقبل شهادة أحد ولا يرشح لإحدى وظائف الخطابة أو الإمامة أو التدريس ما لم يكن مقلداً لأحد هذه المذاهب[3].

وكان الناس إذا أرادوا أن يكيدوا لشخص دسوا عليه من رماه بالتشيع ، فتصادر أملاكه وتنهال عليه العقوبات والإهانات حتى يظهر التوبة من الرفض [4] .

وتعتبر الفترة من ٥٤٣/هـ إلى ٩٢٢/هـ فترة نكبات متلاحقة

(١) مصطفى غالب ـ أعلام الإسماعيلية ص ٢٠٧ .
(٢) ابن العديم ـ زبدة الحلب ج ٢ ، ص ٢٩٣ .
(٣) ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق ص ١٩٠ .
(٤) المقريزي ـ المواعظ والإعتبار ج ٤ ، ص ١٦١ وراجع أيضاً : محمد علي مكي ـ لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني دار النهار بيروت ص ٢١٧ .
(٥) ابن حجر ـ الدرر الكامنة ج ٧ ، ص ٦٦ .

للشيعة ، أهدر فيها دماء الكثيرين منهم ظلماً وعدواناً بفتاوى قامت على الجهل والتعصب .

ففي سنة ٧٠٥/هـ، ١٣٣٥/م ، أفتى الفقيه ذي اللوثة ، ابن تيمية، بقتل الشيعة وسائر الطوائف الشيعية . وقال في فتواه :

«إن جهاد هؤلاء وإقامة الحدود عليهم من أعظم الطاعات ، وأكثر الواجبات ، وهو أفضل من جهاد من يقاتل المسلمين من المشركين وأهل الكتاب ، فإن جهاد هؤلاء حفظ لما فتح من بلاد الإسلام»(١) وكانت فتوى ابن تيمية المشؤومة ، وراء المذبحة التي قام بها جمال الدين أقوش الأفرم في حملته على جبال الظنيين ، وهي الجبال المطلة على طرابلس من جهة الشرق ، تلك الحملة المعروفة بالتاريخ بالحملة الكسروانية التي جرت بين ٢ محرم ـ ١٤ صفر سنة ٧٠٥ هـ . والتي قال عنها ابن الوردي في تاريخه :

«وفيها أحاطت عساكر الشام بجبال الظنيين المنيعة وترجلوا عن الخيل وصعدوا في تلك الجبال من كل جانب وقتلوا وأسروا جميع من بها من النصيرية والظنيين وكان الذي أفتى بذلك ابن تيمية وتوجه مع العسكر»(٢) .

وقبل هذه الحملة حاول المسؤولون عن نيابة دمشق ، الإتفاق مع الجبلية ، وهم «الجرديين والكسروانيين . . فأرسلوا إليهم الشيخ تقي الدين ابن تيمية والأمير بهاء الدين قراقوش في ذي الحجة من عام ٧٠٤/هـ ، لدعوتهم إلى الطاعة . وقد جاءت هذه البعثة بعد مهمة الشريف زين الدين بن عدنان والتي باءت بالفشل مما أدى إلى بدء الحملة العسكرية . وقد بدأ خروج العسكر إلى جبال كسروان ، كما

---

(١) ابن تيمية ـ كتاب مجموع الفتاوى ٤٠٩ مسألة .

(٢) تاريخ ابن الوردي المعروف بتتمة المختصر في أخبار البشر ج ٢ ، ص ٣٦٣ .

ذكر اليونيني ، طائفة بعد طائفة ، وتقدمة بعد تقدمة ، فرساناً ورجالة ، وذلك منذ الثاني من المحرم ٧٠٥/هـ ، ثم تبعهم نائب السلطنة الأمير جمال الدين أقوش الأفرم ، ومعه عصب الحملة ، من زردخاناه وحجارين ونقابين وقدر عدد رجال الحملة بخمسين ألفاً ، وقد حرص النائب على عدم تخلف أحد ممن يمكنه المشاركة في القتال ، عنها فأعلن أنَّ الشنق عقاب المتخلفين ، وبعد حوالي شهر ونصف من بدء الحملة ١٤ صفر ٧٠٥/هـ ، غادر النائب والعساكر جبال كسروان إلى دمشق منصورين ، بعدما احتلوا الجبال وخربوا أبنيتها وقطعوا كرومها[1] . ولبشاعة هذه المذبحة ، طلب الناصر بن قلاوون تبريراً لها ، فكتب ابن تيمية مبرراً :

«لما قدم التتار إلى البلاد ، وفعلوا بالمسلمين ما لا يحصى من الفساد ، وأرسلوا إلى أهل قبرص فملكوا بعض السواحل ، وحملوا راية الصليب ، وحملوا إلى قبرص من خيل المسلمين وسلاحهم وأسراهم ما لا يحصي عدده إلا الله ، وأقام سوقهم بالساحل عشرين يوماً يبيعون فيه المسلمين والخيل والسلاح على أهل قبرص ، وفرحوا بمجيء التتار . .

ولما خرجت العساكر الإسلامية من الديار المصرية ، ظهر فيهم الخزي والنكال ما عرفه الناس منهم ولما نصر الله الإسلام النصرة العظمى عند قدوم السلطان كان بينهم شبيه بالعزاء . . .

وكل هذا وأعظم منه عند هذه الطائفة ، كان من أسباب خروج جنكيز خان إلى بلاد الإسلام ، وفي استيلاء هولاكو على بغداد ، وفي قدومه إلى حلب ، وفي نهب الصالحية ، وغير ذلك من أنواع العداوة للإسلام وأهله . ولقد كان جيرانهم من أهل البقاع وغيرها منهم ، في أمر لا يضبط شره ، كل ليلة تنزل منهم طائفة ، ويفعلون من الفساد ما لا

(١) الدكتور محمد عيسى حمادة ـ مجلة الباحث ـ العدد ٨ تموز/آب ١٩٨١ ، ص ٤٢ .

يحصيه إلا رب العباد : كانوا في قطع الطرقات وإضامة سكان البيوتات على أقبح سيرة ، ويقعون بالرجل الصالح من المسلمين ، فإما أن يقتلوه ، وإما أن يسلبوه ، وقليل منهم من يفلت بالحيلة . . . وقد اتفق العلماء على قطع الشجر وتخريب العامر عند الحاجة إليه ، فليس ذلك بأولى من قتل النفوس ، وإن القوم لم يحضروا كلهم من الأماكن التي اختفوا فيها ، وما أيسوا من المقام في الجبل إلا حين قطعت الأشجار وإلا كانوا يختفون حيث لا يمكن العلم بهم» [1] .

ومثلما قتل جمال الدين أقوش الأفرم شيعة جبل الضنية، بناء على فتوى ابن تيمية ، قتل السلطان سليم العثماني شيعة جبال اللاذقية وغيرهم سنة ٩٢٢/هـ ، ١٥١٦/م ، بناء على فتوى مماثلة أصدرها الشيخ نوح الدمشقي ، جاء فيها :

«اعلم أسعدك الله أنَّ هؤلاء الكفرة ، والبغي الفجرة ، جمعوا بين أصناف الكفر والبغي والفساد، وأنواع الفسق والزندقة والإلحاد، ومن توقف في كفرهم والحادهم ووجوب قتالهم وجواز قتلهم فهو كافر مثلهم . . . .

وسبب وجوب قتالهم وجواز قتلهم : البغي والكفر معاً ، أما البغي فإنهم خرجوا عن طاعة الإمام خلد الله تعالى ملكه إلى يوم القيامة . . . . وأما الكفر فمن وجوه . منها انهم يستخفون بالدين ، ويستهزئون بالشرع المبين . . . . .ويهينون العلم والأدباء . . . . . ويستحلون المحرمات . . . . وينكرون خلافة الشيخين . . . فيجب قتل هؤلاء الأشرار تابوا أم لم يتوبوا[2] . . . »

---

(١) محمد أبو زهرة - ابن تيمية ص ٤٥ وراجع أيضاً . محمد علي مكي لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني ص ٢٣٠ .

(٢) الشيخ إبراهيم نصر الله - حلب والتشيع ص ١٥٥ وراجع أيضاً : عبد الحسين شرف الدين الموسوي - الفصول المهمة ص ١٤٣ .

هذه المذابح التي وصلت إلى حد الإبادة الجماعية مزقت الشيعة شذر مزر ، ودفعت الكثيرين منهم إلى اعتناق مذاهب أهل السنة صوناً لدمائهم ، وقد اعتبر هذا التصرف تخاذلاً . ووصفت الشيعة المتخاذلة في السواحل بلقب «أهل السواحل المتسننين»(١) .

أما من بقي على مذهبه فقد حرمت عليه إقامة شعائره الدينية ، وتفرقوا في البلاد هنا وهناك . . .

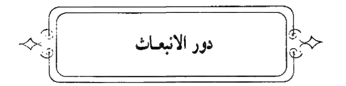
وبعد أن قضي على المذهب الشيعي في بلاد الشام ، ظهر التشيع من جديد في حلب ، على يد الإمام الكبير الشريف أبي إبراهيم محمد الممدوح ، من أولاد إسحاق المؤتمن . كما أخبرنا ابن الحنبلي الذي عاش خلال الفترة ما بين ٩٠٨/هـ و ٩٧١/هـ ، قال :

«قال لي والدي كان أهل حلب كلهم أهل سنة وكلهم حنفيون ، لا يعرفون غير ذلك ، حتى قدم شخص من العراق فظهر فيهم التشيع وظهر مذهب الشافعي ، لأنهم كانوا يستترون بمذهبه ، وهذا الشخص هو الإمام الكبير الشريف أبو إبراهيم محمد الممدوح من أولاد إسحاق المؤتمن» (٢) .

وإذا كان مذهب الشيعة ، قد ظهر من جديد ، بعد القضاء عليه ، فإنه لم تعد له تلك القوة التي كان عليها في الأزمنة الماضية ، ولم يعد له تألقه السابق .

---

(١) الخونساري ـ روضات الجنات ـ إيران ص ٥٩٠ وأيضاً : محمد علي مكي لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني ص ٢٥٤ .
(٢) ابن الحنبلي ـ درر الحبب ج ١ ، ق ١ ، ص ١٨٩ .



دور الانبعاث

طرأت على بلاد الشام من عام ١٨٦٤/م إلى ١٩٤٢/م تغييرات جذرية ، كبيرة وهامة . تناولت كيان البلاد كوحدة مستقلة ، وحدود سواحلها أيضاً .

ولهذه التغيرات ارتباط وثيق بموضوع دراستنا .

فمن المعلوم ، ان بلاد الشام قسمت أوائل الفتح العثماني إلى أربع ايالات كبرى هي : ايالة دمشق وتحتوي على ألوية دمشق والقدس وغزة وصفد ونابلس وعجلون واللجون والبقاع وعكا وتدمر وصيدا وبيروت والكرك والشوبك . وايالة طرابلس تحتوي على ألوية طرابلس وحماه وحمص وسلمية وجبلة[1] . وايالة حلب وتدخل فيها حلب واذنه واكراد كليس والبيرة (بيره جك) وعزيز والمعرة وتركمان حلب .

ثم جعلت هذه الولايا أربعاً : ولاية حلب، ولاية سورية، ولاية طرابلس ، ولاية صيدا التي اقتطعت من ولاية سورية .

وبعد صدور قانون الولايات الجديد سنة ١٨٦٤/م ، ظهرت إلى

(١) عيسى اسكندر المعلوف عن نتائج الوقوعات لمصطفى باشا بالتركية ـ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق العدد ١٢ لعام ١٩٢١ ، ص ٣٦٣ .

الوجود ولاية كبيرة هي ولاية سورية وتضم ثمانية سناجق أو متصرفيات هي : سنجق الشـام ، وسنجق بيروت ، وسنجق طـرابلس ، وسنجق اللاذقية ، وسنجق عكـا ، وسنجق حمـا ، وسنجق البلقـا ، وسنجق حوران[1] .

وتبعاً لهذه الترتيبات الجديدة ، تألف في سورية قومسيون (عمدة) من كبار المأمورين لترتيب الايالات والأقضية . وكان حمدي بك قائمقام طرابلس ، يومذاك ، محسوبـاً على بعض أعضاء القومسيون ولكي يوسعوا دائرة حكومته ، ألغوا لـواء اللاذقية وقسموه إلى أربعة أقضية مستقلة هي : قضاء اللاذقية ، وقضاء صهيـون ، وقضاء جبلة ، وقضاء المرقب . ومرجع كل قضاء منها إلى طرابلس مقر المتصرفية .

وفي عام ١٨٧٩/م عينت الحكومة العثمانية مدحت باشا والياً على ولاية سورية . وكان مسيو شارل بجوزوسكي ، وكيل قنصل دولة إسبانيا في اللاذقية ، صديقاً له ، إكتسب محبته في ولاية الطونا وولاية بغـداد ، لذلك عندما علم بتعيين مدحت باشا والياً على ولاية سورية عزم على السفر إلى دمشق للسلام عليه وتهنئته بالمنصب الجديد .

وقبيل سفره اجتمع بـه اليـاس صـوايـا وإبراهيم حكيم والياس الصالح وهم من كبار أعيان اللاذقية وكـانوا يعلمـون بالصداقة الحميمة التي تربطه بمدحت باشا ، فطلبوا إليه أن يحدث مدحت باشا بـأحوال قضـائي اللاذقية وجبلة ، وسلموه عريضة بمطالب أهـل اللاذقية ، ليقدمها إلى مدحت باشا تتضمن ما يلي :

أولاً : إعادة لواء اللاذقية إلى أصله .

ثانياً : تشكيل تلك المقاطعات ثلاث أو أربع قائمقاميات يجعل لكل منها مركز في موقع مناسب .

---

(١) الدكتور أسد رستم ـ لبنان في عهد المتصرفية ص ٨٨ و ٢١٣ .

ثالثاً : إعادة اللاذقيـة مركـزاً للواء لتوسط مـوقعها ، ولكـونها ذات أهمية أولى في هذا الخط .

وقد اهتم مدحت باشا بهذه المطالب ، ثم لما زار طرابلس بنفس العام الذي وصـل فيه إلى سـورية ، واطلع شخصيـاً على أحـوال لـواء طرابلس واتساعة ، إقتنع بعدالة المطالب التي قدمت إليه ، وكتب إلى الباب العالي بخصوص ذلك .

وفي أوائل شهر حزيران سنة ١٨٧٩ ورد الأمر السامي من الصدارة العظمى يعلن صـدور الإرادة السنيـة السلطانيـة بتحـويـل الـلاذقيـة إلى متصرفية .

وحضر مدحت باشا إلى اللاذقية يـوم الخميس الواقـع في التاسـع من شهـر آب ١٨٧٩/م ليقوم بنفسـه بتشكيل المتصـرفية ، وشكلهـا من ثلاثة أقضية هي :

قضاء صهيون .

ويتألف من نواحي صهيـون وجبل الأكـراد وبيت الشلف والمهاليـة ومركزه قرية بابنا .

قضاء جبلة .

ويتألف من نواحي القرداحة وبني علي وسمت قبلة وقرى الأوقاف والشمسيات وساحل جبلة ومركزه نفس قصبة جبلة .

قضاء المرقب .

ويتـألف من نواحي المـرقب وزمـرين وجـرد العليقـة والقـدمـوس والضهر الغربي والخوابي ومركزه قلعة المرقب .

وبقيت القدموس مديرية تابعة لقضاء المرقب .

ومنذ ذلك التاريخ ، انفصلت منطقة اللاذقية عن متصرفية طرابلس نهائياً ، ولم تعد تابعة لها ، كما كانت في السابق .

وبعـد ما يقـرب من تسع سنـوات ، أي في سنة ١٨٨٨/م ، أنشـأ

الباب العالي ولاية بيروت ، ولاية مستقلة عن ولاية سورية ترتبط بوزير الداخلية العثماني وتدار بواسطة موظفين مدنيين وعسكريين ، وشملت : سنجق بيروت ، وسنجق عكا ، وسنجق طرابلس ، وسنجق اللاذقية ، وسنجق نابلس[1] .

وهكذا أصبحت بلاد الشام منذ عام ١٨٨٨/م مجزأة إلى ثلاث ولايات هي : ولاية حلب ، وولاية سورية ، وولاية بيروت .

وكانت ولاية بيروت تشمل :

* سنجق بيروت وأقضيته : صيدا ، بيروت ، صور ، مرجعيون .

* سنجق طرابلس شام وأقضيته طرابلس شام ، عكار ، صافيتا ، حصن الأكراد .

* سنجق اللاذقية وأقضيته : اللاذقية ، صهيون ، مرقب ، جبلة .

* سنجق عكا وأقضيته : عكا ، صفد ، طبريا ، ناصرة ، حيفا .

* سنجق بلقا (نابلس) وأقضيته : بلقا (نابلس) ، بني صعب ، جنين ، جماعين .

* سنجق القدس الشريف وأقضيته : قدس شريف ، خليل الرحمن ، غزة ، يافا .

* سنجق جبل لبنان وأقضيته : بترون ، جزين ، كسروان ، شوف ، متن ، كورة[2] .

لكن أهم التغييرات التي طرأت على بلاد الشام وحدودها الساحلية ، تمت في أعقاب الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨)

---

(١) الدكتور وجيه كوثراني ـ الإتجاهات الإجتماعية ـ السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي معهد الإنماء العربي ـ بيروت ١٩٧٦ ، ص ٩٧ .

(٢) جغرافياي عمراني ص ٢٣٨ .

حيث قام الحلفاء ، انكلترة وفرنسا ، بتمزيق جسد بلاد الشام شر ممزق .

اقتطعوا منه أولاً دولة لبنان الكبير في ٣١ آب ١٩٢٠ وحدودها كما يلي[1] :

شمالاً : خط من مصب النهر الكبير يتبع النهر إلى ملتقاه بوادي خالد على ارتفاع جسر القمر .

شرقاً : خط يفصل وادي خالد والأورنط (نهر العاصي) ويمر بقرى مزرعة ارسانه وحابت وعبيج وفيصل على ارتفاع قرى بريفقا ومطرية[2] ويتبع هذا الخط حد قضاء بعلبك الشمالي ، متجهاً من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي ثم حدود أقضية بعلبك وحاصبيا وراشيا الشرقية .

جنوباً : الحدود الفلسطينية كما قرر في الإتفاقات الدولية .

غرباً : البحر المتوسط .

وقسموا الباقي إلى دويلات : دولة دمشق ، دولة حلب ، حكومة جبل الدروز ، حكومة العلويين ، وجعل لواء اسكندرون يتمتع باستقلال إداري ومالي . وكان هذا تمهيداً لسلخه عن سورية .

وقد تألفت حكومة العلويين من[3] :

أولاً : أراضي سنجق اللاذقية ما عدا جسر الشغور ومديريتا البوجاق والباير في قضاء اللاذقية ، ومديرية كنسبا في قضاء صهيون .

ثانياً : أراضي سنجق طرابلس ما عدا المقاطعات الملحقة بلبنان

---

(١) القرار رقم ٣١٨ تاريخ ٣١ آب ١٩٢٠ .

(٢) الدكتور مسعود ضاهر - تاريخ لبنان الإجتماعي دار الفارابي بيروت ١٩٧٤ ، ص ٥١ وراجع أيضا . الدكتور ذوقان قرقوط - المشرق العربي في مواجهة الإستعمار - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ ، ص ١٤٩ .

(٣) القرار ٣١٩ تاريخ ٣١ آب ١٩٢٠ .

الكبير والمذكورة في القرار ٣١٨ الصادر في ٣١ آب ١٩٢٠

ثالثاً : أراضي قضاء مصياف (العمرانية) الذي ألحق بسنجق اللاذقية بالقرار ٣١٧ الصادر في ٣١ آب ١٩٢٠ .

وكانت حدود هذه «الدويلة» كما يلي[1] :

شمالاً : حدود مديريات بوجاق والباير وكنسبا الجنوبية .

شرقاً : حدود قضاء جسر الشغور الجنوبية الغربية مع حدود قضاء العمرانية الشمالية الشرقية وحدود قضاء حصن الأكراد الشرقية .

جنوباً : حدود لبنان الكبير الشمالية والشمالية الشرقية :

غرباً : البحر المتوسط .

وبعد توقيع المعاهدة ما بين سورية وفرنسة في التاسع من أيلول عام ١٩٣٦/م اعتبرت حكومة العلويين محافظة من محافظات الدولة السوربة ، تستفيد ضمن دولة سورية من نظام خاص إداري ومالي[2] .

لكن فرنسة ، لم تلبث أن تراجعت عن المعاهدة ، وعمدت من جديد إلى فصل منطقة اللاذقية عن سورية اعتباراً من الساعة ١٢ من يوم ١٠ شباط ١٩٣٩ وجعلتها حكومة مستقلة[3] .

وبعد دفع وجذب ، وأخذ ورد طويلين ما بين فرنسة وسورية ، وتحت ضغط الأحداث السياسية في الساحل ومطالبات الهيئات الوطنية والأهالي ومكاتباتهم إلى المسؤلين في الحكومة الفرنسية في باريس وبيروت ودمشق ، وإلى الهيئات والمنظمات الدولية ، مطالبين بالعودة

---

(١) المرجع السابق .
(٢) القرار ٢٧٤ ل . ر تاريخ ٥ كانون الأول ١٩٣٦ .
(٣) القرار عدد ٢٢ ل . ر تاريخ ١٨ شباط ١٩٣٩ .

إلى الوطن الأم ، أعلن انضمام منطقة اللاذقية إلى سورية يوم الثلاثاء في ٢٠ كانون الأول ١٩٤٢[1] واحتفل رسمياً بهذه المناسبة .

وفي الإحتفال ألقى رئيس الجمهورية الكلمة التالية :

«أيها المواطنون الأعزاء :

هذه اللحظة الملهمة التي تتوج عهدين وتوحد بلدين ليست ملك فرد من الأفراد ولا منطقة من المناطق ، وإنما هي ملك الوطن كله ، يخفق فيها قلبه ، ويتدفق حبه ، وتسري في أعراقه نشوة الغبطة والظفر ، فقد عاد إليه ابنان عزيزان ، وانتظمت في عقده درتان كريمتان .

نعم ، هذا يوم الوطن هذا يوم الوحدة ، هذا هو اليوم الذي أعلن فيه بملء السرور والفخر عودة محافظة العلويين ومحافظة جبل الدروز إلى الوحدة السورية .

لقد تحققت اليوم نصوص الوحدة التي أقرها نظام ١٩٣٦ حرفاً بحرف ولكن النصوص المكتوبة قد دعمتها الآن سياسة رشيدة كانت من آثارها هذه الحفلات التي تقام في كل مكان وتعبر عن ثقة وطمأنينة لا حدّ لهما ، وان هذا الإجتماع الميمون الطالع هو مفخرة العهد الجديد أكبر ضمانة لبقاء الوحدة وسلامة القضية الوطنية» .

ومنذ ذلك التاريخ ، أي منذ ٢٠ كانون الأول ١٩٤٢ ، ومنطقة اللاذقية ، إحدى محافظات الجمهورية السورية .

وكان من نتيجة المتغيرات التي جرت ما بين ١٩٢٠ ـ ١٩٤٢ ما يلي :

١ ـ زال نهائياً اسم بلاد الشام .

٢ ـ حلت مكان بلاد الشام عدة دول ، هي : الجمهورية

---

(١) القرار ٢٣ ف . ل تاريخ ١٩٤٢/١٢/٢٠ .

السورية ، الجمهورية اللبنانية ، المملكة الأردنية الهاشمية . حكومة فلسطين .

٣ ـ سلخ لواء الإسكندرون من بلاد الشام وضمه إلى تركية في ٢٣ حزيران١٩٣٩ .

٤ ـ تقلصت بصورة كبيرة حدود ساحل بلاد الشام ، الذي أصبح يسمى الساحل السوري ، وتمتد حدوده من البدروسية شمالاً إلى العريضة جنوباً .

أي أنه يشمل محافظتي اللاذقية وطرطوس بحدودهما الإدارية الحالية .

هذا الواقع الجديد ، فرض نفسه علينا ، وألزمنا التكييف معه في هذه الدراسة ، وجعلها بالنسبة إلى دور الإنبعاث ، والدور الحالي ، مقتصرة على شيعة الساحل السوري بحدوده الجغرافية اليوم لاختلاف الحال سياسياً وجغرافياً بين الماضي والحاضر .

وأول ما ينبغي قوله : إن الإسم الذي يطلق على الشيعة في الساحل السوري وجبال اللاذقية ، هو «العلويون» من دون تفريق ما بينهم وبين الفرقة الشيعية الباطنية التي تقطن في الأماكن ذاتها وتحمل الإسم نفسه .

والسبب في ذلك يعود إلى أمرين :

الأول : إن الشيعة ، كما بينا ، كانوا يعرفون في بعض العصور بالعلوية .

والعلويون في كتاباتهم يقولون ان التسمية الشيعي والعلوي تشير إلى مدلول وإلى فئة واحدة هي الفئة الجعفرية الإمامية الإثنا عشرية[1] . . . .

الثاني : بعد الحملة الكسروانية ، ارتحل من بقي من الشيعة

(١) العلويون شيعة أهل البيت دار الصادق بيروت ١٣٩٢/هـ ، ص ٢٧ .

الذين نجوا من المذبحة ، إلى الشمال ، إلى جهات اللاذقية وانطاكية ، وانحصروا في جبالها[1] واختلطوا مع الفرقة الباطنية التي تسكن هذه المناطق وحملوا اسمها .

وقد تنبه إلى هذا الواقع الاستاذ محمد المجذوب في مقاله «السنة والشيعة» الذي قال فيه :

«ولقد يكون هناك مجال للإعتراض بما هو محسوس لا مندوحة عن الإعتراف به من شذوذ عن وضح الجادة بما يتعلق بالفكرة الإسلامية بين بعض جماعات هذا الجبل ، وذلك مما علق بهذه العقيدة من أثر الجهل ومن أثر بعض الأفكار الفلسفية الغربية التي انتهت بها إلى ما نتلمسه من فكرة التجسيم والتحول الدخيلة على حقيقة الإسلام من النزعات الباطنية . . . . . إلا أنه من الظلم المحض أن نشرك جميع عناصر وطوائف الجبلُ بهذه التهمة وألّا نفرق بين أصحابها وغيرهم»[2] . .

وما نقصده في حديثنا عن العلويين ، هنا ، الفئة القليلة ، البريئة من الغلو التي تعلن في كل مناسبة عن تمسكها بمذهب آل البيت عليهم في كتاباتها وأشعارها ومواقفها الدينية .

كانت شيعة جبال اللاذقية ، وغيرهم من العلويين ، طيلة العهد العثماني الذي استمر أربعة قرون مضطهدين أشد الإضطهاد ، منعت عنهم الوظائف الحكومية حتى الصغيرة منها ، التي لا تتطلب شيئاً من العلم والكتابة . وكانوا دوماً عرضة للإمتهان من رجال الحكم والزعماء من أهل المدن ، فإذا جاء واحد منهم إلى المدينة لم يسمح له بدخول مساجدها وجوامعها . . . .

---

(١) عيسى اسكندر المعلوف ـ دواني القطوف ص ١٥٨ .
(٢) محمد المجذوب ـ مجلة النهضة ـ العدد ١ تشرين الثاني ١٩٣٧ .

كانوا على وجه العموم محرومين من العلم والحرية والكرامة[1] وهذا ما جعلهم يعيشون في عزلة شبه تامة ، بعيدين كل البعد عن مراقي العلم والتطور . وقد دامت هذه العزلة زمناً طويلاً جداً جداً ، ثم بدأت بوادر اليقظة تظهر في المنطقة الجنوبية ، منطقة طرطوس ، وبصورة خاصة في قرى بيت الحاج ، وبيت الشيخ يونس ، وتلة الطليعي ، وضهر بشير .

وقد أرجع الشيخ عبد الرحمن الخير أسباب النهضة في الجنوب إلى أسباب اجتماعية أهمها أن القسم الجنوبي كان متعرضاً أكثر من القسم الشمالي للإحتكاك مع البلدان المجاورة ، ومع الحكومة يومئذ ولهذا التعرض سبب هو أن مركز الحكومة في قضاء صافيتا كان في الدريكيش قلب البلاد الجنوبية ، وسكان هذه القصبة هم مسلمون علويون أي من نفس الأكثرية الساحقة في سكان القضاء ، فكان ابن قرى صافيتا لا يجازف بكرامته الشخصية إذا حضر إلى مركز الحكومة . . .

أما القسم الشمالي فقد كاد أن يكون في ما مضى بشبه عزلة تامة عن البلدان المجاورة ، وعن الحكومة ، لأن مركز السلطة فيها كلها في المدن الساحلية ، ما عدا مركز صهيون ـ بابنا .

فكان ابن القرية عندما تضطره المصالح إلى زيارة مراكز الحكومة يعرض كرامته الشخصية والمذهبية إلى الهوان[2] .

قد يكون هذا السبب ، من جملة أسباب النهضة ، لكنه ليس أهمها . والأهم هو قرب المنطقة الجنوبية من طرابلس مقر المتصرفية ، والروابط الوثيقة التي كانت تربط المنطقة الجنوبية بطرابلس ،

---

(١) يوسف الحكيم ـ سورية والعهد العثماني ـ المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦٦ ، ص ٧٠ .

(٢) مجلة النهضة ـ طرطوس العدد ٥ نيسان ١٩٣٨ .

وطرابلس ، كانت على مر التاريخ ، مركزاً حضارياً وثقافياً مهماً بمدارسها ومراكزها الثقافية .

وثم هناك المدارس التي أنشأها المرسلون الأجانب في صافيتا ، وأساتذة هذه المدارس وعلى رأسهم الدكتور يعقوب صروف والخواجا حنا سعادة .

هذه الأسباب مجتمعة نفخت في نار النهضة فضرمتها .

أما في الشمال ، منطقة اللاذقية ، فيعود الفضل في النهضة التي عرفتها هذه المنطقة ، إلى ضيا بك متصرف اللاذقية الذي حكم في الفترة من ١٨٨٥ إلى ١٨٩٢/م . وتميز حكمه بالإستبداد مع الحزم والنزاهة والعطف على العلويين .

وقد هال هذا المتصرف ما يحيق بالعلويين من ظلم وإهمال وعدم المساواة بينهم وبين باقي سكان منطقة اللاذقية ، فكتب إلى السلطان عبد الحميد ، وكان له عليه حق خدمته في صغره ، إن هذا الشعب يميل بعواطفه إلى دولة إيران الشيعية المذهب ، نظراً لما يلاقيه من ظلم واستبداد من مواطنيه والحكومة معاً . فإذا ضمنت له حريته وكرامته ، قبل الدعوة إلى سنة الإسلام فوافقه السلطان على اقتراحه ، فأخذ يعيد إلى العلويين قراهم المغصوبة ، ويعين شيوخهم ووجهاءهم في الوظائف التمثيلية كأعضاء المجالس الإدارية والمحاكم ، كما عين الاميين منهم أفراداً في الدرك وبنى لهم المدارس والمساجد في كل قرية كبيرة ، فسادهم الإطمئنان في الحياة .

ولم يرض وجهاء المدينة عن تصرف ضيا بك ، وعطفه على العلويين واهتمامه بأحوالهم ، وإعادته إليهم قراهم المغصوبة ، وأخذه بأيديهم إلى مراقي العلم والتطور ، فكتبوا إلى والي بيروت يتهمونه بالإستبداد في الإدارة ، طالبين نقله إلى مكان آخر . وقام والي بيروت برفع الشكوى إلى وزارة الداخلية . لكن عندما عرض الوزراء اقتراح وزير الداخلية بنقل ضيا بك ، على السلطان عبد الحميد ، أجابهم السلطان قائلاً : انكم تعلمون كل شيء في السلطة وأنا أقركم على

أعمالكم ، فاتركوا لي ضيائي الوحيد بين الحكام ، فانصاعوا للأمر[1] .

ومن سوء الحظ أن ضيا بك توفي بعد مدة قصيرة من توليه متصرفية اللاذقية ، ١٨٩٢/م ، وكانت وفاته خسارة كبرى لا تعوض ، وضربة قاسية لحركة النهضة في منطقة اللاذقية ، لأن الحكام الذين جاؤا بعده ، عادوا إلى سيرة أسلافهم . الأمر الذي أعاد العلويين إلى العزلة والتقوقع من جديد .

وتجدر الإشارة ، إلى أن النهضة التي عرفتها منطقة الساحل السوري ، سارت في اتجاهين : ديني وأدبي .

أولاً : الاتجاه الديني :

بداية نقول : انه نتيجة لحياة العزلة والإنزواء في الجبال ، والبعد كل البعد عن كل مصدر من مصادر العلم والحضارة ، عاش العلويون في حالة شلل تامة مما سمح للخرافات والإعتقادات الشاذة أن تعشش في عقول الكثيرين منهم . فضلاً عن الإستهانة بشعائر الإسلام . لذلك ، وجدنا رواد النهضة ، وجلهم من المشائخ ، يصرفون جهودهم إلى إنتشال الشعب من وهدة الجهل والعودة به إلى النهج القويم ، والنبع الصافي .

ودارت جهودهم ونشاطاتهم حول الأمور التالية :

- الإهتمام ببناء المساجد .

وأول مسجد بني ، كان بهمة وجهود المرحوم الشيخ عبد العال المعروف بالحاج معلا . وكان هذا الشيخ قصد سنة ١٢٥٤/هـ - ١٨٤٦/م البيت الحرام لاداء فريضة الحج ، وفي عودته عرج على مصر واستحصل على اذن ببناء مسجد في قريته ، قرية بيت الحاج من أعمال

---

(١) يوسف الحكيم - سورية والعهد العثماني ص ٨٩ .

طرطوس . وقام بالإمامة فيه مدة عشرين سنة(١) .

واقتداء بالشيخ عبد العال ، قام الشيخان غانم ياسين وعبد الحميد أفندي ببناء جامع في قرية بيت الشيخ يونس ـ صافيتا ـ ولم يتماه ، فأتمه الشيخان ياسين يونس وسليم الغانم في سنة ١٢٨٦/هـ ـ ١٨٧٩/م ـ ثم ظهر مسجد ثالث ، مسجد الخضر ، في قرية تلة الطليعي ـ صافيتا ـ ورابع في قرية ضهر بشير ـ صافيتا ـ وخامس في الشيخ بدر ـ من أعمال طرطوس .

وكانت تقام في هذه الجوامع الصلوات في الأعياد والجمعات ، وفي أغلب الأوقات اليومية(٢) هذا في المنطقة الجنوبية .

أما في المنطقة الشمالية ، فقد بنى ضيا بك ، متصرف اللاذقية ، المساجد في كل قرية كبيرة .

ـ محاربة الخرافات والعادات الدخيلة .

والتي أصبحت بسبب الجهل ، والإنزواء في الجبال شعائر مذهبية . من ذلك مثلاً التستر في إقامة الصلاة ، والكسب بالإستجداء تحت اسم الزكاة . وغير ذلك . . . .

ـ محاربة التفرقة العشائرية .

ـ نشر العلم ، وإقامة السنة الشريفة ، والتشدد في إقامة الصلاة لأوقاتها وصيام رمضان والحج . وقد اشتهر في ذلك كل من الحاج معلا والشيخ غانم ياسين والشيخ عبد الحميد أفندي والشيخ يونس ياسين والشيخ عباس جابر ، والشيخ إبراهيم مرهج والشيخ عمران الزاوي والشيخ عبد الله الخير والشيخ محمد سلمان المزارع ، وغيرهم . . . . .

وتعد أعمال هؤلاء الرواد مفخرة للأجيال القادمة ، ومثالاً يحتذى .

(١) مجلة النهضة ـ العدد ٤ آذار ١٩٣٨ .
(٢) المرجع السابق .

ومما يسجل لهؤلاء الرواد بمداد الفخر ، أنهم هيّجوا نفوس الكثيرين من الشباب المتنور ، ودفعوهم إلى الخروج من حالة الصمت ، مما سمح لنا أن نسمع لأول مرة في تاريخ هذه المنطقة من يتحدث علناً ، وبصراحة تامة ، عن حقيقة العلويين ، ويكتب مجاهراً بعقيدته . في مذكرات سياسية رفعت إلى المسؤولين الحكوميين من فرنسيين ووطنيين . وفي مقالات خاصة القصد منها جلاء الظلام عن حقيقة معتقد العلويين . وتاريخهم .

جاء في إحدى المذكرات التي رفعها العلويون إلى المفوض السامي الفرنسي بتاريخ ١١ شباط ١٩٣٦ «إننا نعتبر أنفسنا مسلمين قبل أن نكون علويين»(١) .

وفي مذكرة أخرى إلى وزارة الخارجية الفرنسية مؤرخة في ٢٧ تموز ١٩٣٦ جاء ما يلي : «ان العلويين شيعة مسلمون وقد برهنوا طوال تاريخهم عن امتناعهم عن قبول كل دعوة من شأنها تحوير عقيدتهم ، فهم يحتفظون بالعقيدة الشيعية الإسلامية» .

ومنها أيضاً : «فالدين الإسلامي شرط التزامي للإنتساب للعلويين ، والتشيع لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه»(٢) .

أما المقالات فكانت أكثر شمولية ، من ذلك ما كتبه المرحوم الدكتور وجيه محيي الدين .

«إن من يمعن النظر في طقوس العلويين الدينية ، وفي آرائهم واتجاههم الديني يدرك أنهم شيعة يعتبرون علياً رئيسهم الأعلى مفضّلينه على كل عربي بعد محمد ﷺ مؤتمّين بإمامته وإمامة بنيه وأحفاده بعده مبتدئين بالحسن والحسين ومنتهين بالإمام محمد بن الحسن

---

(١) كتابنا المخطوط تاريخ الساحل السياسي (قيد الطبع) .
(٢) المرجع السابق .

الحجة . . . . وإن تعاليمهم الدينية مستمدة من إرشاداتهم، وأحكامهم الشرعية مأخوذة عن تعاليمهم وخصوصاً الإمام الكبير جعفر بن محمد الباقر الملقب بالصادق، نابذين ما نبذوه محللين ما حللوه، محرمين ما حرموه، فهم والحالة هذه شيعة متمسكون بجميع طقوسها ومتعصبون لمبادئها»[1]

وبنفس المعنى كتب الشيخ محمد ياسين، ما نصّه :

« . . . . تـوالى العلويون بعد أمير المؤمنين، الأئمة من الإمام الحسن المجتبى إلى المهدي صاحب الزمان، وبذلك سموا إماميين، وبتقليدهم الإمام جعفر الصادق ﷺ سادس الأئمة في أحكام الصلاة والفقه سموا جعفريين، فهم مسلمون علويون اماميون جعفريون في وقت واحد»[2] .

ومما قاله أيضاً :

«وقد مني اخواننا الشيعة في جبل عامل والعراق بمثل ما منينا به من التهم إلا أنهم نطقوا وسكتنا، وشجعوا وجبنا، وجدوا وكسلنا، فإذا هم في أعلى الذروة وإذا نحن في أسفل الهوة»[3] .

وكان الشيخ محمد ياسين، في غاية الصراحة، وهو يتحدث عن تقصير العلويين في التمسك بشعائر الدين، وبرر هذا التقصير بما يلي :

«لم يسبقونا في شيء إلا اثنين . . بناء المساجد وحج البيت . وللعلويين بعض العذر في هذين أما عذرهم في الأول فهو أنهم أصحاب قرى فقراء وأكثرهم عاملون وأعمالهم خارج القرى فلا يمكن لأحدهم أن يترك عمله ويأتي المسجد كلما حان وقت الصلاة فيصلي حيث يكون، معتقداً أن الأرض لله وأن الله يقبل صلاته أينما كان، ومن كان في

(1) النهضة - العدد ٨ تموز ١٩٣٨ .
(2) المرجع السابق .
(3) المرجع السابق - العدد ٩ آب ١٩٣٨ .

القرية من الكهول والشيوخ صلى في بيته وقد يجتمعون في أغلب الأحيان ولا سيما في شهر رمضان عند من يثقون به من زعماء الدين ويصلون خلفه . فكل محل عندهم مسجد متى كان نظيفاً ، وهذا العذر وإن كان مقبولاً من أكثر نواحيه فإنه لا ينفي وجوب بناء مسجد في كل قرية يصلي فيها أهلها العاملون أثناء فراغهم والمتفرغون في كل وقت ، وأن إهمالهم هذا الواجب خطأ وتقصير قبيح نرجو أن ينتبهوا وشيكاً إلى تداركه والتخلص منه . . .

أما عذرهم في الثاني ، فهو أنّ أكثرهم فقراء والحج يحتاج إلى سعة واسعة فيندر بينهم من يقدر أن يقوم بنفقات الحج وهم يرون أن تركه مع تقوى الله لا يضر وأن أداءه مع معصية الله لا ينفع . . . . وإن كل هذه التعليلات لا تسقط عن المستطيع وجوب الحج . . . .
وعسى أن يهتم هذا الشعب بهذين الواجبين فيبني المساجد ويؤدي موسروه فريضة الحج فيكون قد سد هذا الخلل وماثل إخوانه المسلمين من سائر الجهات فلا يعير بعد بنقص ولا يعاب عن تقصير»[1] .

وبنفس المعنى كتب أحمد سلمان إبراهيم :

«طعنونا في الصميم ، وقولونا ما لم نقل ، ونسبوا الينا الزيغ والضلال ، واتهمونا بالمروق عن الإسلام ولم يجيزوا الرجوع ليستلزم القتل . . في حين أننا ما كنا ولن نكون ـ بحمد الله ـ إلا على جادة الهدى وما نحن من الإسلام إلا كالأصل من الفرع . . . . فيا ترى هل الإسلام الاشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسوله ونبيه والتمسك والإعتصام بأوامره ونواهيه ، والقيام بما افترضه علينا من الحدود الخمس وهي الصلاة والصوم والحج والزكاة والجهاد ، أليس الإيمان بمحمد والقرآن هو عين الإسلام .

(١) المرجع السابق .

نحن نقول بصدق وإخلاص أن كل علوي يؤمن بهذا الإيمان ويقر به في السر والعلن ، ويتبرأ إلى الله من كل ما ينعته به أهل الزور والبهتان . . . .

وأما القول في أن العلويين ، ينقصهم القيام بمراسم الإسلام ، فهذا نقص يشعر به العلويون قبل غيرهم ، وكم هو ألم مفكريهم شديدا لهذا النقص ، ولكن الشلل الإجتماعي الذي أصاب العلويين بسبب ما انتابهم في ماضيهم من ويلات ونكبات ، دب في قلوبهم اليأس»[1] . . . .

هذه الكتابات ، التي كان رواد النهضة سبباً في ظهورها ، أثارت ضجة كبيرة في الأوساط العامة وخاصة لدى شيعة النجف وكربلاء ، وهذا ما عبرت عنه رسالة السيد تقي المصعبي من طف كربلاء إلى الدكتور وجيه محيي الدين ، صاحب مجلة (النهضة) التي نشرت تلك الكتابات ، وهذا نص الرسالة : «كنت أعتقد واخواني الشيعة بأن العلويين هم طائفة غير مسلمة تؤمن بألوهية مولانا أمير المؤمنين علي عليه الصلاة والسلام ، وتعبده ، أو كما نحن نسميهم «علي الهية» حتى وصلت إلينا بعض اعداد النهضة الغراء فكم كان استغرابي عظيماً وكم فرحت وسررت حيث بانت لي الحقيقة وعلمت بأن العلويين هم شيعة اماميون إثنى عشريون مثلنا ، شديدو التمسك بعلي عليه السلام وآله يسيرون على نهجهم ويرجعون في الفقه وأمور دينهم إلى الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام . وبعد هذا أليس عجيباً أن نجهل حقيقة إخواننا العلويين ، وأعجب أيضاً تلك الظنون ونعتقد بما قد رماهم به أعداؤهم وخصومهم ولكن الذنب يعود إلى أمرين :

أولاً : لأن العلويين كانوا يكتمون معتقداتهم وذلك أثر الإضطهادات والمظالم التي لاقوها في العصور الغابرة .

---

(١) المرجع السابق .

ثانياً : عدم وجود المؤلفات والنشريات والصحف التي تعالج مثل هذه المواضيع وتكون واسطة للإتصال بين مختلف الأقطار ، والآن والحمد لله وقد أنجبت بلاد العلويين شباباً مثقفاً عاملاً قد خرج من عزلته وهو عارف واجبه . هذه كلمة أرسلها من طف كربلاء إلى إخواني العلويين في الجبال والسواحل . ولي وطيد الأمل بأن النهضة الغراء ستقوم بالتعارف والتقارب والإتصال بيننا وبين الشباب العلويين الأعزاء الكرام»[1] .

وكان من ثمرات النهضة الدينية ، أيضاً : الفتاوى التي أصدرها عدد من مشايخ العلويين ، تظهر تمسكهم بمذهب آل البيت .

وقد جاء في إحدى هذه الفتاوى[2] :

«إن مذهبنا في الإسلام هو مذهب الإمام جعفر الصادق والأئمة الطيبين الطاهرين ﷺ سالكين بذلك ما أمرنا به خاتم النبيين سيدنا محمد ابن عبد الله رسول الله ﷺ حيث يقول : «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم أجراً من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما » هذه عقيدتنا نحن العلويين أهل التوحيد وفي هذا كفاية لقوم يعقلون» .

٩ جمادى الآخرة ١٣٥٧

وفي فتوى أخرى: «إن المسلمين العلويين باجماعهم يعلنون في الدنيا والآخرة أنهم على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله شهادة حتى وصدق فمن آمن منهم بالشهادتين والوحدانية فهو منهم ، ومن جحدها فهو غريب عنهم كافر بهم ومن يتخذ من أتباع

---

(١) المرجع السابق .

(٢) الشرف عبد الله آل علوي الحسني ـ تحت راية لا إله إلا الله مطبعة الإرشاد ـ اللاذقية ١٩٣٨ .

المسلمين العلويين مذهب الإمام جعفر الصادق عليه السلام سبباً لإبعادهم عن الدين الإسلامي الحنيف نعتبره بدعواه جاحداً للحق ناكراً للصدق عاملاً على الباطل بالباطل وللباطل» .

صافيتا في ٣ آب سنة ١٩٣٨

لكن بالرغم من كل ذلك ، فإن هذه الخطوات الهامة ، لم تكن ذات تأثير كبير في المجتمع لجملة من الأسباب ، أهمها :

أولاً : حالة الجهل المستشرية ، الراسخة الجذور .

ثانياً : عمليات التبشير التي كانت تقوم بها المدارس التابعة للإرساليات الدينية الأجنبية . وقد أثار التبشير المسيحي ردات فعل قوية لدى رجالات العلويين ، وهذا ما عبرت عنه المذكرة التي رفعها عدد من مفكري العلويين إلى وزارة الخارجية الفرنسية في ٢٧ تموز سنة ١٩٣٦ وجاء فيها :

«إن العلويين شيعة مسلمون ، وقد برهنوا طوال تاريخهم عن امتناعهم عن قبول كل دعوة من شأنها تحوير عقيدتهم ، فهم يحتفظون بالعقيدة الشيعية الإسلامية .

وكأن الصدف يا معالي الوزير ساقت تبشير الآباء اليسوعيين إلى جبالنا وأخذ هذا التبشير يتسرب إليها منذ عام ١٩٣٠ ، ومن المفيد إحاطة معاليكم علماً أن الكثيرين من الموظفين الفرنسيين الإداريين يرون بعين الإرتياح أعمال الآباء اليسوعيين ، وبعدة مناسبات منذ عام ١٩٣٠ استلفتنا نظر السلطات العليا في باريس وبيروت إلى هذه الحوادث التبشيرية التي تكون معذورة لو أن الدافع لها اليقين والإيمان ، إلا أن الشيء المشين في هذه الحوادث ، وهنا موضع استيائنا ، وعلة احتجاجنا هو استثمار واستغلال فاقة شعب فقير وشراء ضمائر ضعيفة كما تشرى السلع لتمرق من دين إلى دين آخر» .

ثالثاً : محاربة المشايخ لهذه الخطوات الإصلاحية ، التي رأوا

فيها خطراً على مراكزهم ومصالحهم ونفوذهم .

وكان من المنتظر أن تلاقي هذه الخطوات الإصلاحية الرائدة ردات فعل قوية ، خاصة وأنّ النفوس لم تكن مهيئة للتخلي فوراً ومرة واحدة عن مخلفات أربعة قرون من الجهل . وهذا ما أدى إلى نشوب صراع ضار بين الشباب المتنوّرين من جهة ، وبين المشايخ المتزمتين ، المعادين لكل تطور وإصلاح لأن فيه القضاء على نفوذهم ومصالحهم والفوائد المادية الكثيرة التي يجنونها من وراء ذلك وأول من أشار إلى هذا الصراع عبد الرحمن الخير بقوله :

«قامت شبه حركة عداء بين المتجددين ، ونعني بهم النابهين من طلاب المدارس الثانوية والعالية ومن بعض المتعلمين ، على الشيوخ العلويين ، وبين المحافظين ، ونعني بهم جمهور المشايخ من المتشيعين بالتقليد ، وبعض من الشباب الدارسين على الأساتذة العلويين ، رجال اليقظة الأولى ، فقد أنكر المحافظون على المتجددين أمور نرتبها بحسب أهميتها كما يلي :

١ - تقديم دراسة العلوم العصرية على دراسة العلوم الدينية وانشغال بعضهم من أبناء المشايخ بالأدب والسياسة بدلاً من التخصص للتعبد ودراسة الآداب الدينية .

٢ - انتقاد بعض رجال الدين ومحاولة هدم بعض العادات المألوفة .

٣ - خروج البعض على الأخلاق وارتكابهم بعض المكروهات العرفية .

٤ - نظم الشعر العاطفي بدلاً من الشعر الديني .

٥ - تقليد الأجانب بالأزياء والعادات .

وأنكر المجددون على المحافظين أموراً منها :.

١ ـ إغفالهم دراسة العلوم اكتفاء بالفقه المذهبي ، ورغبتهم عن كل الأعمال الإجتماعية والسياسية تواكلاً على القدر الإلهي .

٢ ـ عدم تنظيم الأعمال الدينية بالضرب على يد كل منتم إلى المشيخة وهو لا يفهم منها شيئاً أو لا يتقن عمله فيها .

٣ ـ مبالغتهم في التقليد لكل مأثور سواء قل حسنه أو بان عدم ملائمته للزمان والمكان .

٤ ـ تسرعهم في الحكم على الظواهر والفلتات وتعميم التهمة إذا عرض من البعض ما يدعو إليها .

٥ ـ تعمد العزلة والتقشف بشكل يجعل مظهرهم مستهجناً .

وتطرف بعض الشيوخ في التحمس فرمى كثيراً من المجددين بالمروق من الدين ، وقابله بمثل تطرفه بعض المتجددين فأعلن عدم صلاح نفر عديد من المحافظين ، ورمى هذا النفر بسوء النية . والتأكل في الدين والإنطواء على غير ما يتظاهر به من تدعي وتقوى»[١] .

وفي الحقيقة ، كان هذا الصراع في جوهره ، صراعاً بين تيارين مختلفين متناقضين :

الأول : التيار الظاهر المتمسك بمذهب آل البيت عليهم السلام .

الثاني : التيار الباطني المترسّخ الجذور الذي يهمل العمل بالفرائض .

صحيح أن عبد الرحمن الخير لم يقل ذلك صراحة ، لكن هذا ما يستنتج من كلامه لدى التأمل فيه بإمعان .

وهذا الصراع ، ما زال على أشده بين هذين التيارين إلى يومنا هذا .

---

(١) النهضة ـ العدد ٨ تموز ١٩٣٨ .

ثانياً : الاتجاه الأدبي :

لئن كانت النهضة الدينية بدأت في عام ١٨٤٦/م وما بعدها ، فإن النهضة الأدبية تأخرت عنها كثيراً .

وهناك عدة عوامل لعبت دوراً أساسياً ، وهاماً ، في النهضة الأدبية . هي :

* انتشار التعليم .
* مجلة العرفان وصاحبها المرحوم أحمد عارف الزين .
* ظهور الصحف والمجلات الأدبية في الساحل السوري .

(أ) انتشار التعليم :

لم يكن في جبال اللاذقية طوال العهد التركي ، مدارس بالمفهوم العام للمدارس . وكان التعليم يتم على الطريقة القديمة ، أي ما يسمى «تحت السنديانة» حيث يقوم الشيخ بتعليم الأولاد قراءة القرآن وتجويده ومبادىء النحو واللغة .

وكانت كتب الدراسة مقتصرة على كتاب الله الكريم ، وعلى الاجرومية وألفية ابن مالك .

وكان إذا برز شيخ من الشيوخ في جانب معين من العلم ، في قرية من القرى ، هرع إليه طلاب العلم من كل حدب وصوب ليأخذوا عنه وينالوا شرف العلم على يديه .

وعندما تولى ضيا بك متصرفية اللاذقية ، اهتم ببناء المدارس في القرى الكبيرة ، لكن خطواته هذه توقفت بوفاته سنة ١٨٩٢/م .

ولما احتل الفرنسيون البلاد سنة ١٩٢٠/م ، اهتموا اهتماماً كبيراً بالعلم ، وتوسعوا في بناء المدارس الإبتدائية والثانوية ، للجنسين

الذكور والإناث ، في جميع أقضية الساحل السوري .

وكان بعض هذه المدارس تابعاً للإرساليات الدينية الأجنبية :

- اليسوعيون في حابا وبرج صافيتا وجنينة رسلان .
- الروم الكاثوليك في صافيتا ومرمريتا .
- الموارنة في البياضة .
- البروتستانت في بحمرا وبغجغاز .

وغيرها ....

وعلى الرغم من أن الغاية الحقيقية للمدارس الأجنبية ، هي التبشير الديني ، فإنها عملت على تخريج أجيال من المثقفين المتنورين الذين ساهموا بشكل أو بآخر في النهضة الأدبية ، في الساحل السوري .

(ب) مجلة العرفان :

وفي حديثنا عن النهضة الأدبية التي عرفها الساحل السوري ، لا نستطيع أن نتجاهل الدور الكبير والفعال الذي قامت به مجلة العرفان وصاحبها المرحوم المغفور له أحمد عارف الزين .

وكان رحمه الله ، شديد الحب للعلويين يطلق عليهم إسم إخواننا .

وكانت تربطه صداقة حميمة بالعديد من مشايخهم ورجالاتهم . وكثيراً ما زار اللاذقية ، والساحل السوري وبعض القرى واتصل بالمشايخ وأقام معهم الحوارات والمناقشات . كما أنه فتح صدر مجلته لمثقفيهم وأدبائهم .

وكانت العرفان أول مجلة تنشر لأدباء من الساحل السوري وجبال اللاذقية . ومن على صفحاتها طارت شهرة البعض منهم شرقاً ومغرباً .

وممن نشرت لهم العرفان : الشيخ العلامة سليمان الأحمد ، الشيخ إبراهيم عبد اللطيف ، الشيخ يوسف إبراهيم ، بدوي الجبل ، فتاة غسان ، ابنة العلامة المرحوم الشيخ سليمان الأحمد وشقيقة الشاعر بدوي الجبل ، يونس إبراهيم رمضان ، هاجر أحمد رمضان ، عبد الرحمن إبراهيم ، أحمد محمد حيدر ، أحمد سعيد ...... وغيرهم ......

ولا نبالغ إذا قلنا : إن الدور الذي لعبته العرفان في النهضة الأدبية التي عرفها الساحل السوري ، فاق في أهميته دور المدارس ومعاهد التعليم ، لأنها كانت مدرسة متنقلة . وتلي العرفان في الأهمية ، مجلة [الأمالي] للمرحوم الدكتور عمر فروخ[1] التي أفسحت المجال أمام أدباء العلويين لينشطوا ويبرزوا .

ومن الذين نشرت لهم [الأمالي] سليمان أحمد معروف ، علي محمد منصور ، علي حسين حرفوش ، مجيد خيربك ، محمود صالح ، فتاة غسان ، إبراهيم صالح معروف ، علي محمد معروف ، معلى أحمد غنام ، حامد حسن ، وغيرهم ....

(ج) ظهور الصحف والمجلات في الساحل السوري :

لعبت الصحف والمجلات التي صدرت في اللاذقية ، وبعض مدن الساحل السوري ، وخاصة منها الصحف والمجلات التي أصدرها علويون متنورون ، دوراً فعالاً في النهضة الأدبية التي عرفها الساحل السوري وكانت مجلة [العلوي] أول صحيفة يصدرها علوي في الساحل السوري ، وأيضاً أول مجلة عرفها الساحل .

(١) الأمالي ـ مجلة اسبوعية تبحث في الثقافة ، أصدرها كل من الدكتور عمر فروخ ومحمد علي الحوماني والدكتور محمد خير النويري وعارف أبو شقرا ، صدرت يوم الجمعة ٧ رجب ١٣٥٧ و٢ أيلول ١٩٣٨ ، وكانت في زمنها من أحسن المجلات الثقافية ، لعبت دوراً هاماً في ساحة الفكر والأدب في أواخر الثلاثينات . .

صدرت العلوي باللغتين العربية والفرنسية ، في ١٥ أيلول ١٩٢٣ لصاحبها مصري زاده برهان الدين بك . وهو من كرام العائلات العلوية في لواء الاسكندرون ، وكان مثقفاً ثقافة عالية جاء إلى اللاذقية في مطالع العشرينات ، وأصدر المجلة بالإتفاق مع الأديب عبد الكريم الخير ، وهو من رجالات الوطنية والتعليم والأدب .

كانت المجلة «سياسية أدبية اقتصادية» تصدر مرتين في الشهر .

عدد صفحاتها(٢٤) صفحة منها(١٦) صفحة باللغة العربية يحررها عبد الكريم الخير ، و(٨) صفحات باللغة الفرنسية يحررها برهان الدين مصري .

وأبواب المجلة هي : الأدبيات ـ السياسيات ـ أخبار نصف الشهر ـ الكلمة الأولى .

لم تعمر هذه المجلة طويلاً ، وما صدر منها لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة . لذا كان دورها في النهضة الأدبية محدوداً جداً .

*** الصدى العلوي ـ صوت الحق :**

تعتبر صوت الحق امتداداً لجريدة الصدى العلوي المحتجبة . صدرت في ١١ آب ١٩٣٨ .

صاحبا الجريدة عابد جمال الدين وعبد اللطيف يونس . المدير المسؤول عابد جمال الدين ورئيس التحرير عبد اللطيف يونس .

وعندما صدرت ، وجه إليها الشيخ عبد اللطيف سعود القصيدة التالية :

ايه (صوت الحق) اسمع أمة ... كان في أسماعها شبه الصمم
اسمع الشعب أهازيج العلى ... وأغاني المجد في أشهى نغم
هات حدثه عن الماضي الذي ... كان فيه ذا اباء وشمم

قـل لـه : ضيعت مجداً تـالـداً فـاقـرع السن عليـه من نـدم
واعـمـل الآن عـلى ارجـاعـه واستنر بالعلم في هـذي الظلم
كم أنـاس ضيعـوا مجـدهـم وأنـاس أوجـدوه مـن عـدم
سنـة الكـون ولكن هـل لـكم أن تكـونـوا وسـطاً بين الأمم
قـد عجـزتم أن تكـونـوا سـادة أتكـونون لمن سادوا خـدم ؟ !
وعـييتم عـن مـسـاواة الـورى أفـتـرضـون مسـاواة الـنـعم
ليس غيـر العلم يعلي شـأنكم فـلـه حثـوا الـمـطايـا والهمم
فمبادي العلم كم شيـدت لهـا من مبـان بيـنـكـم ذات قيـم
هـي من أولـى المـراقـي للذي رام أن يـرقى من العلم الـقمـم
فـعليهـا نشـؤكم فـليعـتـمـد ليغذي الـعلم فيهـا من أمـم
ثم امـوا غيرهـا ان شئتم . . . أن تكـونـوا بعـد شعبـاً يحتـرم
لا تضيعـوا فـرصـة ننشـدهـا بـمـرارات شـجـون وألـم

كانت الجريدة ، في البدء ، تصدر يوم الخميس من كل اسبوع .

تعرضت الجريدة عند صدورها لانتقاد البعض ، لذلك رأيناها ترد عليهم رداً عنيفاً جاء فيه : «يطالعنا كل يوم باصدقاء أو متصادقين يكيلون لنا النقد بالقناطير ويفيضون علينا بالنصح طوفاناً» .

وهم في كل هذا امّا جاهـل أو متحامـل ، أو ذوي مأرب لم تشف غلته ـ ماذا يقولون وبم يتهمون . . انهم يتهموننا بأن هذه الجريدة ملتوية المبدأ غير مستقيمة السياسـة تارة تصـدر حكوميـة وأخرى معـارضة ومرة ثالثة حيادية فلو أنها نهجت سبيلاً واحداً ـ ولكن يا ويحهم أين هم عندئذ من الحقّ الـذي جعلت هـذه الجـريـدة صدى لـه وصـوتـاً وأين هم من الإنصاف والإستقامة المطبوعين في نفس القائمين على هـذه الجريـدة ـ وكـأنهم لا يعلمون أن هـذا الإضـطراب والإلتـواء من التـواء أو ريـاء في نفوس أصحابهـا ولكن نتيجة التـواء الناس عن الحق تـارة واتباعهم إيـاه أخرى ونتيجة ظروفنا وأحوالنا السـياسية التي نعتـرف بكل أسف أن فيهـا كثير من الشذوذ يحير المرء فيه عن طريقه القويم .

إنا نريد أن نقول هنا بكل صراحة ومرة أُخرى خطتنا ليزول كل شك من قلوب الأصدقاء المخلصين ولكي لا تحوم بعدها ريبة في نفوسهم عن منهجنا وقوامه ولكي نصدع به الحسودين الغامزين ، بأنَّا حكوميون إلى أقصى حد كلما عرضت قضية عامة وجهاد في سبيل اعلاء كلمتها وانالتها حقوقها السياسية والإقتصادية كاملة غير منقوصة وبكلمة مختصرة فإنا نظاهر الحكومة في سياستها الخارجية ونضالها مع الأجنبي ، وما خلا ذلك فإنَّا أحرار تمام الحرية غير مقيدين بأحد البتة لا نبخس الناس أشياءهم فإذا ما عملت الحكومة خيراً مدحنا وأطنبنا كيما نساهم بالتشجيع على كل خير وإذا ما عرض للشعب مطاليب حقة جهرنا بها غير هيابين ولا وجلين ، وإذا ما تقاعسنا أحياناً عن شيء من ذلك فما هو إلا بظاهر الأمر وإلا لأنَّا نعلم بأن دواعيه الأساسية سيئة وأنها حق كلمة يراد بها باطل إذ مع الأسف ان شعبنا الساذج يمتطى لمآرب عديدة تلبس ثياب الحق وفي باطنها السم الناقع .

أنا أول الغيورين على مصالح هذا الشعب ولن نطلب درساً من أحد في ذلك ، وأنا أول المحبين لهذا الدور الوطني والمتمنين نجاحه ولن نطلب درساً من أحد في كيفية نصرته والتفاني في سبيلها ولو كان بزعمه من يستطيع أن ينصب نفسه منصب المعلِّم ، فليطمئن إخواننا الصادقين إلى جريدتهم التي لن تنهج إلا سبيل الحق وأمّا الآخرون فقد كفانا إياهم قول المتنبي يرحمه الله :

سوى وجع الحساد داء فإنه   إذا حل في قلب فليس يحول»(١)

كانت الجريدة تصدر يوم الخميس من كل اسبوع ، وبقيت تصدر اسبوعياً مدة خمسة أشهر تقريباً ، ثم أعلنت في عددها رقم (١٧) الصادر بتاريخ (١٥) كانون الأول ١٩٣٨ انها ستصدر مرتين في الاسبوع ابتداء من أول السنة الجديدة(١٩٣٩) .

(١) لمزيد من الإطلاع على صحافة الساحل السوري راجع كتابنا الصحافة في الساحل السوري .

كـانـت الجريـدة توزع على نـطاق واسع ضمن سـورية وخـارجهـا وخاصة في المهجر الجنوبي حيث كان لها عدد كبير من المشتركين .

عاشت صوت الحق أكثر من سنتين ثم توقفت وكان توقفهـا خسارة لا تعوض .

* بعـد العلوي ، والصـدى العلوي ، وصـوت الحق ، صـدرت [المرشد العـربي] للمرحـوم الشريف عبـد الله آل علوي الحسني «مجلة تاريخية أدبية شهرية» شعارها ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمـة والموعظـة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ .

وهي من حيث المضمـون «مـولية وجهها نحـو البحث عمـا يبين حقيقة الدين ويفند مزاعم المبطلين ويفضح دعاوى البدعيين والمحـدثين متبسـطة تبسطاً لائقاً بهـا فيمـا يهـذب النفـوس ويثقف العقـول ويغـذي الأفكار باحثة بدورهـا في الأخلاق ، والعـادات ، والآداب ، والتاريـخ ، والتراجم ، والعلوم النظرية ، والإجتماعية» .

صـدرت المرشـد العـربي بتـاريـخ ١٠ نيسـان ١٩٢٩/م ـ ١ ذو القعـدة ١٣٤٧ وهي ثالث مجلة فكـريـة ذات قيمـة تصـدر في السـاحـل السـوري بعد النـور (١٩٢٥) والتجـدد (١٩٢٧) وثـالث مجلة إسـلاميـة تصدر في سورية بعد الوحي (حماه/١٩٢٦) والبعث (دمشق/١٩٢٧) .

وكانت أبواب المجلة في غاية الغنى والتنوع ، وهي :

القسم الديني (دينيـات) ـ القسم الإجتمـاعي (اجتمـاعيـات) ـ القسم النســائي (نسـائيـات) ـ القسم الحقـوقي (حقـوقيـات) ـ القسم الإقتصـادي (اقتصـاديـات) ـ القسم التـاريخي (تـاريخيـات) ـ القسم الأخلاقي (أخلاقيات) ـ القسم الأدبي (أدبيات) ـ في عالم المطبوعات أو (المطبوعات الحديثة) .

أمـا كتـاب المجلة ، فكـانـوا من خيـرة علمـاء وكتـاب ومفكـري العالمين الإسلامي والعربي في ذلك الزمان كالعلامة الشيخ عبـد المجيد

المغربي ، والعلامة الشيخ عبد الله الدهلوي ، والشيخ عبد الكريم الدجيلي ، وحافظ إبراهيم ، والشيخ عبد الصاحب الدجيلي ، والشيخ عبد الحميد السائح والشيخ عبد المولى الطريحي ، والشيخ عبد المهدي الأعرجي ، والشيخ محسن المظفر ، والشيخ عبد القدوس الأنصاري ، والشيخ محمد رضا المظفري ، وعبد الرزاق الحسني ، وعبد المجيد الرافعي وعمر نجا . . . وغيرهم . . . . .

نعمت المرشد العربي بانتشار واسع تخطى حدود محافظة اللاذقية ، وحدود سورية ، وكانت توزع في البلاد العربية والإسلامية . وهذا الإنتشار الواسع لم تعرفه أية مجلة سورية أخرى .

لكن برغم هذا الإنتشار ، فإن المجلة توقفت عن الصدور بعد سنتين من ظهورها بسبب المتاعب المادية التي واجهتها[1] .

* بعد مرور أكثر من عام على ظهور المرشد العربي ، صدرت [الأماني] لإبراهيم عثمان ، في مطلع شهر تشرين الأول سنة ١٩٣٠/م . وكان شعارها «إن أعمالك مرآة لك ، فإذا أردت أن تعرف من أنت فانظر إلى أعمالك» .

قدمت الأماني نفسها للقارىء ، وحددت خطتها بالكلمات التالية : «لم تخلق للكسب المادي ولمس النفوس ، وخطتها أن لا تتقدم بالزلفى وإيقاد البخور على مذابح المقامات وأصحاب النفوذ كما أنها لم تخلق لتكون أداة للهدم والتحطيم وستستمر على الصدور بعونه تعالى ما دامت من جهود رفاق شاركوني في مشروعها بدافع نشر الثقافة والأدب ، لا بدافع حب الظهور ، والتطوح الأعمى وستحمل على صفحاتها صرخات الشباب الصاخبة لتحطيم الأغلال ومحاربة الجمود ، وحكمة الشيوخ المتروية الهادئة ، في جو بعيد عن السياسة وأساليبها» .

---

(١) لمزيد من المعلومات عن مجلة المرشد العربي ، راجع مقالنا «المرشد العربي مجلة إسلامية مجهولة» مجلة الثقافة الإسلامية - دمشق العدد ٣٤ ت ٢ - ك ١ ١٩٩٠ .

تلألأت على صفحات الأماني أسماء نخبة من أعلام الأدب والفكر في الساحل ، وغيرهم من أدباء الوطن العربي ، أمثال : العلامة الشيخ سليمان الأحمد ، وادوار مرقص ، وبدوي الجبل ، وفتاة غسان ، ومحمد رشاد رويحة ، ونديم محمد ، ومنح هارون ، ومحمد حمدان الخير ، وعبد اللطيف إبراهيم ، ويوسف إبراهيم ، وحكمت الشريف ، ورئيف خوري ، وأمين نخلة ، وخليل شيبوب ، وايليا أبو ماضي ، ومحمد كامل شعيب العاملي ، وغيرهم . . . .

وكان أهم ما نشرته الأماني على صفحاتها ، المآخذ والإستدراكات التي سجلها العلامة الشيخ سليمان الأحمد على شرّاح ديواني البحتري وأبي تمام ، التي لم تعرف العربية مثيلاً لها .

كما نشرت أيضاً دراسته الفذة ، الموجزة ، عن رسالة الغفران للمعري .

عاشت الأماني ما يقرب من سنتين ثم توقفت بسبب العجز المادي ، لأن طبع العدد الواحد كان يكلف عشر ليرات ذهبية ، وهو مبلغ كبير جداً جداً في ذلك الزمان .

وباحتجاب الأماني فقد الساحل السوري مجلة أدبية راقية ، كانت واسطة عقد صحف ومجلات الساحل السوري ، وما زال أدباء الساحل القدامى يذكرونها بألف خير ويثنون عليها ثناء حاراً .

* بعد ست سنوات من احتجاب الأماني ، وعلى وجه الدقة في شهر تشرين الثاني من عام ١٩٣٧/م ، أصدر المرحوم الدكتور وجيه محيي الدين ، بطرطوس ، مجلته [النهضة] «شهرية تبحث في الأدب والإجتماع» وقد حاول أن يسد بها الفراغ الذي خلفته الأماني باحتجابها .

كان مبدأ النهضة ، كما عبرت عنه افتتاحية العدد الأول «الكفاح ضد الرجعية ، ونبذ الطائفية الممقوتة والسير وراء المجد والسؤدد

بتضامن وإخلاص وبث روح التآلف والاخاء بين مختلف أبناء هذا الشعب ، فتكون هذه الصحيفة كمنبر يتبارى عليه كل من أعطاه الله نصيباً وافراً من حسن الذوق الأدبي والثقافة العالية ، والتضحية في سبيل المثل العليا» .

ظهر على صفحات المجلة أسماء كثيرة ، منها ما كان معروفاً وله حضوره الأدبي المميز ، ومنها من نزل إلى ساح الأدب لأول مرة ، فسار خطواته الأولى على صفحات المجلة .

من الأدباء الذين نشرت لهم المجلة : حامد حسن ، ومحمود رمضان ، والدكتور وجيه محيي الدين ، وعبود أحمد ، وكامل عبد الكريم الحاج ، ومحمد عبد الرحيم ، وأحمد علي حسن ، ونديم محمد ، وعلي محمود منصور ، ومحمد علي اسبر ، ومعلى غنام ، ومحمد ياسين ، ومحمد حمدان الخير ، ومحمد حمدان الرياحي ، ومحمود سليمان الخطيب ، وعلي حمدان عمران ، وإبراهيم جمال الدين ، وعبد الرحمن الخير ، ومحمود صالح ، ومحمد أحمد محمد ، ومحمد الفاضل ، وكامل صالح معروف ، وتوفيق عيسى سعود ، وعبد اللطيف إبراهيم ، ويوسف أحمد علي ، وحميد برهوم ، وعبد اللطيف سعود و . . . . عاشت النهضة سنة كاملة ثم توفي صاحبها إلى رحمة الله ، فحاول محيي الدين محيي الدين بالإشتراك مع المحامي زاهي عرنوق مواصلة إصدارها ، لكن المحاولة فشلت ، ولم يصدر من المجلة في سنتها الثانية سوى عددين[1][2] .

---

(١) الشيخ سليمان الأحمد، علامة اللاذقية والساحل السوري ، وشيخ مفكريه ، كان حجة في اللغة انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٢٢ ، خلف آثاراً لغوية هامة منشورة في مجلات العرفان والأماني والمواهب (الارجنتين) وغيرها تعتبر ثروة في الثقافة والفكر . وهو والد الشاعر الكبير بدوي الجبل . (محمد سليمان الأحمد) .

(٢) الشيخ عبد اللطيف سعود شاعر مطبوع ، متقدم ، إشتهر بالهجاء ، لم يجمع شعره فبقي مبعثراً في مختلف صحف ومجلات الساحل السوري . .

من الأعمال الجليلة التي قامت بها النهضة إصدار عدد خاص ممتاز عن العلويين هو العدد الثامن تموز ١٩٣٨ يعتبر بمثابة وثيقة تاريخية نادرة، تتضمن كل ما يجب معرفته عن العلويين في الماضي والحاضر. وقد ساهمت مواضيع هذا العدد، في الكشف عن حقائق تاريخية كانت خافية على الكثيرين. كما ساهم في تغيير النظرة السائدة عن العلويين.

بلغت النهضة الادبية في الساحل السوري ذروتها بين ١٩٢٥ و١٩٣٩. وكان أهم ما أفرزته، هو مشاركة المرأة فيه بنصيب كبير. وتعتبر هذه المشاركة ثمرة جهود رواد النهضة الأوائل الذين ألحوا الحاحاً شديداً على وجوب تعليم المرأة، وخروجها من الشرنقة التي وضعتها الظروف فيها طوال قرون عديدة.

وتأتي فتاة غسان، ابنة العلامة الشيخ سليمان الأحمد، في طليعة أديبات الساحل والجبل، وهي، تعتبر مع مريانا مراش وماري عجمي رائدات الأدب النسائي في سورية. يمتاز شعرها بالفصاحة والجزالة ومتانة السبك وإشراق الديباجة.

نشرت قصائدها في العرفان والنور ومنيرفا والأماني والأمالي وغيرها من صحف ومجلات الوطن العربي.

ومن أديبات الساحل السوري، وجبال اللاذقية، اللاتي برزن في الفترة ما بين ١٩٥٢ و ١٩٣٩، هاجر أحمد رمضان، وخديجة الحامد، وحليمة ملحم، ومارية عمران . . . . . .

ومن الغرابة بمكان، أننا في الوقت الذي قرأنا فيه لهذه النخبة من أديبات جبال اللاذقية، نجد أية أديبة برزت في مدن الساحل السوري اللاذقية، جبلة، بانياس، طرطوس، مع أن معظم مراكز التعليم في المدن، وهذه ظاهرة تستلفت النظر.

ومما يجب قوله: ان الشعر، كان هو المحصول الأوفر في بيدر

النهضة الأدبية .

ويشكل الشعر الديني الجزء الأكبر منه . والشعر الديني ، أسمى أنواع الشعر ، لأنه مرآة النفس ويدل على حقيقة قائله ، لا مجال فيه للرياء والتذبذب والنفاق . لكن مما يؤسف له أن معظمه لا يزال مخطوطاً . وما نشر منه لا يمثل إلا نزراً يسيراً .

وهذا الشعر في مجمله يدور حول المواضيع التالية :

١ ـ موالاة آل البيت عليهم السلام والإستنان بسننهم الطاهرة .

٢ ـ مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام .

٣ ـ الحض على ذكر الله والتقوى والعمل الصالح ومكارم الأخلاق .

٤ ـ محاولة تقليد الفلاسفة المسلمين في الحديث عن النفس شعراً .

٥ ـ الزهد والحكميات والوعظ والإرشاد .

٦ ـ توسلات وابتهالات دينية .

٧ ـ الحديث عن التقية .

هذا من حيث الموضوع .

أما من حيث الأسلوب ، فقد تميزت هذه الأشعار بمتانة الديباجة ، وجمال العبارة ، وجزالة الالفاظ واشراقها ، والعاطفة الحارة الصادقة الممزوجة بنفحات صوفية علوية آسرة .

وروعة هذه الأشعار تضطرنا إلى الوقوف عندها قليلاً .

*** الايمان والاسلام :**

لما كان أكثر شعراء جبال اللاذقية من المشايخ ، بدأوا علومهم

الأولى بالقرآن حفظاً وتجويداً .

فمن الطبيعي أن يأخذ ذكر الإيمان حيزاً كبيراً في شعرهم .

قال الشيخ سليمان الأحمد (١٨٦٩ ـ ١٩٤٢) .

يا ساكني النجف الشريف عليكم　　من ذي الجلال تحية وسلام
حبي لكم في الله يذكي غرسه　　بفؤادي الإيمان والإسلام

ومن صدق الإيمان ، الرد على أهل الالحاد الذين ينكرون وجود الله سبحانه وتعالى . في الرد على أمثال هؤلاء ، قال الشيخ عبد اللطيف سعود (١٨٨١ ـ ١٩٥٤) .

أيها القائلون بالإلحاد　　لاهديتم إلى سبيل الرشاد
من ترى علم الخلائق أم مـ　　ـن قد أناط الأرواح بالأجساد
ما هي الروح كيف تحيي مواتاً　　هو طبعاً بدونها كالجماد
جمعت فيه بين ماء ونار　　وأرته الأشياء ضمن الرقاد
من ترى علم الطبيعة حتى　　ألفت بين هذه الأضداد

*** موالاة آل البيت (ع) :**

العلويون شيعة إمامية ، وقد تميزت الشيعة بالتمسك بولاية أمير المؤمنين علي ؏ وهي تستند في ذلك إلى حديث الموالاة «اللهم وال من والاه وأبد من أيده» . . . ولهذا فإن الحديث عن الولاية والإعتصام بآل البيت ؏ ، يشغل حيزاً كبيراً في خارطة الشعر الديني لدى شعراء جبال اللاذقية .

قال الشيخ إبراهيم عبد اللطيف (١٨٧٨ ـ ١٩١٥) في قصيدة له مطلعها[1] :

---

(١) من رواد النهضة ، له كتابات منشورة في مجلة العرفان تدل على علو كعبه . أغلب آثاره ما زالت مخطوطة .

كم شجي أسال بين الطلول حر دمع لبينهم مطلول

. . . .

لهف نفسي متى أفوز بقرب يشتفي فيه داء قلب عليل

ليس إلا ولايتي واعتصامي لسفين النجاة آل الرسول

وقال الشيخ سليمان الأحمد :

فكرت فيما يريح القلب من وصب وينقذ القلب من هم ومن حزن

فما وجدت فتى يصفو الزمان له ولا أخا منحة يخلو من المحن

ولم أجد راحة للنفس كاملة ضمن الشرائع والأسفار والسنن

إلا التقية والتسليم يعضده صدق الولاء يقيناً في أبي الحسن

وقال الشيخ محمد ياسين (١٩٠٣ ـ ١٩٧٦)[1] :

من اتخذ الحطام الدهر كسباً فإن ولا أمير النحل كسبي

عقدت على محبته ضميري وأخلصت الولاء له وحسبي

وقال الشيخ محمد حمدان الخير (١٩٠٠ ـ ١٩٧٨)[2] :

أتحسب أنني يا دهر آسى على فقد الطعام أو الشراب

كفاني من نعيم العيش أني أوالي المصطفى وأبا تراب

وكل مرفه بمتاع دنيا فذلك لم يرد غير السراب

وقال أيضاً :

لا تدعوني للوفاق على الهدى بيني وبينك في الولاء فراسخ

نسخ الكتاب القبلة الأولى فهل للحب في القربى كتاب ناسخ

---

(١) محمد ياسين من رواد النهضة الأدبية في الساحل ، لم يهتم بجمع آثاره فبقيت مخطوطة ، وموزعة في الصحف والمجلات .

(٢) محمد حمدان الخير من عائلة معروفة بالعلم والأدب ، عمل مدة قصيرة موظفاً في المحكمة المذهبية ببانياس وذلك في عام ١٩٢٨ . له قصائد رائعة في مدح آل البيت ﷺ مجارية للزوميات المعري تقع في ١٥٠٠ بيت . يمتاز شعره بالمتانة والجزالة وقوة السبك . .

هيهات يدنو الزيغ مني بعدما — هو فيّ من سر الولاية راسخ
وتقول أنت أخي ويغرق في الأذى — بدمي ولحمي منك ناب فاسخ
ولقد علمت بأنه سبحانه — مستدرج للمعتدين وماسخ

* حبّ النبي (ص) وآله (ع) :

حب النبي ﷺ وآله ؏ مترسخ الجذور في نفوس شعراء الساحل ، وهذا ما تفصح عنه القصائد الكثيرة التي قالوها بهذا الخصوص .

قال الشيخ محمد ياسين :

مالي سوى حب النبي وآله — حرز غداً نار الجحيم يقيني
يارب زدني في ولاهم رغبة — وتمسكاً وهوى وحسن يقين

وقال أيضاً :

إذا قيل لي ماذا تزودت للقا — أقول مبيناً مقصدي ومرادي
تزودت حب الغر آل محمد — وحسبي به زاداً ليوم معادي
نشأت عليه مذ نشأت وانني — عليه أوالي من أرى وأعادي
فيا رب ثبتني عليه وأبقه — بلبي ما دام المدى وفؤادي

وقال الشيخ محمد حمدان الخير :

رضيت الأخذ بالثقلين ديناً — ولم أعدل عن النص الصريح
ولم أسبغ على وحيي غشاء — كثيفاً من أباطيل الشروح
ولا أوردت فجر الغي قلبي — ولا سرحت بواديه سروحي
ولا هبطت على أبناء طه — بنار الحقد والشنآن ريحي
ولكن بالقلى طهرت نفسي — كما بهواهم نجيت روحي
هنائي للاذى فيهم فزدني — ولا تأل النكاية من جروحي

* الحض على ذكر الله سبحانه وتعالى ، والتقوى ، والعمل

الصالح المخلص، ومكارم الأخلاق قال الشيخ يعقوب الحسن (١٨٦٧ - ١٩٢٩)[1]:

يا غافلاً عن هول رحلته غداً ... تعنو لروعتها الجياد القود
تصبو إلى الدنيا وتعلم أنها ... دار البوار، وجارها مطرود
هي منزل ضنك إذا ما احتله ... وفد تأهب للرحيل وفود
آمالهم وهم وحب نوالها ... جهل وصدق مقالها تفنيد
ولرب مجرور المظالم آمن ... أمسى وذيل نعيمه مقدود
ومرفه قرن الشمول عشية ... أضحى وسجع قيانه التعديد
لا تترك الفعل الجميل إلى غد ... فلربما يأتي وأنت فقيد

وقال الشيخ سليمان الأحمد:

ان أرهب الموت فما بعده ... أسر للانفس أو أرهب
فاغتنم الوقت لفعل التقى ... فإنما عمر الفتى يذهب

وقال الشيخ عبد اللطيف سعود:

إن كنت تطمع بالنجاة ... لدى الإله ولا نجاة
فاعمل بذي وبتلك فيما ... قد أمرت تنل رضاه
ودع الرياء ولا تكن ... إلا بذكر الله لاه

وقال الشيخ أحمد محمد حيدر (١٨٨٨ - ١٩٧٥)[2]:

واستوبئي يا نفس هذا العيش، والعمر الوبي
وتجملي بالصالحات، وآثري شرع النبي

---

(١) الشيخ يعقوب الحسن أحد مشايخ الساحل السوري الأجلاء، ومن طليعة الأدباء. من آثاره كتاب تذكرة الحياة الروحية لم يزل مخطوطاً..

(٢) الشيخ أحمد محمد حيدر المعروف بالشيخ نسب، من كبار مشايخ الساحل وأبعدهم صيتاً وأغزرهم إنتاجاً صدرت له المؤلفات التالية: النغم القدسي ديوان شعر (١٩٧٢) - ما بعد القصر (لم يذكر تاريخ الطبع) ط ٢، ١٩٨٨ التكوين والتجلي (١٩٨٧) - الحيرات (١٩٩١).

من ضل عنه ، ضل عن سنن المآل الطيب
ما زلت في يهماء مظلمة الجوانب سبسب
ما فاز في الدارين إلا المخلص الطافي السريرة
كلا ولا غير الذي اتخذ الولا بهما ذخيرة

* التوسل :

التوسل بالله سبحانه وتعالى ، ورسوله الكريم ﷺ وآل بيته الأطهار ﷺ ظاهرة بارزة في الشعر الديني . وقد تفنن الشعراء كثيراً في شعر التوسل ، وهذا الفن كان من الفنون التي اهتم بها شعراء جبال اللاذقية .

ومن أجمل القصائد التوسلية ، قصيدة الشيخ محمد ياسين التي قال فيها :

سألتك يا من عن دواعي الفنا جلا ويا من لإرشاد الورى أرسل الرسلا
ويا داري الأكوان قدماً بأيده ويا كافياً من خلقه البعض والكلا
ويا مسبغ النعمى على الناس رحمة ومثقلهم طولاً وموسعهم عرضا
دعوتك لا اني أمت بصالح ولا انني فرضاً أقمت ولا نفلا
ولا أن لي ما أستعين به سوى محبة أهل البيت أعلى الورى نبلا
شموس الهدى الغر الألى من أحبهم وأخلص عن علم فقد فاز واستعلى
أئمتنا الأطهار بشرى لكل من بهديهم المولى له وصل الحبلا
هداة البرايا آل أحمد من بهم وطاب رجائي قد تأملت من تملا
أولي النسب العالي الألى بولائهم بحشري لميزاني غداً أرتجي الثقلا
محمد سبطاه علي محمد وجعفر موسى فالرضا ذكره جلا
محمد فالهادي على حسن محمد القائم فالمهدي من ينشر العدلا
إليك بهم ربي توسلت ضارعاً ودمعي خوف الذنب وجهي قد بلا
فكن لي ولإخوان يا رب سامعاً فإنك مولانا ويا حبذا المولى
بلطفك ما نرجوه من فضلك احبنا وانجز لنا الميعاد واجمع لنا الشملا

وصفٍّ نوايانا وقوِّ ضعيفنا ... وبالعز فابدل يا كريم لنا الذلا
وسقنا لما ترضاه واغفر ذنوبنا ... وبالكثر بدل يا رحيم لنا القلا
وبدد جيوش البؤس عنا وخصنا ... بعونك وامنحنا الفضيلة والمفضلا
وكفر خطايانا وأغن فقيرنا ... وأنجح مساعينا وحسن لنا الفعلا
وطهر من الأدناس لطفاً قلوبنا ... وللمجد فاجعلنا اله الورى أهلا
وبالعلم والإيمان فاشرح صدورنا ... ونوِّر لنا يا ذا العلى الذهن والعقلا
واتمم لنا يا خالق الخلق نورنا ... وسامح لمن منا على غرة . . . ذلا
وأصلح لنا الأحوال فضلاً واعطنا ... أجل العطايا والمآرب والسوء لا
وشد أيا مبدي الوجود محالنا ... بيوم به عدن سرائرنا تبلى
وحقق بك اللهم رب ظنوننا ... ودرّ علينا خيرك الوافر الجزلا
ولا تقصنا عن شرعة الحق واهدنا ... كما أنت مولانا طريقتك المثلا
وفي هذه الدنيا فسر خالقي بنا ... على الوجهة البيضاء والخطة الفضلى
وان نقض فانقلنا الجنتك التي ... جديد علاها لا يرث ولا يبلى
وسدد مرامينا ومن عفوك اسقنا ... شراباً من الماذي في طعمه أحلى

وقال الشيخ كامل حاتم في قصيدة له بعنوان «يا آل طه» :

يا آل طه ان قلبي فيكم ... متعلقاً يا آل طه قد غدا
عن حبكم يا أهل ودي لم أحل ... ولسوف أبقى الثابت المتشددا
بعميدكم خير البرية ضارع ... لله في الدارين أغدو مسعدا
وبصنوه الكرار والمولى الذي ... بحسامه غيم الضلال تبددا
ذاك المرجى في الصعاب ومن به ... أس الشريعة والرشاد توطدا
أرجو من الرحمن نصراً شاملاً ... لذوي الصلاح المخلصين على العدى
ووسيلتي يا رب بالحسن الذي ... فاق الأنام على ونيف سؤددا
وحسين ذياك الشهيد بكربلا ... غار الالى عادوا الحسين وانجدا
وبنجله زين العباد وزينة العباد يوح الكون نبراس الهدى
وبباقر العلم المعظم قدره ... من علمه للناس أضحى موردا
وتوسلي بالصادق الوعد الذي ... فاضت معاجزه خضماً مزبدا

أن تـأخـذن بي في طـريق الحق لا ... ألـوي على مـا يـرتمي وجـه الـردى
وتـشـل أركـان الـبـغـاة بسيـدي ... مـوسى الحليم وكن لعبدك مسعدا
وعليه صب سجال عفوك بالرضى ... ذاك العلي وعنـه اقصِ الحسـدا
وبسيـدي الجواد جـد ببلوغ مـا ... يـرمى إليه إليـك تـوجيـه النـدا
بعلي هـادي المهتـدين المـرتجى ... أثـلج وبـرد صـدره والمـرقـدا
وبسيـدي الحسن الأخير إمـامنـا ... ومـلا ذنـا ومعـاذنـا والمقتـدى
من قـد أقـام بسـرٍّ مـرا سـاطعـاً ... كـالشمس عرفـانـاً يـزيـد تـوقـدا
هبني الـرضا وامنن بـاسكاني لـدى ... رضـوان مـا بين الـريـاض مؤبـدا
واجعلني يـا مـولاي ممن قـد حبـوا ... سـدراً وفـاكهـة وطلحـاً منضَّـدا
مولاي بالمأمول مهـدي الخلق من ... سميتـه بـاسم الحبيب محمـدا
ذاك الـذي يغشى البسيطة عـدلـه ... غب انتشـار الجـور فيهـا والصدا
أفعم وطـابي غيـر جـودك لـم أرد ... ولغيـر بـابـك سيـدي لن أقصـدا

* المدائح النبوية :

مدح سيد المرسلين فن من فنون الشعر التي استحدثت في القرن السابع . وقد شارك شعـراء جبال اللاذقية في هـذا الفن وقدمـوا للأدب العربي مدائح نبويـة صادقـة في غايـة الروعـة ومنها قصيـدة «أرج النبوة» للشيخ محمود سليمـان الخطيب (١٩٠٧ ـ ١٩٧٨) ، وهي مطبوعـة في كراس صغير من (١١) صفحة ، ومنها هذه الأبيات :[١]

....
ياخير خلق الله يحـدوني الهوى ... فـأقـول شعـراً شـارداً وأجيـد

(١) الشيخ محمود سليمان الخطيب من شعراء الساحل المجيدين ، هـاجر فترة من الزمن إلى الارجنتين واصدر هناك كتابه (هـذه سبيلي) ، ومن آثاره المطبوعة أيضاً قصيدة «ارج النبوة» في كراس من ١٦ صفحة عام ١٣٨٩ /هـ ـ ١٩٦٩ /م رصـد ريعه لجامع الإمام جعفر الصادق في اللاذقية .

أنصيب أقلام الرجال بمدحها هدفاً فيجزى مقول وقصيد
وإذا يد القرآن تكتب مدحكم ماذا يقول شويعر مجهود
يا بيت وحي الله هل من آية الا وأنت برمزها المقصود
شرف الملائكة الكرام بأنهم لك ما تشاء صنائع وجنود

* * *

عفواً رسول الله حسبي أنني بك مستهام وإله معمود
ولقد يقرب بالحنين وبالهوى ما لا يقربه السرى والقود

* * *

....
صلى عليك الله يا خير الورى ما اشتاق مشتاق وحن عميد
صلى عليك الله يا نور الهدى ما طاب معطار وأورق عود
صلى عليك الله يا شمس الضحى ما طاب باسمك نغمة ونشيد
والآل والرسل الكرام وصحبك الخلصاء ما عرف الوجود وجود

ونشير في هذه المناسبة إلى أن الشاعر علي حمدان الرياحي (١٩٢٠ ـ ١٩٨٠) نشر في عام ١٩٧٨ ، ديواناً شعرياً بعنوان [الشعر الحلال في محمد والآل]ينطوي على مدح آل البيت عليهم السلام ، وهو أول ديوان شعر مطبوع في مدح آل البيت ، في الساحل السوري .

* الزهد والحكمة والوعظ والارشاد :

باعتبار أن غالبية رواد النهضة الأدبية من المشايخ ، فإن طابع شعرهم ومنهجه ، هو الزهد والحكمة والوعظ والإرشاد ، وفي الحث على الزهد والتنسك ، والتزود من الدنيا للآخرة بخير زاد وذلك بقصد الظفر والثواب ، والنجاة من العقاب قال الشيخ سليمان الأحمد :

سيأتي عليك اليوم لا ليل بعده أو الليلة الليلاء ليس لها صبح
فمن ربح التقوى وان خسر الدنى فإقتاره يسر وخسرانه ربح

وقال أيضاً :

كن صموتاً أومت بغيظك فالناس كما قد رأيت جيلاً فجيلا
غلب الجهل نير العلم والعقل جميعاً فصدقوا التدجيلا
وتراهم من قبل أن ينكروه ينكرون التوراة والانجيلا

وقال أيضاً :

ما كل ذي ثروة في الناس نغبطه بها يعيش سعيداً ناعم البال
قد يكتسي حلل الديباج جسم فتى وتحتها القلب في هم وبلبال

وقال أيضاً :

لا يفخرن أخو التنسك في التعبد والزهاده
أنا في اعتقادي كل فعل الواجبات من العباده
مثل الفقيه بدينه مستنبطاً بذل اجتهاده
شهم يسود قبيلة أدى بها حق السياده
وأمير جيش باذل .. دمه يصون به بلاده
ومعلم الأولاد يكثر في رقيهم اعتداده
وكذلك راعي السرب يدأب مخلصاً عنه ذياده
كل يوفى حسب منزله غداً أجر الإجاده
ومن السعادة أن تكون ملهماً طلب السعاده

وقال الشيخ أحمد سعيد (١٨٩١ ـ ١٩٥١)[١] :

إن كنت ترغب في قبول نصيحتي والنصح يقبله اللبيب فينفع

---

(١) الشيخ احمد سعيد اسبر والد الشاعر الكبير ادونيس ، شاعر مقل أغلب شعره في الحكم نشر بعضه في العرفان والمرشد العربي والأماني وغيرها . . .

لا تحسدن على تكاثر ماله | أحداً ولا تغتم فيما يجمع
ليس الحسود يضر إلا نفسه | وغليله بفؤاده لا ينقع
لكنها الدنيا ومن عاداتها | هذا يحط بها وآخر يرفع
لا تطمعن بها فتلك دنيئة | ومن الغرور المحض انك تطمع
والتف في برد القناعة صابراً | إن الغني برزقه من يقنع
كم معشر سكنوا القصور أنيقة | وتفكهوا بمعاشهم وتوسعوا
فإذا هم أجسامهم تحت الثرى | وإذا قصورهم الأنيقة بلقع

ومن أجمل ما قيل في النصائح ، قصيدة الشيخ علي حمدان عمران[1] المعنونة «الحكم الغوالي» ، وهي :

أحمد الله مالكي ومعيني | ذا المعالي رب الحطيم وزمزم
وثناء سام وروح سلام | من لدنه على النبي المعظم
يا أخي انتبه ، فإنا نزلنا | عند معناك والتماسك فانعم
خذ بنصحي الغالي فلست أغالي | فيه واعمل به ولا تتوهم
حيث وسعي وان أضق فيه ذرعاً | عن نصوص الهدى أفدك لتفهم
علّ تجني منه القطوف الدواني | ثم تسقى منه الرحيق المختم
حسن الخلق واتضع واتق الجبا | ر واخدم شريعة الحق تخدم
ما أتاك الرسول خذه وجانب ، | ما نهى عنه والشريعة فالزم

واجعل القلب منك برجاً لشمس الـدين دين الشرع الشريف المعظم

فالصلاة الزكاة فالصوم ثم | الحج للبيت فالجهاد المتمم
ما استطعت القيام حكماً أقمها | وابتعد عن محارم الله واحجم
إنما الدين عند بارئك الإسلا | م من لم يدن به سوف يندم
ارتضاه لنا المهيمن ديناً | وسواه من رام لا ريب يحرم
لا تقم من دناك ديناً لغي | مثل ما ضيك ان ماضيك مظلم

---

(١) الشيخ علي حمدان عمران من المشايخ الكبار والشعراء المجيدين ، كان قاضياً للشرع في صافيتا ثم في طرطوس ، نشر العديد من القصائد في صحف ومجلات الساحل .

إن شعب الفرقان فرق باسم الدين والدين سالم ليس يثلم

قسمتنا الاغراض رغم النواهي | لو نهينا عما نهى لم نقسم
أمر الله ان ننظم صفاً | لرضاه لِمَ لم نطع وننظم
كل قسم قد ظن ميراثه الإسلا | م والخلد ، والأخير جهنم
يا لظن بصرفه راح إثماً | وبقلب الإسلام جرحاً مسمم
أي عذر يوم الحساب لدينا | سوف يأتي فضيحنا وهو أبكم
كن محباً لآل يعرب كلاً | وحفياً مادمت في كل مسلم
وجه رأيي التزم ولذ بعماد الشر | ع واترك وجه العذول مجهم
غص ببحر العرفان وهو خضم | واجتن الدر منثراً ومنظم
واتعظ ثم عظ وزن بتروٍ | كل قول من قبل أن تتكلم
ان تكن عالماً خبيراً فعلم ، | لا تعلم من قبل أن تتعلم

يوم تبلى فيه السرائر والأنفس منها معذب ومنعم

ليس فخر الفتى برفد وبرد | أو بحدي مهند وملهزم
أو بعاد مسوم ، أو نضار | أو خميس يوم الهياج عرموم
ليس هذا من دافع بؤس يوم | قمطرير فيه الصروح تهدم
خير فخر بالصالحات ففيها | يدفع البؤس بالمعاد المحتم

يوم تبلى فيه السرائر والأنفس منها معذب ومنعم

خف مقام المولى ونفسك صنها | عن هواها واخدم لعلك تخدم
كن عطوفاً واخفض جناحك رفقاً | في حنان للأقربين وإن لم . . .
ثم صلهم اما جفوا أو تجافوا | ثم واصفح إن أخطأوا وتكرم
كن طبيباً وكن لكل سليم | مضّ من مجة الأراقم بلسم
لا تباد بالظلم خصمك يوماً | كل باد بالظلم لا شك أظلم
إن تنل ظفرة بخصمك فارفق | واشكر القادر المقدر وارحم
وإذا ما اعتراك غيظ فسبح | ثم كبر واكبر على الغيظ واكظم
من سما فوق ما يطيق تخنه | جانحاه من وهنه فيحطم
لا تكن قائداً وان زعموك القو | م يوماً فارفض ولا تتزعم

إن رأس الرئيس أكثر صدعاً   فإذا لم يمت من الصدع يؤلم
كل غصن سام وكان رطيباً   لم تنل ثمره الأكف فيرجم
إنما الوعظ والأحاديث شتى   وبكل الأحوال فالله . . . أعلم

ومن المواضيع الأخرى التي تناولها الشعراء في قصائدهم أيضاً :

* الغيرة على لغة القرآن ، والحض على تعلمها واتقانها .

* الحض على اكتساب العلم والمعرفة .

* نبذ كل ما يعمل على التفرقة ، والدعوة إلى المحبة والتآلف والتعاضد والتناصر .

* ترك التكاسل والحض على العمل .

وكانت هذه القضايا من أمراضنا الإجتماعية المزمنة ، التي يحتاج الشفاء منها إلى مداواة طويلة وصبر وأناة ، ووعي مسؤول .

وكان أدباء الساحل حملة لواء المسؤولية والنافخين في شرر الوعي لاذكاء ناره . ولم يتقاعسوا ، ولم يتهاونوا ، وهذه قصائدهم تدل عليهم .

تأسيس الجمعيات الجعفرية في الساحل
ودورها في إحياء المذهب الجعفري

سبق تأسيس الجمعيات الخيرية الإسلامية الجعفرية في مدن الساحل السوري اللاذقية ، جبلة ، بانياس ، طرطوس ، صافيتا ، تأسيس رابطة الشباب المسلم العلوي التي تشكلت باللاذقية في السابع والعشرين من شهر آذار ١٩٣٦ . وكانت أعلنت عن ظهورها ببيان وزعته على الصحف جاء فيه[1] :

«إلى الشعب المسلم العلوي الكريم .

السلام عليك ورحمة الله .

لنا الشرف أن نحيط الشعب الكريم علماً بأنه تشكل في مدينة اللاذقية بتاريخ ٢٧ آذار سنة ١٩٣٦ ، جماعة باسم (رابطة الشباب المسلم العلوي) يضم نخبة من الشباب المثقف من محامين وأطباء ومهندسين وحملة الشهادات العلمية الذين خدموا القضية الوطنية ويخدمونها بإخلاص وسيخدمونها إن شاء الله حتى آخر نسمة من حياتهم .

---

(١) جريدة الأيام العدد ١٠٦٥ تاريخ ٩ نيسان ١٩٣٦ .

وقد اتخذت الرابطة شعارها ودستورها في الحياة أن تتجرد عن الطائفيات والحزبيات الشخصية ، فيكفي ما لاقاه هذه الشعب ويلاقيه من عواقب التفرقة الوخيمة وسياسة الشخصيات البالية التي كادت تقضي على البقية الباقية من الأمل . وآن أن يرتفع صوت الشباب داوياً يعلن استنكاره لهذه العنعنات القديمة وأن يطويها في سجل الماضي المظلم .

فالرابطة تعاهد الله وتعاهدكم انها سوف تتجرد عن الأهواء والغايات ، وتعمل لخير الشعب والمصلحة العامة ، دأبها في الحياة أن تضع الشعب العلوي الكريم في المركز الذي يليق به بين الشعوب .

والرابطة في هذه المناسبة ، ترى أن من واجبها أن تبدي شكرها الصميم للشعب المسلم العلوي الكريم الذي دافع عن وحدته واستقلاله الحقيقي دفاع المستميت وبرهن في أحرج المواقف انه شعب نبيل لا ينام على الضيم ولا ينحني أمام القوة الطاغية .

كما انها تعرب عن أخلص عواطفها نحو إخواننا المسلمين السنيين وإخواننا المسيحيين الذين ساروا صفاً واحداً في سبيل الحق والحرية لا يرضون عن وحدتهم بديلاً .

وإن الرابطة الفتية لتستمد من إخلاص الشعب الكريم قوة تعتز بها في الجهاد ، ومن ثقتهم نوراً تستضيء به لتحمل في هذه البلاد مشعل الحرية والنور وترفع راية الجهاد والحق والإنسانية .

أمين سر الرابطة
أمين علي عباس
المحامي

وقد لعبت هذه الرابطة دوراً فعالاً في سياسة الساحل السوري خلال الفترة ما بين ١٩٣٦و ١٩٤٥ . ووقفت بشجاعة وصلابة ضد التيار

المتخاذل الذي يطالب بفصل الساحل عن سورية . وبيّنت في المذكرات السياسية التي رفعتها إلى المسؤولين الفرنسيين مساوىء الحكم الفرنسي في الساحل وانعكاسه على الأوضاع العامة .

وجاء في إحدى هذه المذكرات ما نصه[1] :

«نحن الموقعين أدناه أعضاء اللجنة الإدارية لرابطة الشباب المسلم العلوي نتشرف أن نرفع لمعاليكم ما يلي :

لما كانت أكثرية المسلمين العلويين الذين شملتهم اليقظة السورية العامة قد أعربوا عن طلبهم للوحدة السورية اللامركزية وبما أن رابطة الشباب تمثل هذه اليقظة بأجلى معانيها لذلك رأينا من واجبنا ومن حقنا أن ندلي اليكم بوجهة نظرنا في تقرير مصير العلويين وأن نحيطكم علماً بما يجري في بلادنا من الحركات الإنفصالية التي ترمي إلى تشويه الحقائق وعرقلة المفاوضات فنقول :

من المعلوم أن منطقة اللاذقية فصلت عن أُمها سورية بقرار من المفوض السامي بقصد حماية الأقليات العلوية وحفظ مصالحها مستنداً في ذلك إلى رغبات الأهالي ـ ومع أنَّ حصول هذه الرغبات أمر غير مسلم فيه نظراً لعدم إجراء استفتاء يعبر عن إرادة الأكثرية ، فإننا نعتبر التجزئة ، أمراً واقعاً لا يمكن تلافيه وندرسه بحسب النتيجة التي أعطاها والتي يمكن أن يعطيها في المستقبل وننقده من الوجهة القانونية الدولية بالإستناد لصك الإنتداب والتعهدات الدولية الإفرنسية .

غاية التجزئة . . .

لقد كانت الغاية من التجزئة حفظ مصالح العلويين وضمان

---

(1) نشرت هذه المذكرة بصورة كاملة في جريدة ألف باء الدمشقية بعددها الصادر بتاريخ ٨ نيسان ١٩٣٦ ونشرتها مرة ثانية جريدة الأيام بعددها رقم ١٠٦٧ تاريخ ١٢ نيسان ١٩٣٦ بعد أن حذفت منها الحوادث . وبدافع الإختصار اكتفينا بما نشرته جريدة الأيام وهو زبدة الموضوع .

حريتهم الدينية ورفعهم إلى مستوى سائر العناصر السورية لحصول الإندماج تدريجياً . ولكننا باختصار يمكننا أن نقول إن سبعة عشر عاماً من التجزئة لم يكن لها من نتيجة مباشرة سوى زج هذه المنطقة في بؤس شديد بسبب من ضخامة هذا الهيكل الحكومي وهذه الأبهة الفارغة التي لا تتناسب ومقدرة المكلفين ومن انصراف الحكومة المحلية إلى مشاريع الزينة وتبذير مال الأمة في طريق الكماليات وإهمالها المصالح الحيوية . فمن الوجهة الإقتصادية نرى الزراعة التي هي عماد البلاد قد أُهملت كثيراً وان المزارع قد كلفته الحكومة مالا يطيق ورأت فيه أداة للإستثمار المؤقت لها أن تستخرج منه ما يمكن استخراجه واعتصاره غير حاسبة حساباً للمستقبل فهذه الضرائب تبقى على حالها مدة عشر سنوات ١٩٢٥ ـ ١٩٣٥ . مع ان أسعار المحاصيل هبطت إلى الربع ورغم أنَّ جميع السهام قد سددت إلى قلب الفلاح فإن الحكومة إلى الآن لم تفكر جدياً في اختصار الهيكل الحكومي لأنه يجب أن يقال إن هنالك حكومة في منطقة للاذقية .

ومن الناحية العلمـ ، فإن الحكومة بعد أن خطت خطوة في هذا السبيل تراجعت خطوات واغلقت المدارس الزراعية والثانوية بحجة الفقر ولكن كيف يمكننا أن نرضى عن استقلال بلاد لا يمكنها تأمين نفقات المدارس .

ومن الوجهة الدينية فإن العلويين الذين رغّبوهم بالإنفصال لحمايتهم الدينية قد رأوا أنفسهم أمام ما يهدد كيانهم الديني ونعني «التبشير الجزويتي» وقد كان انفصالهم الذي سبب لهم الفقر أداة لاهتضام هذه الحرية الدينية لأن التبشير القائم في الجبال مبني على أساس الإغراء بالمال وعلى هذا فقد فشلت تجربة التجزئة عملياً لأنها بدلاً من أن تضمن لهم مصالحهم وتحفظ حريتهم الدينية ، فقد كانت أداة ماضية لضياع هذه المصالح واهتضام هذه الحرية .

الناحية القانونية الدولية :

إن مبدأ حماية الأقليات ، هو مبدأ قديم تعرضت له معاهدات كثيرة قبل الحرب ولم يتعرض له صك الجامعة إلا في المادة ٢٣ الملحقة الخاصة بالإنتداب - وقد نوهت بهذا المبدأ كثير من المعاهدات المعقودة بين جامعة الأمم والدول الحديثة(ليتونيا ، استونيا) وذكرت المبادىء التي تجب مراعاتها لحفظ حقوق الأقليات من تساو في الحقوق والواجبات العامة ، وإعطاء الأقليات الحق في فتح المدارس وتعطيل الأعياد وممارسة الطقوس الدينية وغير ذلك من الحقوق الضرورية لتأمين الحرية الفكرية والمذهبية . ولكننا لم نر دولة من دول العالم تسمح لأقلية بإجراء انفصال دائم ، أو مؤقت بحجة تأمين المصالح ولا تخلو الآن دولة من الدول من احتواء اقليات مذهبية أو عنصرية أو لغوية ولكن أقلية من هذه الأقليات لم تفكر يوماً بأن تطالب بالإنفصال وإن الجامعة لم تقر هذا المبدأ لأن إقراره يفتح باباً لا يغلق من الإعتراضات لكل أقلية لتطالب بالحكم الذاتي وفي هذا منتهى الفوضى والتشويش .

وعلى ذلك فإن اقرار فصل حكومة اللاذقية ليس معقولاً ولا مشروعاً إذا كان يقصد منه حماية الأقلية العلوية - إذا سلّمنا ان العلويين أقلية - وتعهدات فرنسا الدولية لا ترغمها على إقرار التجزئة ولو طالب بعض أفراد العلويين بذلك لأن أمر الإنفصال كان حركة فردية من الجانب الافرنسي ولا ينص عليها صك الإنتداب . وينتج أنَّ قضية الوحدة هي قضية بين فرنسا وسورية . وأما مصالح الأقليات فيمكن تأمينها من غير طريق التجزئة التي تضعف إقتصاديات البلاد وتقتل حيويتها .

وإذا فرضنا أن منطقة اللاذقية باقية على استقلالها فإن مسألة الأقليات تبقى بدون حل لأن هناك مائة ألف علوي في سورية الداخلية وفي رأينا أنه إذا كان يوجد خطر فإن هذا الخطر يهدد في الدرجة الأولى

تلك الأقلية الضئيلة الموزعة في الداخل قبل أن يهدد الأكثرية العلوية في منطقة اللاذقية . وبذلك يكون نظام التجزئة قد أعلن فشله وإفلاسه من الناحية النظرية والعملية ومن القضايا المسلم بها تاريخياً أنَّ العهود المؤقتة كانت دائماً من عوامل القلق والفوضى الإجتماعية وقد شعرت البلاد السورية شعوراً عميقاً بحاجتها لاستقرار تلتفت فيه إلى اقتصادياتها المنهوكة .

وإن الشباب المسلم العلوي مشبعاً بهذه الروح ومقتنعاً بهذه النظريات ومدفوعاً بعامل حبه لوطنه أولاً ولطائفته ثانياً ، أقدم في مؤتمر طرطوس[1] على طلب الوحدة السورية اللامركزية وقد صرح فخامة المفوض السامي بعد ذلك أنَّ الجانب الإفرنسي ليس له أية مصلحة في تجزئة البلاد ، ولذلك كنا ننتظر حياداً تاماً من الحكومة المحلية ومع الأسف فإن عكس ذلك تماماً جرى ويجري حتى الآن .

«الأيام» - وهنا عدد لبيان الحوادث التي قام بها دعاة الإنفصال مما نكتفي بالإشارة إليه، وقالوا في ختامه[2] :

فشباب الرابطة يتوجهون لمعاليكم بأن تتوسطوا لدى وزارة الخارجية لتضع حداً لهذه الأعمال التي ليست من مصلحة فرنسا ولا سوريا ، كما انها تغتنم هذه الفرصة لتجدد الثقة بوفدكم الأمين .

---

(١) انعقد المؤتمر في منزل النائب محمود عبد الرزاق في ٢٥ كانون الثاني ١٩٣٩ وبنتيجة الإجتماع رفع المؤتمرون إلى المسؤولين الفرنسيين المذكرة وتتضمن المطالب التالية : .

١ - إن محافظة اللاذقية جزء لا يتجزأ من سوريا العربية .

٢ - إن جميع سكان هذه المحافظة يؤيدون المعاهدة المنعقدة سنة ١٩٣٦بين الوفد السوري والحكومة الفرنسية باعتبارها الحد الأدنى لما تقبل به البلاد السورية .

٣ - إننا نؤيد مقررات المجلس النيابي السوري المتخذة في جلسة ٣١ كانون أول ١٩٣٨ .

(٢) جريدة الأيام العدد ١٠٦٧ تاريخ ١٢ نيسان ١٩٣٦ .

وتفضلوا يا صاحب المعالي بقبول فائق احتراماتنا .

التواقيع ـ اللجنة الإدارية

شوكت العباس ، عثمان حسن اسبر ، محسن علي العباس ، أحمد علي كامل ، عبد الله العبد الله ، أحمد الخير ، سليمان الخير ، عزيز محمد حسن ، أحمد عزيز إسماعيل ، جميل أسعد عثمان ،محي الدين كامل ، عثمان زيدان .

وتأثراً بوضع البلاد السياسي والحساس ، كانت جهود الرابطة ، وكذلك أبناء الساحل بكل فئاته ، مسخرة لقضيتي الوطن الأساسيتين : الوحدة والإستقلال .

وكان النشاط محصوراً ضمن دائرة هذين المطلبين ، ولا مطلب للمجميع سواهما .

ولما نالت البلاد استقلالها في السابع عشر من نيسان عام ١٩٤٦ ، إتجهت الطاقات كلها إلى إعادة البناء ، وترميم ما يجب ترميمه . . . . .

وما كادت البلاد تعرف شيئاً من الإستقرار ، حتى فاجأها الزعيم حسني الزعيم بانقلابه الذي أطاح بحكم الكتلة الوطنية في الثلاثين من آذار سنة ١٩٤٩ . وجمع بيده السلطتين التشريعية والتنفيذية وجعل إصدار المراسيم اعتباراً من تاريخ الإنقلاب عن القيادة العامة للجيش السوري التي يترأسها . دام حكم الزعيم حسني الزعيم أربعة أشهر وأربعة عشر يوماً ، ثم أطاح به القائد العام للجيش والقوات المسلحة الزعيم محمد سامي حلمي الحناوي بتاريخ ١٤ آب ١٩٤٩ ، وتولى المجلس الحربي الأعلى الذي شكله الحناوي كافة الصلاحيات التشريعية والتنفيذية ، وكذلك سلطة إصدار المراسيم التشريعية والتنظيمية ، ريثما تتألف الحكومة الدستورية .

في عهد الإنقلاب الثاني ، تأسست الجمعية الخيرية الإسلامية الجعفرية باللاذقية ، في أواخر شهر نيسان ١٩٥١[1] .

وكانت جريدة صدى الإتحاد أول من أعلن عن تأسيسها بالكلمة التالية :

الجمعية الخيرية الاسلامية الجعفرية :

«الأعضاء المؤقتون لهذه الجمعية :

الشيخ عبد الخير (القرداحة) الشيخ محمد حامد (صافيتا) الشيخ عبد اللطيف إبراهيم (صافيتا) الشيخ حسن سعود (جبلة) الشيخ يونس حمدان (بانياس) الشيخ حيدر محمد (جبلة) الشيخ أسعد حسن الحارة (الحفة) الشيخ محمود سليمان الخطيب (جبلة) الشيخ رجب سعيد (الشير) الشيخ يونس علي الجبيلية (جبلة) الشيخ كامل حاتم (البهلولية) الشيخ أحمد حسن (البهلولية) .

كلف الأستاذ عبد الرحمن الخير بأمانة السر ، والوجيه السيد محمد رشيد سليمان بأمانة الصندوق ، أجمع الحاضرون على اسناد رئاستها حالياً إلى سيادة الشريف عبد الله اعترافاً بفضله في جمع كلمة الطوائف الإسلامية ، وتقديراً لجهوده في ميدان الإصلاح الديني والاخاء المحمدي .

ترمي : النهوض بالأمور الروحية والسمو بالمرافق الدينية الإسلامية للطائفة العلوية وإشادة المعابد في القرى والأرياف ونشر المبادىء الإسلامية في الجهات الجبلية»[2] .

لكن شهر الجمعية ، لتتمتع بالصفة الرسمية ، تأخر بعض الوقت ، ولعل الظرف السياسي المتأزم الذي كانت البلاد تمر به لعب

(١) وثيقة خطية من ارشيفنا .

(٢) جريدة صدى الإتحاد ـ العدد ٣٢٩ تاريخ ٢ آيار ١٩٥١ .

دوراً في ذلك . لأن الحكومة التي أتى بها الإنقلاب الثاني ، لم تعش طويلاً . قضى عليها البلاغ رقم/١/ الصادر عن رئيس الأركان العامة العقيد أديب الشيشكلي بتاريخ ٢٩ تشرين الثاني ١٩٥١ ،ونصه :

«تحيط رئاسة الأركان العامة الشعب السوري الكريم علماً أنَّ الجيش قد استلم زمام الأمن في البلاد وترجو أن يخلد الجميع إلى الهدوء والسكينة وتسهيل مهمة الجيش ومتابعة أعمالهم دون قلق أو اضطراب كما وتنذر من تسول له نفسه الإخلال بالأمن بأشد الإجراءات» .

وكان هذا البلاغ إعلاناً بأن انقلاباً جديداً قد وقع ، وتولى الزعيم فوزي سلو السلطتين التشريعية والتنفيذية ، ومارس بموجب الأمر العسكري رقم/٢/ الصادر بتاريخ ١٩٥١/١٢/٣ ، سلطات واختصاصات رئيس الدولة .

وكان من جملة المراسيم التشريعية التي أصدرتها حكومة الإنقلاب الثالث ، المرسوم التشريعي رقم/٣/ الصادر بتاريخ ١٢/٣٠ ١٩٥١ ، بخصوص تنظيم لباس رجال الدين المسلمين .

وقد نص هذا المرسوم على ما يلي :

مادة (١) :

يحدد شكل الكسوة لرجال الدين من المسلمين بقرار من رئيس مجلس الوزراء بناء على اقتراح اللجنة المنصوص عليها في المادة الثانية من هذا المرسوم التشريعي .

مادة (٢) :

تؤلف لجنة مركزية عليا في مدينة دمشق قوامها المفتي العام رئيساً ، القاضي الممتاز ومدير الأوقاف العام واثنان من كبار رجال الدين ينتخبهما مجلس الوزراء، بناء على اقتراح المفتي العام أعضاء .

مادة (٣) :

تؤلف في كل محافظة لجنة فرعية قوامها :

القاضي الشرعي . رئيساً .

مفتي المحافظة أو أمين الفتوى ، ومدير أوقاف المحافظة أو رئيس الأوقاف عضوين ويقوم مقام مفتي المحافظة مفتي القضاء عندما يتعلق البحث في قضائه .

ويقوم مقام مفتي المحافظة مفتي القضاء عندما يتعلق البحث في قضائه .

مهمتها فحص حالة المتزيين بالكسوة الدينية والذين يرغبون ارتداء هذه الكسوة وإقرار من يحق له الإحتفاظ بها ومنع من تتحقق اللجنة انه دخيل على سلك رجال الدين من ارتدائها .

مادة (٤) :

يحق لصاحب العلاقة والنيابة العامة استئناف قرارات هذه اللجان في ميعاد خمسة عشر يوماً من تاريخ التبليغ إلى اللجنة المركزية العليا التي تكون قراراتها مبرمة .

مادة (٥) :

يخول الذين يشغلون مناصب الإفتاء وأمانة الفتوى ورئاسة ديوانها والقضاء الشرعي والخطابة والإمامة والتدريس الديني وأساتذة العلوم الشرعية في المدارس الدينية حق ارتداء الكسوة الدينية الرسمية .

مادة (٦) :

إعتباراً من تاريخ نشر هذا المرسوم التشريعي يحصر حق ارتداء الكسوة الدينية بالأشخاص المذكورين فيما يلي :

أ ـ الأشخاص المنوه بهم في المادة الخامسة .

ب ـ حاملي شهادات إحدى الكليات الشرعية المعترف بها في سورية أو في سواها من الأقطار الإسلامية والذين يرتدون حالياً الكسوة الدينية إذا أقرت لهم اللجان المختصة هذا الحق .

مادة (٧) :

تعطى وثيقة الأهلية لارتداء الكسوة الدينية من قبل المفتي العام بناء على قرار من اللجان المختصة ويمنع جميع الأفراد الذين لا يحملون هذه الوثيقة من الإكتساء بها .

مادة (٨) :

يحق للجنة الفرعية إسترداد الوثيقة ممن لا يحافظ على شرف الكسوة ومكانتها بسوء سلوكه الأخلاقي بناء على اقتراح النيابة العامة في المنطقة أو من تلقاء نفسها .

وعاقب المرسوم التشريعي كل مخالف لأحكامه بالحبس من ستة أشهر على الأكثر أو بغرامة لا تزيد على مائة ليرة .

أثار هذا المرسوم قلق رجال الشيعة وعلمائهم في الساحل الذين خشوا أن يمنعوا من ارتداء كسائهم الديني الخاص بهم ، فيما لو قامت لجنة من خارج علماء المذهب الجعفري بفحص كفاءاتهم ، نظراً للخلافات الجوهرية القائمة ما بين المذهبين السني والشيعي ، لذلك ، طالبوا بأن تقوم لجنة خاصة مشكلة من علماء المذهب الجعفري بفحص كفاءة المتزيين بالكسوة الدينية، والذين يرغبون في ارتداء هذه الكسوة .

واستجابت الحكومة لطلبهم ، وأصدرت بتاريخ ١٥ حزيران ١٩٥٢ ، المرسوم التشريعي رقم/٣/ المتضمن :

«تؤلف لجنة خاصة للجعفريين من علمائهم في مركز محافظة اللاذقية قوامها ثلاثة أشخاص من العلماء الجعفريين ويضاف إليهم شخص واحد عن كل قضاء عندما يتعلق البحث في قضائه ، ويسمى أعضاء هذه اللجنة بقرار من المفتي العام من العلماء الأكفاء مهمتها فحص حالة المتزيني بالكسوة الدينية على المذهب الجعفري والذين يرغبون في ارتداء هذه الكسوة وإقرار من يحق له الإحتفاظ بها ومنع من تتحقق اللجنة انه دخيل على سلك رجال الدين من ارتدائها» .

وبـالإستناد إلى هـذا المرسـوم ، أصدر المفتي العـام للجمهوريـة السورية القرار رقم /٨/ ، تاريخ ١٧ شوال ١٣٧١ ، وتموز ١٩٥٢ ونص على «تـأليف لجنة فـرعية في مـركز محـافظة الـلاذقية من السـادة حضرة صـاحب السيـادة الشـريف عبـد الله : رئيسـاً ، الشيخ علي حلوم مفتي قضاء اللاذقية عضواً ، الشيخ عيد ديب الخير عضواً .

يشترك مع هذه اللجنة الفرعية المذكورة عضو واحد ليمثـل القضاء المذكور حذاء اسمه كل من السادة : كـامل حـاتم عن قضاء الـلاذقية ، عبد الله عابدين عن قضاء الحفة ، حيدر محمد أحمد عن قضـاء جبلة ، يـونس ياسين سـلامة عن قضاء بانيـاس ، عبد الهـادي حيدر عن قضـاء مصياف ، محمود سليمـان الخطيب عن قضـاء طرطـوس ، عبد اللطيف إبراهيم عن قضاء صافيتا ، علي صالح حسن عن قضاء تلكخ .

مهمـة هذه اللجنـة فحص كفاءة المتـزيين بالكسـوة الـدينيـة على المـذهب الجعفري والـذين يرغبـون في ارتداء هـذه الكسوة وإقـرار من يحق له الإحتفاظ بها ومنع من تتحقق اللجنة أنه دخيـل على سلك رجال الدين من ارتدائها» .

وكان المرسوم التشريعي رقم /٣/ أول اعتراف رسمي بمذهب آل البيت في سورية .

وجـاء هذا الإعتـراف متأخـراً ٢٥ سنـة عن الإعتـراف بـالمـذهب الجعفري في لبنان[١] .

وكلمـة حق تقال : إن هـذا المرسـوم كـان نقـطة انـطلاق لإحيـاء المذهب الجعفري وبعثه في الساحل السوري .

---

(١) تم الإعتراف بالمذهب الجعفري في لبنان بالقرار رقم ٣٥٠٣ الصادر بتاريخ ٢٧ كانون الثـاني ١٩٢٦ راجع المجلة القضـائيـة ـ يـوسف صـادر ـ السنـة السـادسـة ـ العدد ٢ شباط ١٩٢٦ ، ص ٥١ .

وقد أعقب صدور هذا المرسوم ، مباشرة ، صدور دراستين موجزتين تدوران حول أصول الدين وفروعه على مقتضى المذهب الجعفري ، الأولى بعنوان [الموجز المبين في معرفة أصول وفروع الدين على مقتضى الفقه الجعفري] ، للشيخ كامل حاتم ، من /٣١/ صفحة من القطع الوسط ، وجاءت هذه الدراسة على طريقة السؤال والجواب .

والثانية بعنوان [المختصر الجامع في أصول الدين وفروعه] ولهذه الدراسة عنوان آخر هو [المختصر الجامع في الفقه الجعفري] تأليف الشيخين عبد اللطيف الخير ومحمود صالح ، من /٧٨/ صفحة من القطع الوسط .

وكانت الغاية الرئيسة من صدور هاتين الدراستين، في ذلك الوقت بالذات ، مساعدة بعض ممن يودون التزيّن بالكسوة الدينية في اجتياز فحص الكفاءة ، عن طريق وضع دراسة موجزة سهلة ، بين أيديهم .

لكن الجمعية التي أعلن عن تأسيسها في أواخر نيسان ١٩٥١ ، لم تتمتع بالصفة الرسمية إلا بتاريخ ١٩٦٢/٤/٢٧ ، وهو تاريخ شهرها[1] ، وهذا التأخير يدل على الصعوبات الكثيرة التي وقفت في وجه الجمعية .

لكنها خلال هذه الفترة كانت تمارس نشاطاً ملحوظاً . وكانت في كل مناسبة تمر ، تذيع على الملأ بياناً يعرف بأعمالها ، من ذلك البيان الذي أذاعته بمناسبة انقضاء شهر رمضان المبارك من عام ١٣٧٢/هـ ، ١٩٥٣/م . ونصه :

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم :

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله الأطهار وأصحابه الأبرار .

(١) رقم شهرها ٤٢٩ تاريخ ٢٧ نيسان ١٩٦٢ .

﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ . أيها المؤمن الصابر ، أيها المؤمن المستظهر بتقواه على شهواته ، وبسهاده على رقاده وبإيمانه على سلطان الدنيا ونعمتها الزائلة طال انتظارك إلى معشوقك وحبيب روحانيتك حبيب كل نفس مؤمنة . شهر الله المبارك الذي أُنزل فيه القرآن وأشرق فيه الهدى والبينات ، وانمحت فيه ظلمات الغفلة عن قلوب المؤمنين .

صمت أحد عشر شهراً عن لقاء وردك الروي وظمئت إلى غديره العذب ومعينه الصافي ، وها هو يحييك بهلاله المنير وجلاله الخطير ، فافطر بصيامه وازدد من بركاته وانعامه .

أيها المؤمنون : إن الله سبحانه فرض عليك حدوداً خمسة : الصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والجهاد ، فإذا لم تدع الحاجة إلى الجهاد المباشر قام مقامه الجهاد المعنوي وكمل الحد الخامس بالأربعة ، وجاهد المؤمن وهو قائم ، وقاعد ، وراكع ، وساجد .

أيها المؤمن إن الجمعية الخيرية الإسلامية الجعفرية تقدم لك تهانيها على صبرك الجبار في صيام الهواجر وقيام الدياجر . وإنها لتحس من أعماق نفسها بلذة روحية عندما تراك . وأنت هي وهي أنت تلبي داعي الله وتقتطف من ثمار تلك الليالي القدسية طاعة الله . ساهد الطرف ، خاشع القلب ، باكي العين ، داعياً ربك عقيب صلاتك المرفوعة ، ومناجاتك المتصلة بالروح الأعلى . لك ولإخوانك المسلمين ، الذين شاركوك في جهادك ، وشعروا شعورك ، الذين لا يقبل الله إيمان عبد إلا بحبهم وبرهم والإخلاص لهم رعاك الله ورعاهم . أتظن أيها المؤمن المخلص ، في عملك أن الجوع ، والظمأ ، والعبادة ، والسهر ، كفيلة وحدها بنجاتك كلا ، إن هناك شيء آخر . إن هنالك عمل عظيم أوله النية وأركانه الإخلاص ، والوفاء ، والصدق ، والولاء لكل مسلم وبره وتأليف شتاته ، بل بر الناس جميعاً لما في ذلك من شمول الحديث الشريف (الناس عيال الله واحبهم إليه أنفعهم لعياله) وفي رواية أبرّهم .

فانظر أيها المؤمن إلى ما يترتب عليك نحو ربك ، ودينك ، وإخوانك .

إن الجمعية حرسها الله تعالى تقدم لك الهناء والبشرى مزدوجين الهناء بلذائك الروحية والبشرى بنشاط جمعيتك وما تقوم به من أعمال نبيلة ، لقد باشرت بحول الله تعالى وقوته بالسعي الحثيث بالعمل على إنشاء جامع ومدرسة ثانوية على الرمل في اللاذقية ، وجامع في طرطوس ، وآخر في بانياس وجامع ومسجد اتم في القرداحة ، وكذلك في بيت ياشوط . كما وأنها عهدت إلى العضو العامل الشيخ الفاضل أحمد يوسف عيد ببناء مسجد في السخابة . وبني مسجد في المعيصرة وآخر في العنازة وآخر في أبو قبيس ، إلى كثير مما تقوم به الجمعية على يد أعضائها الأفاضل فقد رأيت وسترى من هذه الأعمال النبيلة المنتشرة في هذه الربوع ما قد أصبح العيان فيها أبلغ من السمع ، والواقع أفصح بياناً من الأوهام .

﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن إثم﴾ .

والدعاوى ما لم يقيموا عليها بينات ابناؤها ادعياء

وإن جمعيتك هذه والحمد لله برهنت في مدة قصيرة عن أعمال جلى من سعيها المتواصل في جمع الكلمة وتأليف القلوب بين أبناء هذا الوطن العزيز الذين تظلهم سماء واحدة وتقلهم أرض واحدة ويشملهم نظام ديمقراطي واحد ، وهنا لا بد لنا من أن نقدم في ملء عواطفنا شكرنا وامتناننا لحكومتنا الرشيدة على موقفها النبيل الحكيم الذي سهلت لنا به السبيل لبلوغ الهدف الأسمى الذي نقصده ويقصده كل مخلص محب لأمته وملته ، من الإصلاح العام .

وإن الجمعية تسألك أن تقدم لها جهودك النافعة ، ودعواتك الصالحة كما تقدمها لكل مسلم من إخوانك . أثناء تهجدك وقيامك ، وإفطارك وصيامك ، أثناء الصلاة على محمد وآله ﷺ . وفقنا الله

وإياك والمسلمين أجمعين .

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ .

اللاذقية في ٢٧ شعبان المكرم سنة ١٣٧٢ الموافق ٥٣/٥/١١ .

رئيس الجمعية

وعلى صعيد آخر ، وقفت الجمعية بالمرصاد لكل ناعق وناعب من كتاب السوء دعاة التفرقة والفتنة وإثارة النعرات الطائفية . . فجاهدتهم جهاداً شديداً ، وكتبت إلى المسؤولين محذرة من دسائسهم ونواياهم الخبيثة . من ذلك كتابها المؤرّخ في ١٣٧٩/١٠/٢٠ و١٩٦٠/٤/١٦ الذي وجهه الشريف عبد الله رئيس الجمعية إلى السيد محافظ اللاذقية وجاء فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

عطوفة محافظ اللاذقية الأفخم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ، لقد تكررت الكتابات المغرضة المؤذية بحق طائفة مخلصة لهذا الوطن العربي الا وهي العلويون الجعفريون وحيث ان التعرض لنواحٍ طائفية لا يخدم إلا مصلحة الإستعمار جئت بكتابي هذا لافتاً نظركم الثاقب إلى ما ينجم عن إثارة النعرات الطائفية من عواقب وخيمة تفرح الإستعمار وأذنابه وعيونه التي تستخدم هكذا وسائل للنيل من وحدة هذه الأمة المتماسكة ويقيني أنها لدوافع استعمارية بغيضة حدت بقبضة من الكتاب لإثارة هذه المواضيع التي عفا عليها الزمان ، ويسرني يا صاحب العطوفة أن أذكر لكم هنا أنني منذ نصف قرن وأنا أُعالج موضوع وحدة الصف الإسلامي وغيره من الوظائف وخصوصاً مسألة العلويين الجعفريين حتى وفقنا إلى إظهار عملنا هذا بشكل الجمعية الخيرية الإسلامية الجعفرية التي تضم

نخبة خيرة من ثقات علماء الجبل العلوي هدفنا الأول والأخير هو التقريب بين المذاهب الإسلامية وغيرها من الطوائف الأخرى ، وها إن عملنا هذا بدأ يعطي ثمراته في بعض أنحاء المحافظة .

وبينما نحن في عملنا الإصلاحي هذا وإذا بالاستاذ المجذوب يطلع علينا بمقالته في مجلة التمدن الإسلامي بتعرضه لأعظم شخصية إسلامية بعد الرسول الأعظم ﷺ الا وهو الإمام علي ؏ ، وقد أحطناكم علماً به بحينه فبادرتم مشكورين للإهتمام بالأمر . وبعد فترة قريبة طلعت علينا مجلة الأزهر بمقال عن العلويين بإمضاء السيد حسن عمر يهاجم بها العلويين ويخرجهم من حظيرة الإسلام ، وكذلك الشيخ عبد اللطيف المشتهري الذي نسب لنفسه هدي خمسة آلاف من العلويين إلى حظيرة الإسلام كأنهم ليسوا من الإسلام في شيء إلا بعد تشريفه لهذه المحافظة مما أثار سخط الكثيرين حتى انبرى للرد عليه وعلى من سبقه من الكتاب علماء الجبل فحلنا دون ذلك بناء على ما أخذنا على أنفسنا من عدم إثارة المواضيع الطائفية التي لا تخدم إلا مصالح الإستعمار وكانت ثالثة الأثافي في ما كتبه محمد عبد الله عنان بالحرف الواحد :

«ـ النصيرية المشار إليهم هنا وفي رسائل الدعاة ، هم طائفة من الباطنية ما تزال منها اليوم بقية في اللاذقية وطرابلس وحماه ودمشق ، وهم كالدروز يتظاهرون بالإسلام ، ويعتقدون في الوهية علي بن أبي طالب ، وينقسمون كالدروز إلى عقلاء وجهال ، ويعقدون مثلهم اجتماعاتهم الدينية السرية في الخلوات ، والمعروف أنهم يبيحون عشرة المحارم من البنات والأخوات ونساء بعضهم بعضاً ، وعندهم أن المرأة لا يكمل إيمانها إلا بإباحة نفسها لأخيها المؤمن بيد أنها لا تبيح نفسها للأجنبي ، وهم يعتبرون المرأة كالحيوان مجردة عن النفس ، والظاهر أنهم يرجعون في الأصل إلى نفس الدعوة السرية ، التي اشتق منها مذهب الدروز ، ويعتنقون معظم مبادىء الإباحية التي تنسب إليهم» .

ومن هذا يتبين لكم الغايات والاغراض الدنيئة التي يقصد منها عرقلة سير الوحدة والتماسك الذي ينشده المخلصون الغيارى لهذه الأمة العربية التي لا يمكن لها التقدم والإزدهار إلا بوحدتها في مختلف شؤونها .

ويهمنا يا صاحب العطوفة أن تضرب الحكومة الرشيدة بيد من حديد على مثيري الفتنة كتاب السوء ليكونوا عبرة وعظة لكل من تحدثه نفسه بالإساءة لهذه الوحدة[1] .

وختاماً تفضلوا بقبول الإحترام . .

ولم تقف نشاطات الجمعية ضمن نطاق الساحل السوري ، وسورية فحسب ، وإنما قامت باتصالات مع الجمعيات والمحافل والهيئات الدينية الشيعية في سائر أنحاء العالم العربي ، وعقدت أيضاً المؤتمرات .

وكانت أبرز صلاتها مع المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى بلبنان . الذي رحب بظهور الجمعية الفتية وبارك لها خطواتها ونشاطها ، وهذا ما تدلنا عليه رسالة الإمام موسى الصدر رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى بلبنان التي أرسلها إلى رئيس وأعضاء الجمعية الجعفرية باللاذقية ونصها[2] :

بسم الله الرحمن الرحيم

عطوفة الأمير الجليل الشريف عبد الله الفضل أعزه الله .

أصحاب السيادة العلماء الأجلاء رجال الحق والدين والجهاد دامت بركاتهم .

---

(١) من رسالة خطية نحتفظ بها في ارشيفنا .
(٢) من رسالة خطية نحتفظ بها في ارشيفنا .

أيها الأخوة الأعزاء أعضاء المؤتمر الكرام .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

تحية الإسلام الطيبة مشفوعة بالأشواق والتمنيات الداعية للنجاح ولتسديد الخطى مقرونة بالإعتذار من الحضور لالتزامات سابقة خارج البلاد .

وبعد : فإن الليل المدلهم الذي غشي هذه الأمة والأخطار المحدقة بها من كل جانب بل ومن الداخل ومن البيوت والنفوس والعقول التي تعرض بعضها للغزو الإستعماري الكافر وبعضها لنزع الشيطان ، أعاذنا الله منهما .

إن هذا الليل المظلم وتلك الأخطار تهيب بنا أن نجند كافة طاقات هذه الأمة أفراداً وجماعات وإن ندخل ميدان السباق والتحدي فنستميت في سبيل البقاء وأن نستعمل في هذه المعركة المصيرية أفضل أرصدتنا وأقوى قيمنا .

وانطلاقاً من هذا الواقع يشعر علماء المسلمين الذي يستقون من معين آل بيت الرسول عليه وعليهم الصلاة والسلام ، أنّ الواجب العيني المحترم أن يخرجوا من زوايا الإنعزال ، ويتخطوا حواجز الفرقة والخلافات ليدخلوا الميدان ، ميدان الخدمة والقيادة الفكرية .

ان المطلوب من هؤلاء العلماء الذين اتخذوا من الأئمة المعصومين قادة ومن سيرتهم مذهباً وجعلوا ولايتهم والتمسك بهم معراجاً ومنهاجاً ، ان المطلوب منهم أن يذوبوا في سبيل عرض المذهب وإيضاح أبعاده وتجسيد قيمه في حياتهم حتى يعرضوا تجربتهم الإسلامية الرائدة على الأمة وعلى العالم فلاغرو إذاً في اجتماعكم الكريم في سبيل التشاور والحوار وتوحيد المواقف وآراء والأفكار والفتاوى وتقديمها للأمة الحائرة التي تعيش في الآفاق القريبة والبعيدة عن النور وعن العروة الوثقى التي لا انفصام لها .

ولا عجب إذا نجد المحاولات الصادقة السريعة لاغتنام الفرصة التي تمر على الإنسان مرور السحاب . من هذا المنطلق وفي هذا الالق فإني كأخ لكم في الله وفي دين الله وفي مذهب آل بيت رسول الله أبعث إليكم بتحياتي وبتحيات مئات الألوف من إخوانكم في لبنان بل بأدعية عشرات الملايين منهم في أقطار الأرض .

أحييكم باسم هؤلاء الصابرين المحسنين الذين أبلاهم الله خلال قرون بلاءاً حسناً فخرجوا من المحن والفتن رافعي الرؤوس .

أحييكم شركاء في الآلام والمحن وفي الآمال وصدق العزيمة وفي مسؤوليات القيادة مؤكداً أن هذه البادرة بادرة الإجتماع هي الحاجة وهي قصد السبيل .

أحييكم واضعاً طاقات المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان إلى جانبكم بصدق وإخلاص ، دون توفير أو انحياز المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى ، المؤسسة التي حققت لأول مرة في تاريخنا حلماً كان يراود السابقين الأولين ، والتي تجسد أيضاً جهداً ونضالاً شاقين لا مثيل لهما في المؤسسات المشابهة .

سادتي الأعزاء ، إخواني الأكارم .

إنه لشرف عظيم أن نعيش يوماً نعرض فيه هذه التجربة الإسلامية الرائدة ، مذهب آل البيت ، دون تقية أو مسايرة وأن يقف هذا المذهب وعلماؤه وأبناؤه إلى جانب المذاهب الإسلامية الكريمة . يقف إلى جوارها في سياق أخوي في سبيل تأدية الرسالة ولأجل إنقاذ الأمة ومفكريها ومثقفيها .

وإن لكم أيها العلماء المجاهدون ولنضال إخوانكم ، فضلاً كبيراً في تحقيق هذا اليوم فشكراً لله على مساعيكم وجزاكم عن الإسلام وعن رسوله وآل بيته خيراً .

فلنغتنم هذه الفرصة السانحة ولنبدأ بالعمل الموحد والشاق ،

ولنبتعد عن ملهيات الطريق ومغرياته ولنقف صامدين أمام دوافعه وسوالفه .

إن الأمة تنتظر ورسول الإسلام ينادي وان علياً إمامنا ولينا يقول أعينوني بورع واجتهاد وقوة وسداد أيها السادة الأكارم .

إن دقة الموقف ، سيما بعد ، يجري إلى جانبنا في أوساطنا ، تتطلب المزيد من اليقظة والتطلع إلى المستقبل القريب والبعيد ذلك لكي لا نترك مجالاً لاستغلال الظروف والمشاعر ، ولكي نضع الخصلة الواضحة التي تتطلبها الأيام الصعبة والأخطار المحدقة .

إن موقفكم اليوم أيها السادة الأجلاء هو موقف تاريخي لا نشك لحظة في صدوره عن كفاءاتكم الواعية وعن تحملكم لمسؤولياتكم بنزاهة وتجرد فليكن الله معكم ناصراً ومعيناً وهو نعم المولى ونعم الوكيل والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلىٰ في لبنان

السيد موسى الصدر

ولما كانت أغراض الجمعية كثيرة ومتنوعة ، وهي[1] :

أ ـ نشر الثقافة الإسلامية ومناصرة الفضيلة .

ب ـ تشييد وترميم المساجد والمدارس الدينية والعلمية والمستوصفات .

جـ ـ تعميم التعليم الديني في مدارس العلويين على مذهبهم الجعفري .

د ـ مساعدة الفقراء وتعليم الطلاب منهم مجاناً حسب إمكانيات الجمعية .

---

(١) المادة ٢ من نظام الجمعية الداخلي .

هـ ـ فكرة التقارب بين الطوائف الإسلامية والتآلف مع الطوائف الأخرى .

وكان تحقيق هذه الأهداف يتطلب بذل جهود جبارة ، وصبر وتفرغ ، نظراً للتركيبة الإجتماعية المعقدة في الساحل السوري فقد أصدرت الجمعية بطاقة شرف ممتازة تمنح لمن يقوم بجهود محمودة وتضحية مشكورة في سبيل الأهداف التي تسعى الجمعية للوصول إليها .

وهذه صورة البطاقة :

بطاقة شرف ممتازة
منحت لحضرة . . . . من قبل الجمعية الخيرية الإسلامية الجعفرية مكافأة لجهوده المحمودة وتضحيته المشكورة . في سبيل الهدف الأسمى الذي تسعى للوصول إليه والحصول عليه هذه الجمعية الفتية التي هي من الشعب وإليه . حسب قانونها الأساسي والداخلي . سدد الله خطا الجميع لما به الخير والصلاح .
رئيس الجمعية

وللإنصاف نقول :

إن المؤسس الحقيقي للجمعية الجعفرية باللاذقية ، ودماغها المفكر ولسانها الناطق ، هو المرحوم الشريف عبد الله الفضل آل علوي الحسني الذي تنتهي سلسلة نسبه إلى سيدنا أمير المؤمنين علي ﷺ .

وأصله من الحجاز ، استوطن اللاذقية واتخذها دار إقامة بعد استيلاء السعوديين على الحجاز والقضاء على حكم الشريف حسين .

كانت الجمعية بالنسبة إلى الشريف كل شيء في حياته . لم يبخل عليها بوقته وصحته وراحته ويرجع إليه الفضل فيما تتمتع به الجمعية من مكانة نظراً لمكانته العلمية الرفيعة وصلاته الوثيقة بالشخصيات الإسلامية المعروفة في العالم الإسلامي والحوزات الدينية في النجف وإيران وغيرها . . . . .

ظل الشريف عبد الله رئيساً للجمعية الجعفرية باللاذقية منذ تأسيسها سنة ١٩٥١/م وحتى وفاته ضحى الخميس في أول ذي الحجة ١٣٩٥/هـ الموافق ٤ كانون الأول ١٩٧٥/م .

وفي بيت الشريف عبد الله كانت تعقد إجتماعات الجمعية قبل أن يكون له مقرها الخاص .

ويعتبر جامع الإمام جعفر الصادق ﷺ في حي الرمل الشمالي باللاذقية ، مفخرة أعمال الجمعية وكان بناء هذا الجامع حدثاً فريداً هاماً في تاريخ اللاذقية والساحل السوري .

بني هذا الجامع ، ومساحته مع شرفته ٥٥٠ متراً مربعاً ، في عام ١٣٨٦/هـ - ١٩٦٨/م - وبذلت في سبيل بنائه جهود جبارة ، وبلغت تكاليفه (٢٢) ألف ليرة سورية جمعت من مال التبرعات وقام نفر من المشايخ الأجلاء بنشر بعض النشرات الدينية خصصوا ريعها لبناء الجامع وللجمعية ، من هؤلاء :

الشيخ عبد الرحمن الخير الذي نشر كتيباً هاماً بعنوان [تحفة المؤمن في فضل يوم الجمعة وأشهر رجب وشعبان ورمضان والأعمال والأذكار المسنونة فيها] .

ومنهم أيضاً الشيخ محمود سليمان الخطيب الذي نشر كراساً صغيراً يتضمن القصيدة المعنونة «أرج النبوة» أو ذكرى المولد النبوي . وخصص ريعه لجامع الإمام جعفر الصادق في اللاذقية .

كما نشر الشيخ محمود صالح والشيخ عبد اللطيف الخير كتيباً بعنوان [المختصر الجامع في الفقه الجعفري] خصصا جزءاً من ريعه للجمعية الجعفرية باللاذقية .

وغيرهم .... وغيرهم ......

للجامع بابان ، غربي وشمالي . فوق عتبة الباب الغربي رخامة مستطيلة بطول الباب نقش عليها الآية ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصّلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلاّ الله﴾ .

وعن يمين وشمال الباب ، لجهة الداخل ، لوحتان رخاميتان تحمل كل منهما تاريخ بناء الجامع .

نقش على اللوحة اليمنى الأبيات التالية :

لك الخير هذا مسجد طاب مهده ... فأذن بدين الله فيه وكبر
يرف عليه الطيب من آل (أحمد) ... ويطفو عليه اليمن من فيض (حيدر)
يباركه التشريف باسم ابن فاطم ... إمام الهدى وابن الأئمة (جعفر)
يحف به أتباع كل مبرء ... من الرجس معصوم الفؤاد مطهر
بناه بناة الخير زلفى لربهم ... وأي ثواب فات مجهود خير
ومن يقرض التاريخ عرفاً يوفه ... حميداً ومن ينصر به الله ينصر
شيد في عام ١٣٨٦ هـ

وعلى اللوحة الشمالية نقشت هذه الأبيات :

رفعناه في هذي الجوانب مسجداً ... وشدناه للبر العميم وللهدى
رفعناه من آلاء طه وحيدر ... على الساحل الزاهي مناراً وموردا
وزانت محياه شمائل جعفر ... فلله ما أبهى وأنقى وأمجدا
هنيئاً لأهل الخير يعطون فانياً ... ويجنون بالفاني الثواب المؤبدا
وطوبى لهم نالوا الخلود وأنهم ... سيلقون في التاريخ ذلك أخلدا
شيد في عام ١٣٨٦هـ

وفي الجامع بيت للحارس ، ومكان مخصص للنساء . ويلحق به عدد من الدكاكين والمكاتب المؤجرة يغذي ريعها صندوق الجمعية .

كان نشاط الجمعية حتى عهد قريب محدوداً جداً مقتصراً على الإحتفالات الدينية التي تحييها بالمناسبات الدينية المعروفة . لكن ، منذ الصيف الماضي - صيف ١٩٩٠ - تصاعدت وتيرة نشاط الجمعية بحضور عدد من المشايخ الإيرانيين ، وراح أحدهم يؤمّ المصلين في الجمعات والأعياد والآخر يلقي الدروس الدينية في مقر الجمعية .

وقد لاقت هذه الخطب استحساناً كبيراً وصدى واسعاً لدى الجمهور وجذب عدداً كبيراً من الناس إلى الجامع .

وكان حضور المشايخ الإيرانيين ، مرحلة جديدة من مراحل حياة

الجمعية نقلتها من حالة السكون والركود ، إلى حالة الحركة النشطة .

وكان من أبرز ما تمخضت عنه هذه المرحلة الجديدة افتتاح مدرسة لتعليم القرآن وتجويده وحفظه ، ومكتبة بالجامع حافلة بالمراجع الدينية ، كما أعلنت الجمعية عن مسابقة لاختيار عدد من الطلاب لإرسالهم إلى جامعة الإمام الصادق في طهران للتخصص في الفقه الجعفري ، وتمّ اختيار (٨) طلاب .

وكانت وتيرة نشاط الجمعية في تصاعد مستمر لولا الحادث المؤسف الذي حصل ، ذلك ان وجود المشايخ الإيرانيين في اللاذقية ونشاطهم وتنقلاتهم في جبال اللاذقية أثار حفيظة نفر من المشايخ الذين يهمهم أن يبقى الشعب راتعاً في لجة الجهل لأن تثقيفه تثقيفاً دينياً صحيحاً ، يعني القضاء على نفوذهم وبالتالي حرمانهم من مكاسب مادية لا تعد ولا تحصى ، لذلك هبوا يدافعون عن مصالحهم المهددة وراحوا يثيرون الشبهات حول وجود المشايخ الإيرانيين ويتقولون عليهم التقولات ، ويرسلون إليهم التهديدات سراً ، ويتصلون بالمسؤولين ويحرضونهم عليهم ، واستطاعوا أن يوغروا صدر أحد المتنفذين وكان بينه وبين رئيس وأمين سر الجمعية الجعفرية عداوة فوضعه يده على الجمعية وحل مجلس إدارتها وشكل مجلس إدارة جديد . وهذه الأعمال قلصت نشاط المشايخ الإيرانيين كثيراً في اللاذقية .

ونأمل أن تعود الحال إلى ما كانت عليه لما في ذلك من فائدة عميمة للجميع ستنعكس آثارها إيجابياً في المستقبل .

وما دمنا بصدد الحديث عن الجمعية ، فلا بد لنا من الإشارة إلى ما يقوم به المحسن الكبير السيد صبحي جود من تبرعات سخية للجمعية تستحق الشكر والثناء . إذ هو دفع للجمعية زكاة الفطر عن عام ١٩٩٠/م مبلغ عشرين ألف ليرة سورية ، وعن عام ٩٩١/م مبلغ ٧٥٠٠٠ ليرة سورية بالإضافة إلى ١٥٠ كيساً يحتوي كل كيس على كمية ٥و٢ كغ من السكر و٥ كغ رز و١/٢ كغ شاي وعلبة سمنة صغيرة وزن ٢ كغ ، على حين أن مديرية الأوقاف تبرعت للجمعية منذ تأسيسها إلى اليوم بمبلغ

بتراوح ما بين ٨ و١٠ آلاف ليرة سورية[1] .

جمعية الامام علي الرضا الخيرية في جبلة :

تأسست هذه الجمعية في عام ١٩٦٢/م في منطقتي جبلة والقرداحة ، ومركزها جبلة ، وهي تهدف إلى :

أ ـ بناء مساجد في منطقتي جبلة والقرداحة .

ب ـ المساهمة في الأعمال الخيرية كمساعدة أسر الشهداء ، والفقراء ، والمساكين ، وطلاب العلم ، وبناء المستوصفات ودور العجزة ودور العلم والمكتبات العامة[1] .

ومن ثمرات أعمال الجمعية بناء مسجدين في جبلة ، واحد في حي الجبيبات باسم الإمام علي الرضا عليه السلام والاخر في حي العمارة باسم الإمام الحسين عليه السلام .

كما أنها ساهمت مادياً في بناء مسجد ثالث في قرية بسيسين لم ينته العمل به ، بعد .

وفي نصف شعبان ١٤١١/هـ أول آذار ١٩٩١/م افتتحت الجمعية معهد الإمام الحسين عليه السلام لتحفيظ وتدريس القرآن الكريم .

ونظراً إلى أن إيرادات الجمعية ضئيلة وهي تقوم على رسوم الإنتساب ورسوم الإشتراكات والهبات والإعانات والوصايا والأوقاف والتبرعات الخارجية بعد الموافقة عليها من وزارة الشؤون الإجتماعية والعمل والموارد الأخرى التي يوافق عليها مجلس إدارة الجمعية[2] فإن نشاطها محدود ويسير سيراً وئيداً ، وهو يقتصر على الإحتفالات التي تقيمها بالمناسبات الدينية .

(١) عن هذه المجلة راجع مقالنا والمرشد العربي مجلة إسلامية مجهولة» ـ الثقافة الإسلامية ـ العدد ٣٤ جمادى الأولى ـ جمادى الثانية ١٤١١ هـ ، ت ٢ ، ك ١ ، ١٩٩٠ .

(٢) المادة ١ من النظام الداخلي للجمعية .

(٣) النظام الداخلي للجمعية ـ الفصل الخامس ـ مالية الجمعية .

ومن أبرز نشاطات الجمعية في الآونة الأخيرة - صيف ١٩٩٠ - الإعلان عن افتتاح دورة مجانية لتدريس القرآن الكريم ومبادىء الفقه الإسلامي .

وجاء في الإعلان ما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان رقم «١» .

إلى الشعب الكريم :

يسر جمعية الإمام علي الرضا الخيرية في جبلة أن تعلن أنها قررت فتح دورة مجانية لتدريس :

١ - قراءة القرآن الكريم : (قراءة وتجويداً) يقول رسول الله ﷺ : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» .

٢ - مبادىء الفقه الإسلامي : من فرائض وسنن وأحكام (أُصول الدين الإسلامي) - فروع الدين الإسلامي الطهارة - الصلاة . . . الخ . . . . عملاً بقوله تعالى : ﴿وليتفقّهوا في الدين﴾ - التوبة ١٢٢ .

٣ - الدورة تقبل طلاب مراحل التعليم الإبتدائي - الإعدادي - الثانوي وغيرهم .

٤ - تدفع الجمعية ١٠٠ مائة ليرة سورية في نهاية كل شهر لكل طالب من طلاب المراحل المذكورة إذا كان دوامه كاملاً .

٥ - تقدم الجمعية لكل منتسب إلى هذه الدورة نسخ القرآن الكريم وكتب الفقه والقرطاسية بلا ثمن .

٦ - تجري الجمعية مسابقة في نهاية كل شهر للطلاب فيما تعلموه وتعطي لكل من الفائز الأول والثاني والثالث هدية رمزية مناسبة .

٧ ـ تفتح الدورة أبوابها في السابع من شهر المحرم عام ١٤١١ هـ الموافق ٢٩ تموز ١٩٩٠ م .

٨ ـ على الراغب في الإنتساب لهذه الدورة أن يحضر إلى مسجد الإمام الحسين ﷺ في حي العمارة في الساعة الخامسة مساء من كل يوم اعتباراً من ٢٢ / ٧ ولغاية ٢٨ / ٧ / ١٩٩٠ .

وختاماً نتوسل إليه سبحانه وتعالى أن يوفقنا إلى ما فيه خير الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

في ٢٢ / ٧ / ١٩٩٠ .

مجلس إدارة جمعية
الإمام علي الرضا في جبلة

ثم أعقبت هذا البيان ببيان ثان مؤرخ في ١٠ ربيع الثاني ١٤١١/هـ ٢٩ / ١٠ / ١٩٩٠/م جاء فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان رقم «٢» .

إلى الشعب الكريم :

عطفاً على بيان جمعية الإمام علي الرضا الخيرية في جبلة رقم «١» تاريخ ٢٩ ذو الحجة/١٤١٠/الموافق/٢٢/٧/١٩٩٠ .

وحرصاً على أن تقدم الجمعية للأجيال الصاعدة ثقافة إسلامية قرآنية . . .

رأينا أن تستمر الدورة المجانية مفتوحة في معهد الإمام الحسين لتحفيظ القرآن «حي الإمام الحسين» .

وفق التعليمات التالية :

أولاً : المواد التي تدرس هي :

أ ـ تحفيظ القرآن الكريم .

ب ـ مبادىء الفقه الإسلامي .

ج ـ دراسة طائفة من الأحاديث النبوية «الدينية والإجتماعية» دارسة موسعة كقوله ﷺ :

الصلاة عمود الدين من أقامها فقد أقام الدين ، ومن تركها فقد هدم الدين .

وقوله : والذي نفس محمد بيده لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا .

وقوله المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً .

وقوله وقد سئل من أحب الناس إلى الله ، فقال أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس .

وقوله : كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه .

وقوله : من غش فليس منا .

وقوله : المحتكر ملعون . وشارب الخمر كعابد الوثن ، وما أسكر كثيره فقليله حرام .

وقوله : وكونوا عباد الله إخواناً .

وقوله : من أحب الله ورسوله فلا يؤذِ جاره إلخ . . . . . .

ثانياً : نظراً لانشغال الطلاب بمناهجهم المدرسية ، فإن الدراسة ستقتصر على يوم الجمعة من الساعة التاسعة صباحاً إلى ما قبل صلاة الظهر بثلث ساعة .

ثالثاً : من الممكن إعطاء دروس بين صلاتي المغرب والعشاء

للطلاب الراغبين بذلك .

رابعاً : على الطالب الذي يود الإنتساب إلى الدورة أن يحضر مع وليه إلى معهد «الإمام الحسين» ليصار إلى تسجيل اسمه بعد تقديم طلب الإنتساب .

خامساً : الجمعية غير ملتزمة بدفع شيء من المال لاحد من الطلاب .

سادساً : كل طالب لا يتقيد بنظام المعهد تقيداً كاملاً يفصل فوراً .

سابعاً : يبدأ التسجيل من /١٣/ ربيع الثاني /١٤١١/هـ ، الموافق /١/١١/١٩٩٠/ وينتهي حتماً في /٢٣/ ربيع الثاني /١٤١١ هـ ، الموافق /١٥/١١/١٩٩٠/ .

أخذ الله بيدنا جميعاً إلى ما يحب ويرضى .

/١٠/ربيع الثاني /١٤١١/هـ ، الموافق /٢٩/١١/١٩٩٠/م .

مجلس إدارة جمعية الإمام
علي الرضا الخيرية ـ جبلة

ومن جليل أعمال الجمعية ، قيامها بصورة مستمرة بتوزيع إعانات مادية شهرية للعائلات المستورة ، والفقيرة تتناسب مع إمكاناتها المادية من جهة ووضع وحالة كل أسرة من جهة أخرى . حيث تحتفظ ، الجمعية بأسماء هذه العائلات في سجل خاص لديها[١] .

---

(١) حصلنا على هذه المعلومات من السيد مصطفى الخطيب أحد أعضاء الجمعية الجعفرية بطرطوس والعاملين فيها . .

جمعية بانياس :

تأسست في عام ١٩٧٢ .

وأهم أعمالها بناء مسجدين في بانياس الساحل الأول مسجد الإمام الحسين عليه السلام والثاني مسجد السيدة الزهراء عليها السلام .

الجمعية الخيرية الاسلامية الجعفرية في طرطوس :

تأسست في أواخر عام ١٩٧٢/م في طرطوس ، وتشمل دائرة نشاطها منطقتي صافيتا والدريكيش ، ولغاية الغاية أنشأت فرعين لها ، واحد في صافيتا والثاني في الدريكيش .

وكان الغرض من إنشاء الجمعية :

١ ـ العمل على نشر الثقافة الإسلامية والأخلاقية بكل الوسائل الممكنة كإيجاد مكتبة ومجلة .

٢ ـ بناء المساجد وترميمها والإنفاق عليها .

٣ ـ إنشاء المستوصفات الخيرية ودور العجزة .

٤ ـ مساعدة الفقراء والمنكوبين .

٥ ـ بث فكرة التقارب بين كافة الفئات في المنطقة .

٦ ـ العمل على إيجاد مقابر حيث تدعو الحاجة .

وقد قامت الجمعية بشراء قطعة أرض مساحتها ١١١٩ متراً مربعاً في منطقة الغمقة الغربية بطرطوس وباشرت ببناء جامع عليها باسم الإمام الحسين عليه السلام وبناء مستوصف . تبرع ببنائهما السيدة سجيعة حسين وزوجها السعودي السيد محمد عبد اللطيف جميل .

والجامع ، اليوم ، في مراحله الأخيرة ، وسيحتفل قريباً بافتتاحه . وبالإضافة إلى هذاالجامع ، ساهمت الجمعية مساهمة كبيرة وفعالة في

بناء عدد آخر من المساجد في بعض قرى منطقة طرطوس هي : برمانة المشايخ سجنو، مطرو، التفاحة . . . كما افتتحت في عام ١٩٨٨ معهداً لتحفيظ القرآن الكريم ، وأعلنت عن جوائز مادية تشجيعية مقدارها خمسمائة ليرة سورية لمن يحفظ جزءاً من أجزاء القرآن الكريم .

ومن نشاطات الجمعية أيضاً انها وزعت ٤٠٠ نسخة من كتاب الصلاة على المذهب الجعفري مع عدد كبير من المصاحف على جوامع طرطوس ومنطقتها والمنتسبين إلى الجمعية .

ومن جهة أخرى ، تقوم الجمعية بافتتاح دورات تدريبية لأئمة مساجد منطقة طرطوس ، كلما دعت الحاجة إلى ذلك . وهذا عمل جليل لم نجد له مثيلاً في أي جمعية أخرى .

ومن أعمال الجمعية أيضاً :

١ ـ تقديم مساعدات مادية للمحتاجين والعائلات المستورة بشكل رواتب شهرية .

٢ ـ للجمعية سيارة إسعاف خاصة هي الوحيدة من نوعها في طرطوس تضعها تحت تصرف جميع فئات الشعب لنقل المصابين والمرضى والموتى إلى أية منطقة من مناطق سورية ، وفي أية ساعة من ساعات الليل أو النهار .

٣ ـ تدعو الجمعية إلى التقارب بين جميع فئات الشعب ، وذلك من خلال المناسبات الدينية ، والإحتفالات الأخرى وهي تنسق أعمالها بهذا الخصوص مع مديرية الأوقاف الإسلامية في طرطوس وغيرها من الهيئات الدينية[1] .

أما مالية الجمعية ، فتقوم على الإشتراك والتبرعات ورسوم

(١) نظام الجمعية الداخلي .

الإنتساب . وهي تتلقى مساعدات مادية محدودة من وزارة الأوقاف الإسلامية ، وتتلقى من مديرية الشؤون الإجتماعية والعمل اعانة مالية مقدارها ٥٠ ألف ليرة سورية في كل عام . وهذا المبلغ زهيد ولا يعد شيئاً مذكوراً تجاه الأعمال الكبيرة التي تقوم بها الجمعية . وهي تقديم المساعدات المالية للفقراء والمحتاجين والعائلات المستورة .

فرع الجمعية الخيرية الاسلامية الجعفرية في صافيتا :

أُنشئت الجمعية الخيرية الإسلامية الجعفرية في صافيتا في أواخر عام١٩٧٢ ، وكانت في مبدأ الأمر فرعاً من الجمعية الخيرية الإسلامية الجعفرية في طرطوس ، ولانها أظهرت نشاطاً فاق نشاط جمعية طرطوس ، الجمعية الأم ، رأى المشرفون على الجمعيات في مديرية الشؤون الإجتماعية والعمل فصلها عنها ، وذلك بتاريخ ١٤ تموز ١٩٧٥ ، وتم شهرها تحت رقم (١٠٠٠) باسم «فرع الجمعية الخيرية الإسلامية الجعفرية في صافيتا» ويتناول نشاطها مدينة صافيتا وقراها[١] . وأغراض الجمعية ، هي نفس أغراض الجمعية الجعفرية بطرطوس باعتبارها كانت فرعاً منها .

وقد تفوقت جمعية صافيتا على جميع الجمعيات الجعفرية في الساحل بأعمالها ومنجزاتها التي هي لحد الآن :

١ ـ بناء جامع كبير في صافيتا باسم جامع الإمام الحسين عليه السلام وهو الجامع الوحيد في صافيتا ولولا وجود الجمعية ، لكان من الصعب بناء جامع في صافيتا لاسباب كثيرة .

٢ ـ إفتتاح مأوى للعجزة .

٣ ـ إفتتاح حسينية واسعة لإقامة المناسبات الدينية والقومية .

---

(١) من رسالة السيد محمد حسن هلال رئيس الجمعية الجعفرية بصافيتا .

٤ ـ إيجاد مقبرة واسعة على مشارف صافيتا من جهة الشرق استملكتها الجمعية من أملاك الدولة وبنت فيها غرفتين لإيواء المشيعين في الأيام الماطرة .

٥ ـ الحصول على سيارة إسعاف خاصة لنقل المرضى والموتى .

٦ ـ قدمت الجمعية مساعدات مالية لبناء عدة جوامع في القرى المجاورة ، وهي تقوم بدفع مساعدات مالية شهرية لأئمة ومؤذني هذه الجوامع .

٧ ـ تقدم الجمعية إعانات شهرية للعائلات الفقيرة والمستورة وللمحتاجين إلى جانب ما تقدمه في المناسبات الدينية والأعياد .

أما مفخرة أعمال الجمعية فهو مستشفى المجتبى الخيري الذي بنته في مشارف صافيتا من جهة الغرب . وهو مؤلف من طابقين ويضم أكثر من خمسين سريراً وغرفتين للعمليات واحدة منها للجراحة النسائية والتوليد . والمستشفى مزود بجهاز أشعة ومخبر تحاليل .

ويعمل في المستشفى أكثر من عشرين ممرض وممرضة وطبيبان دائمان، عدا عن الأطباء الإختصاصيين الذين يجرون عملياتهم الجراحية بأنواعها في المستشفى .

ويقدم المستشفى العلاج مجاناً للفقراء كما يتقاضى أُجوراً تتناسب مع الوضع المادي لكل مريض وفي المستشفى غرفة إسعاف للعموم تقدم العلاج والتطبيب مجاناً للناس .

ومما يسجل للجمعية ، وهو من مآثرها الحميدة ، بث فكرة التقارب بين المسلمين والمسيحيين في صافيتا ، وقد أجرت الجمعية الكثير من اللقاءات بين الطائفتين ، وتقديراً لجهود الجمعية في هذا المجال خصها البطريرك هزيم بطريرك الروم الأرثوذوكس بزيارة خاصة عندما زار صافيتا منذ عشرة أعوام وبارك لها عملها . وهذه لفتة كريمة تحمل الكثير من الدلالات والمعاني .

من هذا العرض الموجز لنشاط وأعمال الجمعيات الجعفرية في الساحل، يتبين لنا أنّ محور اهتمام هذه الجمعيات كان بناء المساجد ثم الأعمال الخيرية. وهي أعمال تشكر عليها، ولا شك، لكنها في مقابل ذلك تهاونت كثيراً في أُمور بغاية الأهمية، منها: بناء الإنسان الذي يؤمّ المساجد التي سعت الجمعيات إلى بنائها وتشييدها. ومنها أيضاً، عدم قيامها بأي عمل من شأنه نشر وتعميم المذهب الجعفري.

فمن جهة، كان لكل طائفة من الطوائف الدينية في الساحل السوري مدرسة خاصةّ بها مارست من خلالها نشر وتعليم مبادىء مذهبها الديني بكل حرية.

وهـي:

المدرسة	نوعها	مكانها	الطائفة العائدة لها المدرسة
الأميركان	ذكور	اللاذقية	الإنجيلية (البروتستانت)
الأميركان	إناث	اللاذقية	الإنجيلية
الأرض المقدسة (تيرّا سانتا)	ذكور	اللاذقية	الكاثوليك
العائلة المقدسة (السانت فامي)	إناث	اللاذقية	الكاثوليك
الكرمليت	إناث	اللاذقية	يسوعيون
الروم	إناث	اللاذقية	أُرثوذوكس
الروم	ذكور	اللاذقية	أُورثوذوكس
الأُورثوذكسية الوطنية	ذكور	اللاذقية	أُورثوذوكس
الخيرية الإسلامية	ذكور	اللاذقية	إسلام سنة

الطائفة العائدة لها المدرسة	مكانها	نوعها	المدرسة
كاثوليك	بانياس	إناث	العائلة المقدسة (السانت فامي)
يسوعيون	طرطوس	ذكور	اللاييك(العلمانية)

وغيرها . . . . . وغيرها . . . . .

بينما لم تنشىء الجعفرية في اللاذقية ، وهي من أقدم الجمعيات في الساحل ، أي مدرسة خاصة بها ، علماً بأن أغراض الجمعية ، وفق نظامها الداخلي «تشييد المدارس الدينية وتعميم التعليم الديني في مدارس العلويين على مذهبهم الجعفري»[1] .

ولو أنَّ الجمعية الجعفرية باللاذقية افتتحت منذ إنشائها ، مدرسة خاصة بها مارست من خلالها التعليم الديني على مقتضى المذهب الجعفري لكان تخرج منها أجيال وأجيال ولكان لها اليوم دورها ونفوذها في المجتمع ،كانت دعائم قوية للمذهب الجعفري . لكن الجمعية لأسباب غير مفهومة تهاونت في هذه الناحية وهذا من المآخذ عليها . ولربما احتج بضعف إمكاناتها المادية لكن هذا العذر لا يعفيها من مسؤولية التقصير خاصة وأنَّ الأرض التي بنت عليها جامع الإمام جعفر الصادق كبيرة وبالإمكان اقتطاع جزء من هذه الأرض وبناء مدرسة عليه .

ومن المآخذ أيضاً أنَّ الجمعية تهاونت في البعثات العلمية إلى الحوزات الدينية في العراق فهي بعد بعثتها الأولى التي تخرج منها كل من : محمود مرهج وفضل غزال وسليمان عباس وأحمد زكي

(١) نظام الجمعية الداخلي .

تفاحة . لم ترسل أي طالب علم . وهذا تقصير ليس له ما يبرره إطلاقاً .

ومن جملة المآخذ أيضاً ، أنّ أعضاء الجمعية وأكثرهم من المشايخ الأجلاء ممن يتمتعون بالسمعة الطيبة والمكانة المرموقة في محيطهم الإجتماعي ، لم يبذلوا جهوداً كافية في سبيل نشر المذهب الجعفري ، ولم يدعوا إليه بحزم وعزم قويين وبمواقف صلبة . قال سيدنا جعفر الصادق ﷺ رحم الله قوماً كانوا سراجاً ومناراً ، كانوا دعاة إلينا بأعمالهم ومجهود طاقتهم[1] .

وأهم من هذا وذاك ، فإن الجمعية لم تقف موقفاً حازماً من المتشيخين ، بل جاملتهم كثيراً الأمر الذي سمح لهم أن يمارسوا نفوذهم بكل حرية ويصبحوا قوة ذات نفوذ في الأوساط الشعبية الأمية وكان بإمكان الجمعية ، الحد من نشاط هؤلاء والقضاء على نفوذهم بمنتهى السهولة واليسر خاصة وانه كان بيدها سلاح ماض هو المرسوم التشريعي رقم (٣٣) وتعديلاته بخصوص تنظيم لباس رجال الدين المسلمين . لأن اللجنة التي تشكلت بموجب هذا المرسوم لفحص كفاءة المتزيين بالكسوة الدينية ، هي رئيس الجمعية وبعض أعضائها . ولو قامت هذه اللجنة بدورها على الوجه الصحيح والأكمل بدون مجاملة لتغيرت أمور كثيرة ، ولما رأينا اليوم هذا العدد الكبير جداً ممن يرتدون الزي الديني بدون كفاءة كالتي أوجبها المرسوم التشريعي رقم (٣٣) وتعديله رقم (٣) والقرار رقم (٨) . لكن الجمعية بتساهلها وتهاونها مع هؤلاء فوتت على نفسها فرصة تاريخية لا تعوض ، مما سمح لهؤلاء المشايخ بأن يمارسوا دوراً بكل حرية ، حتى أصبحوا مع الأيام قوة ذات نفوذ حقيقي وتأثير فعال ، وأكبر دليل على قوتهم ونفوذهم انهم استطاعوا أن يجمدوا نشاط الجمعية الجعفرية باللاذقية الذي انطلقت به خطوات

---

(١) ابن شعبة الحراني ـ تحف العقول عن آل الرسول ص ٢٢١ .

كبيرة إلى الأمام ، وان يفسدوا عليها مساعيها وهكذا ، وبكل أسف نقول :

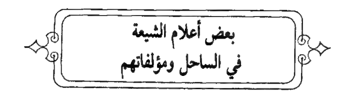
إن الجمعيات الجعفرية في الساحل ، لم تفعل شيئاً في سبيل المذهب الجعفري وتعميمه وكان ينتظر منها الشيء الكثير .

وإذا كانت ثمة عوائق وقفت في طريقها ، فإن بعض هذه العوائق كان بسبب تهاونها وتساهلها وتقصيرها واليوم ، يتعين على الجمعيات الجعفرية ، أن تقوم بعملية مراجعة شاملة لخططها وأساليب عملها وتبدأ نشاطها من جديد على أسس واقعية مدروسة بعناية وبدقة ، مستفيدة من تجارب الماضي ، وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون .



* بعض أعلام الشيعة في الساحل ومؤلفاتهم





بعض أعلام الشيعة في الساحل ومؤلفاتهم

وفي ختام هذه الدراسة ، نستعرض بصورة موجزة جداً سيرة بعض المؤلفين من الشيعة المعاصرين في الساحل وآثارهم المطبوعة التي تدور حول أهل البيت عليهم السلام والفقه الجعفري .

الشريف عبد الله (ت : ١٣٩٥/هـ - ١٩٧٥/م) :

يرجع إليه الفضل في تأسيس الجمعية الجعفرية باللاذقية ، يرجع نسبه إلى سيدنا أمير المؤمنين علي عليه السلام وفق التسلسل التالي : عبد الله ، بن حسن ، بن فضل ، بن علوي ، بن محمد ، بن سهل ، بن محمد ، بن أحمد ، بن سليمان ، بن عمر ، بن محمد ، بن سهل ، بن عبد الرحمن مولى خيله ، بن عبد الله ، بن علوي ، بن محمد مولى الدويله ، بن علي ، بن محمد الفقيه المقدم ، بن علي ، بن محمد صاحب مرباط ، بن علي ، بن علوي ، بن محمد ، بن علوي ، بن عبد الله ، بن أحمد المهاجر ، بن عيسى ، بن محمد ، بن علي العريضي ، ابن سيدنا الإمام جعفر الصادق ، ابن سيدنا الإمام محمد الباقر ، ابن سيدنا الإمام علي زين العابدين ، ابن سيدنا أمير المؤمنين

الحسن ابن السيدة فاطمة الزهراء بنت سيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ وابن أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام [1] .

كان الشريف عبد الله من العلماء الأفذاذ ، غزير المادة قوي الحجة ، قضى عمره في نشر الثقافة الإسلامية والعمل على وحدة الصف الإسلامي والتقريب بين المذاهب .

أصدر في اللاذقية سنة ١٣٤٧/هـ - ١٩٢٩/م - مجلة المرشد العربي التي ساهمت مساهمة فعالة في نشر الثقافة الإسلامية الصحيحة . كما أصدر عدداً من المؤلفات القيمة ، هي :

١ - كتاب صدق الخبر في خوارج القرن الثاني عشر ، طبع في مطبعة كومين باللاذقية سنة ١٣٤٦/١٩٢٨/م .

وهو من الكتب الهامة والمراجع الأساسية في الرد على الوهابية .

٢ - حكم مبتدع معتقدات القاديانيين ، طبع في مطبعة كومين باللاذقية سنة ١٣٥٠/هـ - ١٩٣٢/م .

كراس يتضمن جواب الشريف على سؤال ورد إليه من دمشق عن حكم مبتدع معتقدات القاديانيين ومؤيدي دعوته وناشري كلمته .

٣ - تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله ، طبع في مطبعة الإرشاد باللاذقية سنة ١٣٥٧/هـ - ١٩٣٨/م .

٤ - كما نشر الشريف العديد من المنشورات الإصلاحية بمواضيع شتى ، وزعها في مناسبات شتى نحتفظ في ارشيفنا بالعديد منها .

توفي الشريف عبد الله ، رحمة الله عليه ، ضحى يوم الخميس ١ ذي الحجة ١٣٩٥ ، ٤ كانون الأول ١٩٧٥ ودفن في الست زينب قرب جدته .

---

(١) راجع عن نسب الشريف عبد الله كتابه صدق الخبر في خوارج القرن الثاني عشر .

* الشيخ عبد العزيز كنعان :

من عائلة سنية معروفة في قرية الزنقوفه ، قرب الحفة ، منطقة اللاذقية . دفعه حبه لآل البيت إلى اعتناق المذهب الشيعي ودراسة الفقه الجعفري في النجف الأشرف .

كان من دعاة المذهب الجعفري المخلصين ، وقد لاقى بسبب ذلك كثيراً من العنت والإضطهاد وحورب محاربة بشعة .

كان إماماً وخطيباً لجامع صلنفة والحفة ومدرساً دينياً في الحفة واللاذقية .

توفي رحمه الله في مطالع الثمانينات وخلف لنا من آثاره القلمية كراسين صغيرين جمع فيهما بعض خطبه ودروسه الدينية التي ألقاها على طلبة العلم من تلاميذه ، وهما :

١ ـ مكانة الأخلاق ١٩٤٧/م وعنوان هذا الكراس يدل على مضمونه .

٢ ـ جبريل يسأل والحبيب محمد يجيب ١٩٦٩/م .

* الشيخ عبد الرّحمن الخير :

(١٣٢٢/هـ ـ ١٤٠٦/هـ ـ ١٩٠٤/م ـ ١٩٨٦/م) :

سليل عائلة معروفة اشتهرت بالعلم والثقافة والمشيخة .

ولد في القرداحة ، التابعة لمنطقة اللاذقية ، سنة ١٣٢٢/هـ ـ ١٩٠٤/م ـ تعلم ككل أبناء القرى في الكتّاب ثم في المدرسة الرشادية بالقرداحة ثم في العنازة .

نال شهادة أهلية التعليم ـ القسم الثاني عام ١٩٣١ . وعمل معلماً مدة من الزمن ثم استقال عام ١٩٤٣ ليعمل في مديرية إدارة حصر التبغ

والتنباك في اللاذقية وبقي في وظيفته حتى تقاعد في عام ١٩٦٣/م .

أقام بدمشق بصورة دائمة ، وعمل بوزارة الأوقاف بصفة مدرس ديني .

استغلت بعض جهات السوء شهرته الأدبية ومكانته العلمية والدينية ونشرت بتوقيعه مقالاً خبيثاً ينم عن سوء طوية ، ويقصد به زرع العداوة والبغضاء في النفوس وتهييجها وبث الفرقة .

شهر قلمه في وجه المنحرفين والدساسين ومثيري النعرات الطائفية البغيضة إمّا عن جهل أو عن سوء نية وله في هذا المجال صولات وجولات .

توفي رحمه الله في دمشق صبح الخميس ١٨ حزيران ١٩٨٦ ، ١١ شوال ١٤٠٦/هـ ودفن بناء على وصيته في مقبرة الست زينب .

له العديد من المؤلفات من أبرزها :

١ ـ كتاب الصلاة والصيام وفق المذهب الجعفري وهو من أشهر مؤلفاته طبع أول مرة سنة ١٣٨٣ ـ ١٩٦٣/م وأعيد طبعه مرات عديدة آخرها في عام ١٩٩١/م (الطبعة الثامنة) .

٢ ـ تحفة المؤمن في فضل يوم الجمعة وأشهر رجب وشعبان ورمضان والأعمال والأذكار المسنونة فيها طبع سنة ١٣٨٦/هـ ـ ١٩٦٦/م .

وهو كتاب فريد في بابه ، جعل ريعه لحساب مسجد الإمام جعفر الصادق ﵇ في اللاذقية .

٣ ـ من نداء الإيمان .

مجموعة من مقالات الشيخ التي نشرها في الصحف وأذيعت من الإذاعة .

٤ ـ موقف الإسلام من الإجهاض والتعقيم .

٥ ـ مناسك الحج على المذاهب الخمسة طبعته وزارة الأوقاف بدمشق سنة ١٤٠٠/هـ ـ ١٩٨٠/م .

٦ ـ من تراث الشيخ عبد الرحمن الخير .

مجموعة من مقالات الشيخ جمعها ونشرها بعد وفاته ابنه هاني الخير سنة ١٩٨٧/م .

٧ ـ وللشيخ مؤلفات مخطوطة كثيرة نأمل أن ترى النور قريباً إن شاء الله .

*** محمد علي اسبر :**

ولد في قرية بشكوح من أعمال جبلة سنة ١٩١٥/م . تلقى تعليمه الإبتدائي في قرية عين الشقاق أصبح في عام ١٩٤٥ معلماً في المدارس الإبتدائية، ثم ترك التعليم والتحق بالوظيفة محاسباً في مديرية منطقة جبلة.

أحيل على التقاعد لبلوغه السن القانوني عام ١٩٧٥ فانصرف للكتابة والتأليف .

من مؤسسي جمعية الإمام علي الرضا الخيرية في جبلة وهو اليوم رئيسها .

تصدى بجرأة نادرة لانحرافات المشايخ وألف ضدهم كتابه المشهور [تقاليدنا وعاداتنا] .

وقد حاربه المشايخ من أجل هذا الكتاب محاربة شديدة واعتبروه مرتداً وألفوا ضده كتاباً مخطوطاً بعنوان [الرد على المرتد] .

يعتبر محمد علي اسبر من أبرز كتاب الساحل السوري وأكثرهم شهرة في العالم الإسلامي .

وقد أغنى المكتبة الإسلامية بالعديد من المؤلفات الهامة التي لاقت قبولاً منقطع النظير من أبرزها :

١ ـ أبو طالب عملاق الإسلام الخالد ١٣٩٦/هـ ـ ١٩٧٦/م .

٢ ـ سطور مضيئة من الإمام الصادق وحياتنا وتقاليدنا ١٩٨٠/م .

٣ ـ هل قرأت أبا ذر ١٩٨١/م .

٤ ـ أهل بيت رسول الله في دراسة حديثة ١٩٩٠ وهو من أجل كتبه وقد نفدت نسخه بعد أقل من شهرين من صدوره .

٥ ـ أجداد رسول الله ١٩٩١/م .

٦ ـ بطلا العقيدة والجهاد حمزة بن عبد المطلب ، جعفر بن أبي طالب ١٩٩١/م .

٧ ـ علي في القرآن والسنة ١٩٩٢/م .

* الشيخ سلمان حسن سلمان :

ولد في عام ١٩١٧/م في قرية بسين بمنطقة القرداحة ، درس على شيوخ القرية .

خضع للفحص الديني الذي أجرته اللجنة المكلفة بذلك بموجب القرار رقم/٨/تاريخ ١٧ شوال ١٣٧١ ـ ٩ تموز ١٩٥٢ فنجح واعطته اللجنة ارتداء كسو ة رجال الدين المسلمين على المذهب الجعفري من مؤلفاته :

رحلة الحج إلى بيت الله الحرام والبلد الأمين طبع في بيروت سنة ١٩٧٤/م .

* الشيخ محمود صالح :

خطيب جامعي الزهراء والحسين عليه السلام في بانياس .

من مؤلفاته :

١ ـ النبأ اليقين عن العلويين ١٣٨١/هـ ـ ١٩٦١/م .

وكتابه هـذا يذكـرنا بكتـاب محمد أمين غـالب الطويـل (تـاريخ العلويين) نظراً لتشابه المواضيع بين الكتابين .

٢ ـ المختصر الجامع في الفقه الجعفري .

أصدره بالإشتراك مع الشيخ عبد اللطيف الخير سنة ١٣٧١/هـ ـ ١٩٥٢/م ـ وخصصا جزءاً من ريعه للجمعية الخيرية الجعفرية باللاذقية .

* الشيخ كامل حاتم :

ولد شيخنا في قرية بسنـادا التابعـة لمنطقة اللاذقية سنة ١٩٢٠/م تلقى تعليمه الأولي على والده ثم تابع تعليمه في مدرسة القرية .

كـان من مؤسسي الجمعية الجعفـرية بـاللاذقيـة وكان أحـد أعضاء اللجنة التي تشكلت بموجب القرار رقم/٨/تاريخ ١٧ شوال ١٣٧١ ، ٩ تمـوز ١٩٥٢ لفحص كفـاءة المتزيني بـالكسـوة الـدينيـة على المـذهب الجعفري .

يقيم الشيـخ منذ مـدة طويلة في قـرية مشقيتـا التابعـة لمنطقة عين البيضا .

له العديد من المؤلفات الدينية والتربوية منها :

١ ـ المـوجز المبين في معـرقة أصـول وفروع الـدين على مقتضى الفقه الجعفري طبع باللاذقية سنة ١٣٧١/هـ ـ ١٩٥١/م .

٢ ـ كتاب عليٌ في الواجب والأخلاق والفضيلة مطبوع في اللاذقية سنة ١٣٨٢/هـ ـ ١٩٦٢/م .

٣ ـ المـوجز المبين في المعـاملات على مقتضى الفقـه الجعفري مطبوع في اللاذقية سنة ١٩٦٥/م .

٤ ـ يا آل طه قصيدة طويلة مـطبوعـة في كراس صغيـر الحجم لم يذكر تاريخ الطبع .

٥ ـ كلماتي مطبوع سنة ١٩٧٥ .

٦ ـ الحج والعمرة على مقتضى المذهب الجعفري ، مطبوع في دمشق ١٩٩٠/م .

* الشيخ محمود مرهج الفاطمي :

ولد سنة ١٩٢٩/م في قرية بحنين لعائلة معروفة بالعلم والأدب في محيطها ـ أعمال طرطوس ـ درس الفقه الجعفري في النجف الأشرف وكان أول طالب في الساحل يدرس في النجف .

يعمل حالياً إماماً وخطيباً لجامع أمير المؤمنين علي عليه السلام في طرطوس .

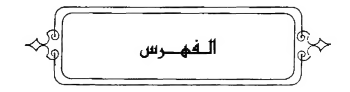
من مؤلفاته :

١ ـ أصفى المناهل في جواب السائل ، لم يذكر تاريخ الطبع .

وهو يتضمن أجوبة الشيخ على بعض الأسئلة الدينية التي طلب منه الجواب عليها .

٢ ـ النشر الجوهري الموجز عن أحكام المذهب الجعفري ١٩٦٤/م .

٣ ـ جميع المعلومات عن الأعلام الذين تحدثنا عنهم مأخوذة من كتابينا : معجم المؤلفين في ساحل السوري والحياة الأدبية في ساحل السوري الماثلين للطبع .


الفهرس